

كتب قداسة البابا شنودة الثالث

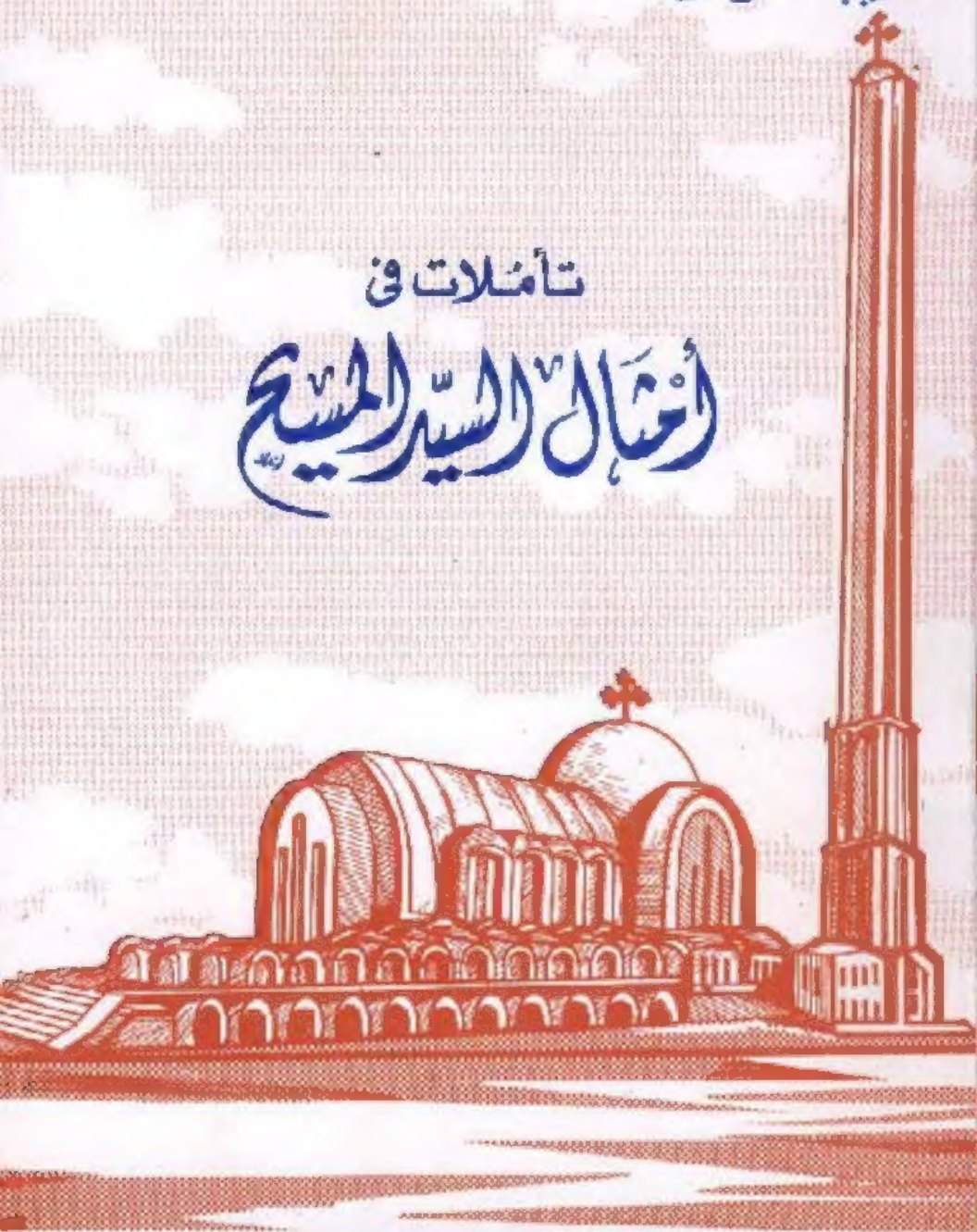


www.st-mgalx.com

الرباط سنووه الثالث

تأملات في

أعمال السيد المسيح



الابا شنودة الثالث

تأملات في

أقوال السيد المسيح

**15 Parables said by
Our Lord Jesus Christ**

By H.H. Pope Shenouda III

1st. Print

Nov. 2001

Cairo

الطبعة الأولى

نوفمبر ٢٠٠١

القاهرة

الكتاب : أمثال السيد المسيح .
المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث
الناشر : الكلية الإكليريكية بالكاتدرائية بالعباسية - القاهرة
الرسومات : بيد الفنانة تاسوني سوسن .
الطبعة : الأولى نوفمبر ٢٠٠١ م.
المطبعة : الأنبا رويس الأوفست بالعباسية - القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتاب : ٢٠٠١/١٥٧٠٧
I.S.B.N. 977- 5345- 66- 9



ممنون على جميع الفوائد والخطوات
البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطركس الكرازة المرقسية

مقدمة الكتاب

نقدم لك في هذا الكتاب محاضرات ألقيناها في الكاتدرائية المرقسية الكبرى بالقاهرة خلال عامي ، ١٩٩٨ ، ١٩٩٩ .

إنها تشمل ١٥ مثلاً من أمثال السيد المسيح

★ تسعة أمثال منها من أنجيل متى (مت ٧، ١٣، ٢٥) .

وهي : مثل البيتين (مت ٧)، ومثل الزارع (مت ١٣)، ومثل الحنطة والزران (مت ١٣) . ثم بعض أمثال عن النمو مثل : حبة الخردل (مت ١٣) . والخيرة (مت ١٣)، والوزنات (مت ٢٥) .

ثم مثل الكنز المخفي ، واللؤلؤة الكثيرة الثمن (مت ١٣) والكاثب المتعلم (مت ١٣) .

★ ومثل واحد من أنجيل مرقس (مر ٤ : ٢٦ - ٢٩) .

هو مثل حبة القمح التي تنمو (ووضعناها ضمن أمثلة النمو) .

★ وخمسة أمثال من أنجيل لوقا هي : السامري الصالح (لو ١٠)، والتينة غير المثمرة

(لو ١٣)، والدرهم المفقود (لو ١٥)، والغنى ولعازر (لو ١٦)، والفريسي والعشار (لو ١٨) .

★ ووضعنا تمهيداً لهذه الأمثال يسبقها . وذلك في موضعين هما ملكوت السموات،

والوكلاء . لتكرار هذين الأمرين في كثير من أمثال السيد المسيح . وقد تكررت عبارة

يشبه ملكوت السموات " سبع مرات في الأمثال التي وردت في (مت ١٣) .

ونحن في هذا الكتاب لم نذكر كل أمثال السيد المسيح .

إنما ما ذكرناه هو أمثلة للانتفاع بها روحياً .

وأمثال السيد المسيح متعددة في أهدافها .

بعضها عن العمل بكلمة الله، كمثال البيتين .

والبعض عن اختلاف تأثير الكلمة في القلوب كمثال الزارع .

وبعضها عن حروب الشيطان ، كمثل الزوان .
وبعضها عن النمو الروحي ، مثل أربعة أمثال ذكرناها: ثلاثة من أنجيل متى، وواحد
لأنجيل مرقس .

والبعض عن أهمية ملكوت الله، مثل الكنز المخفي .
والبعض عن الخدمة ومعنى كلمة القريب، كالسامري الصالح .
والبعض عن عقوبة عدم الرحمة كمثل الغنى ولعازر .
والبعض عن عقوبة عدم الإثمار ، كمثل التينة .
ومثل عن الإلتضاع في الصلاة ، كمثل الفريسي والعشار .
ومثل عن بحث الله عن الخطاة ، هو مثل الدرهم المفقود .
* * *

وقد قسمنا الكتاب إلى ستة أبواب :

تشمل الوكلاء، والملوك، والتوبة، وأمثلة عن النمو الروحي، وعديد من المقارنات.
وأخيراً مثل السامري الصالح.

المهم أن ننتفع روحياً بهذه الأمثال ، ليكون لها التأثير النافع في قلوبنا، وفي أرواحنا.
أترك هذا الكتاب في يديك أيها القارئ العزيز .
وأتركك أنت في يدى الله المحب يرشدك ويقويك .

اليابا شنوده الثالث

نوفمبر ٢٠٠١

الباب الأول

مَجْرِدٌ وَكَلَاءٌ...

إِنْسَانٌ لَهُ وَكِيلٌ

«لوقا ١٦: ١»

يَا تَرَى مَنْ هُوَ الْوَكِيلُ الْأَمِينُ

«لوقا ١٠: ٤٢»

المالك والوكلاء :

بعض أمثال السيد المسيح تتحدث عن إنسان غنى له وكيل .. (لو ١٦ : ١) وهذا الوكيل يعمل في كرم الرب .

فمن هو الغنى إلا الله العالى فى سماه، الذى له كل شئ وكل أحد.

لما (الوكيل) الذى يعينه الرب، فهو المستول من قبله عن رعاية ما يكلفه الرب به للخدمة فى كرمه. والكرم هو الكنيسة، أو هو الشعب.

وهذا الوكيل ليس صاحب الكرم يتصرف فيه كما يشاء. بل هو مجرد خادم للرب، له صفة الوكيل. وهناك وقت معين يقول له الرب فيه "أعطني حساب وكالتك" (لو ١٦ : ٢).

✱ ✱ ✱

قد يكون الوكيل نبياً من الأنبياء: مثل ارميا النبي الذى قال له الرب "أنظر قد وكلتك اليوم على الشعوب وعلى الممالك.." (أر ١ : ١٠). وقد حدد له الرب فى تلك الوكالة ما يفعله.

وقد يكون الوكيل رسولاً: مثلما قال القديس بولس الرسول عن نفسه "قد أستؤمنت على وكالة" (١كو ٩ : ١٧). وتبعاً لذلك قال "إذ الضرورة موضوعة على، فويل لى إن كنت لا أبشر" (١كو ٩ : ١٦).

وقد يكون الوكيل كاهناً: كما قال الرسول أيضاً "هكذا فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله. ثم يُسأل فى الوكلاء لكى يوجد الإنسان أميناً" (١كو ٤ : ١، ٢).

أو قد يكون الإنسان وكيلاً على موهبة أو نعمة :

فهو لا يملك تلك النعمة أو الموهبة يتصرف فيها كما يشاء حسب هواه! بل هو وكيل على الموهبة يستخدمها حسب مشيئة الله يخدم بها ملكوت الله وشعبه. وفى هذا قال القديس بطرس الرسول: "ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً، كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة" (١بط ٤ : ١٠).

لذلك رأيت أن أتأمل معكم فى عبارة (الوكيل) هذه، وما هى دلالاتها وأصنافها، وفى شروط الوكيل وطبيعة عمله. وما مدى تطبيق كلمة (الوكيل) على حياة كل منا .

✽ ✽ ✽

★ أول شئ نقوله : إن الله مالك لكل شئ .

وفى ذلك قال المزمور "لرب الأرض وملؤها، المسكونة وجميع السالكين فيها" (مز ٢٤ : ١)، فهو وحده الذى له الملك والقوة.. (مت ٦ : ١٣). وهو فيما يملك كل شئ، يملكنا نحن أيضاً .. نحن لا نملك أنفسنا ، ولا نملك ما فى أيدينا .

الله هو الذى يملكنا، ويملك ما نملك. ونحن مجرد وكلاء .

إننا وكلاء على أنفسنا ، وعلى أموالنا، وعلى حياتنا ووقتنا، ووكلاء أيضاً فى خدمتنا، وفى أسرارنا، وفى كل شئ .

✽ ✽ ✽

★ أول وكيل من البشر كان آدم ، جنبنا جميعاً .

خلقه الله ، وأوجد له حواء، وجعله وكيلاً له فى الجنة. وقال له ولامرأته فتمروا وأكثروا واملأوا الأرض، وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى كل حيوان يدب على الأرض" (تك ١ : ٢٨) .

ونفس الكلام قاله الرب لأبينا نوح وبنيه (تك ١٩ : ١ ، ٢) .

فكان آدم وكيلاً لله فى الجنة. وكان نوح وكيلاً له فى الفلك، وفى خارج الفلك أيضاً .

✽ ✽ ✽

وكانت الوكالة تحمل سلطاناً ، ولكن داخل وصية الله .

وهذا واضح من عبارة "أخضعوها وتسلطوا على.." التى قيلت لآدم وحواء. ومن

عبارة " لتكن خشيتمكم ورهبتمكم على كل حيوانات الأرض.." التى قيلت لنوح وبنيه .

كل هؤلاء الوكلاء كان لهم سلطان ، ولكن تحت سلطان الله .

لم يكن سلطان آدم ونوح سلطاناً مطلقاً، وإنما حسب وصية السيد الذى وكلهم . ولهذا نجد أن آدم وحواء كان لهما سلطان على الجنة. أما شجرة معرفة الخير والشر فقد نهاهما الله عن الأكل منها (تك ٢ : ١٧). وكذلك نوح وبنيه نهاهم الله أن يأكلوا لحماً بحقيقته لئلا يموتوا (تك ٩ : ٤) .

✽ ✽ ✽

★نقرأ أيضاً عن طفل صغير وكلّه الله . هو صموئيل .

وكلّه على تبليغ رسالة منه إلى على الكاهن (اصم ٣). ومن ذلك الحين عرف الجميع أنه قد أوتمن صموئيل نبياً للرب" (اصم ٣: ٢٠).

ثم وكلّ الرب صموئيل النبي في مسح الملوك . فمسح شاول ملكاً (اصم ١٠: ١، ٩). ومسح داود ملكاً (اصم ١٦: ١٣)، مع كل ما تحمل تلك المسحة من حلول الروح القدس ومن موهبة التنبؤ .

★أيضاً ارميا - وهو في حدثته - جعله الله وكيلاً له .

وقال له "أنظر قد وكلتك لليوم على الشعوب وعلى الممالك. لنقلع وتهدم وتهلك وتتقضم، وتبنى وتغرس" "إلى كل من أرساك إليه تذهب، وتتكلم بكل ما أمرك به" (أر ١: ١٠، ١٧) .

✽ ✽ ✽

★كل الأنبياء كانوا وكلاء لله ، وكل من دعاهم مسحاء له .

كلهم كانوا يبلغون رسالته للناس ، ويعملون ما يريده. وكان الواحد منهم يسمى "رجل الله". كما دُعي بهذا اللقب إيليا للنبي (امل ١٧: ١٨). وكما دُعي بهذا اللقب أيضاً أليشع النبي (مل ٤: ٩) (مل ٢٧: ٢٧) (مل ٥: ٨، ٢٠) .

★موسى النبي أيضاً كان وكيلاً للرب .

يبلغ رسالته إلى الشعب وإلى فرعون، وينفذ وصية الرب . وقد قال الرب عنه لهارون ومريم "أما عبدى موسى .. فهو أمين في كل بيتي. فمأ إلى قم وعياناً لتكلم معه.. وشبه الرب يعاين" (عد ١٢: ٧، ٨) . وكان موسى وكيلاً للرب في تبليغ الوصايا العشر وباقي الوصايا، وفي بناء خيمة الاجتماع بكل ما تحوى من مذابح.

وهكذا قيل عن خيمة الاجتماع وكل محتوياتها "فعل موسى بحسب كل ما أمره الرب، هكذا فعل" (خر ٤٠: ١٦). وتكررت في نفس هذا الإصحاح عبارة "كما أمر الرب موسى" (خر ٤٠: ١٩، ٢١، ٢٣، ٢٧، ٢٩، ٣٢) .

إنه كوكيل لله، ينفذ كل ما أمره الرب به ...

وهكذا العاملون معه في كل ما صنعوه - تكررت عبارة "كما أمر الرب موسى" (خر ٣٩: ٢١، ٢٦، ٢٩، ٣١، ٤٢) .

✽ ✽ ✽

★ يوسف الصديق أيضاً : فيما كان وكيلاً لغوطيفار الذى "وكله على بيته، ودفع إلى يده كل ما كان له" (تك ٣٩: ٤). كان فى نفس الوقت وكيلاً على الطهارة التى إبتتمه الله عليها. فقال لزوجة سيده لما أغرتة كيف لفعل هذا الشر العظيم، وأخطئ إلى الله؟؟" (تك ٣٩: ٩) .

★ ويوحنا المعمدان : مع أنه كل "أعظم من نبي" (مت ١١: ٩)، إلا أنه فى تواضعه قال لليهود "أنتم أنفسكم تشهدون لى أنى قلت لست أنا المسيح، بل انى مرسل أمامه. من له العروس، فهو العريس. وأما صديق العريس الذى يقف ويسمعه، فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذن فرحى هذا قد كمل" (يو ٣: ٢٨، ٢٩).
على أنه كان أيضاً بلاشك وكيلاً للرب ، حينما بلغ رسالته إلى الملك هيرودس قائلاً له: لا يحل لك أن تكون لك امرأة أخيك" (مت ١٤: ٤) .

★ هكذا كل من له رسالة معينة، هو وكيل لله فى هذه الرسالة.

غطة كبيرة أن يوجد إنسان فى خدمة، فيظن أنه صاحب الخدمة!!

فالكاهن فى الكنيسة ليس له أن يظن أنه صاحب الكنيسة !

وكذلك الأسقف فى الإيبارشية ، ليس هو صاحب الإيبارشية .

كل هؤلاء هم وكلاء . أما صاحب الكنيسة فهو الله. وصاحب الإيبارشية هو الله.

وصاحب البطريركية هو الله. وصاحب الشعب كله هو الله . وكل هؤلاء الخدام الذين

أقامهم، هم مجرد وكلاء .

★ كذلك الأب والأم فى البيت :

كل منهما .. فى محيط الأسرة - هو وكيل : فى تربية الأولاد. وكيل "يدبر بيته حسناً"

(اتى ٣: ٤) .

إنه وكيل له سلطان على أولاده : يكرمونه ويطيعونه ويخضعون له. ولكنه فى هذه

الوكالة ، يضع أمامه قول الوحي الإلهى "أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا" (كو ٣:

٢١) (أف ٦: ٤) .

شروط الوكيل وعمله :

فول صفة هي أن يكون في مسئوليته "أميناً وحكيماً" .

وفي ذلك يقول السيد الرب "يا ترى من هو الوكيل الأمين الحكيم الذي يقيمه سيده على عبيده ليعطيهم طعامهم في حينه. طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده، يجده يفعل هكذا" (لو ١٢: ٤٢، ٤٣) .

ومن الأمثلة أن يقوم بواجبه بكل جدية وإخلاص، وتدقيق، لكي تأتي خدمته بالثمر المطلوب .

وعبرة يعطيهم طعامهم في حينه"، تعنى الطعام المادى والروحى .

تعنى كليهما معاً بقدر ما تحمل مسئوليته. فالأب في البيت عليه أن يهتم ليس فقط بما تحتاجه أسرته من طعام مادى، وإنما من طعام روحى أيضاً، حسبما تقول الوصية في سفر لثنثية (ث٦: ٦، ٧)، وكذلك الأب الروحى - أسقفاً أو قساً - عليه أن يقدم الطعام لروحته . يهتم بما يلزمهم من روحيات، وأيضاً لا يفعل ما يحتاجونه مادياً .

وعبرة طعامهم في حينه" تعنى أنه لا يتأخر في معونتهم .

وهذا ينكرنا بقول الكتاب "لا تمنع الخير عن أهله، حين يكون في طلاقة يدك أن تفعله. لا تقل لصاحبك اذهب وعد غداً فأعطيك، وموجود عندك" (أم ٣: ٢٧، ٢٨). ومن الناحية الروحية إن تأخر في إطعام الطفل روحياً، سنصعب حالته حينما يصير شاباً. كذلك بعض المشاكل الروحية إن تأخرنا في حلها ستتعقد. ينبغي إذن أن نحل في حينها .

والوكيل الحكيم يعرف كيف يتصرف في الأمور بالأسلوب اللائق .

لدرجة أن السيد الرب مدح وكيل الظلم، لأنه بحكمة صنع" (لو ١٦: ٨) وفي اختيار الشملمسة السبعة، كان الشرط أن يكونوا "مملوئين من الروح القدس والحكمة" (أع ٦: ٣). ومع أن المملوء من الروح القدس لا بد أن يكون تلقائياً مملوءاً من الحكمة، إلا أن الآباء للرسل شددوا على صفة الحكمة .

✱ ✱ ✱

★ من شروط الوكيل أيضاً أن يتاجر ويربح .

وهذا ما اهتم الرب به في مثل الوزنات (مت ٢٥: ١٤ - ٣٠)، وفي مثل الأسماء (لو ١٦: ١٥ - ٢٦). كل لا بد "للكل أن يتاحروا ويربحوا.. أصحاب الكثير منهم وأصحاب

القليل. وهكذا كلفاً صاحب الخمس وزنت لأنة " تلجر بها وريح" (مت ٢٥: ١٦)، وهكذا كلفاً أيضاً صاحب اللورتين . بينما عاقب صاحب الوزنة الواحدة لأنة حق وزنته في التراب ولم يريح (مت ٢٥: ٢٤ - ٣٠). وبالعمل في مثل الأمانة .

وأنت هل تلجرت بكل موهبة منك الله ليلاها، وريحت ؟

هل كل مسئولية أوكلاها الله إليك تمت وتزددت ؟

هل ربحت نفوساً للرب ؟ هل بنيت شيئاً في ملكوته ؟

لم دفت وزنتك في التراب ؟ لم خسرتها هي أيضاً ؟؟

★ من شروط الوكيل الصالح أن ينفذ مشيئة سيده .

لا يكون حكيماً في عيني نفسه" (رو ١٢: ١٦)، وينفذ مشيئته الخاصة كما فعل شاول الملك (١ صم ١٥) فضرب عليه الرب، وفارقه روح الله (١ صم ١٦: ١٤). والوكيل الصالح لا ينفذ مشيئة الناس، كما فعل رجيم بن سليمان، فقد ملكه" (١ مل ٢: ٢ - ١٦) ..

بل ينفذ مشيئة الله، كما فعل موسى النبي. وهكذا كتب في سفر الخروج تفعل موسى بحسب كل ما أمره الرب، هكذا فعل" (خر ٤٠: ١٦). وتكررت عبارة "كما أمر الرب موسى" مراراً كثيرة (خر ٣٩: ١) (خر ٣٥: ٢٩) . وأيضاً دلود النبي "كان قلبه كمالاً مع الرب إليه" (١ مل ١١: ٤) .

★ والمفروض في الوكيل الصالح أن يضع في نفسه، أنه سيعطى حساباً عن وكلاته أمام سيده (لو ١٦: ٢) .

لذلك عليه أن يكون ساهراً باستمرار على مسئوليته، لا يخل عنها. كما قال السيد الرب "طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين" (لو ١٢: ٣٧) "ثلاً يأتي بغنة فيجدهم نياماً" (مر ١٣: ٣٦) .

★ والوكيل الأمين للحكيم ، لا يهتم بذاته بل بمسئوليته .

وهكذا قرأنا في سفر حزقيال النبي حكماً شديداً على الرعاة الذين يتصرفون هكذا . فقال السيد "إن غنمي صارت غنيمة. وصارت غنمي مأكلاً لكل وحش الحقل. إذ لم يكن راع، ولا سأل رعائي عن غنمي، ورعى للرعاة أنفسهم، ولم يرعوا غنمي لذلك.. هلذا

على الرعاة، وأطلب غنمى من يدهم، وأكفهم عن رعى الغنم، ولا يرعى الرعاة أنفسهم بعد. فأخلص غنمى من أفواههم، فلا تكون لهم مأكلاً" (حز ٣٤: ٨ - ١٠) .

لقد تكررت عبارة "رعى الرعاة أنفسهم" عدة مرات فى هذه الفقرة! كل أولئك كانوا وكلاء أرباء .

والرب هنا يفرهم بما قاله قبلاً لوكيل الظلم "أنك لا تقدر أن تكون وكيلاً بعد" (لوقا ١٦: ٢). وهكذا قال فى سفر حزقيال النبى "وأكفهم عن رعى الغنم. فأخلص غنمى من أفواههم" (حز ٣٤: ١٠).. وقال أيضاً للكراميين الأرباء "إن ملكوت الله يزرع منكم، ويمطى لأمة تصنع أثماره" (مت ٢١: ٤٢) .

إن الله كما يسمح وكلاءه سلطاناً، فإنه يعرضهم أيضاً للعقوبة إن لم يسلكوا حسناً، إذ يأتى وقت يحاسبهم، وقد يكون ذلك "بغتة" ..

أنت كوكيل :

ليس الوكيل هو كل وكيل على شعب، أو على خدمة كنسيه، إنما أنت وكيل على ذاتك - كما منرى - وعلى مسئولياتك .

١ - أنت وكيل على حياتك :

حياتك ليست ملكاً لك، إنما هى ملك لله الذى خلقك من العدم، وأيضاً هى ملك لله الذى اقتداك واشتراك بنمن" (١كو ٦: ٢٠) .

فأصبحت حياتك ليست ملكك، وإنما أنت وكيل على هذه الحياة، تتصرف فيها حسب مشيئة صاحبه الذى هو الله .

من هنا كان الانتحار خطية. لأن المنتحر لا يملك هذه النفس التى يقتلها، فهى ملك لله. وأيضاً الإجهاض خطية . لأن المرأة لا تملك هذا الجنين حتى تتصرف فيه كما تشاء وتحرمه نعمة الوجود . إنها مجرد وكيلة عليه، تحفظه لأجل صاحبه الذى هو الله ...

وهكذا قتل الغير خطية لأنه كما أن الإنسان لا يملك حياته لينهيها، كذلك لا يملك حياة غيره ليحرمه منها. إنه بهذا لا يخطئ فقط إلى صاحب تلك النفس حتى يقتله ، بل يخطئ أيضاً إلى الله مالك تلك النفس .

✱ ✱ ✱

٢ - وكما أنك لا تملك حياتك ، كذلك لا تملك وقتك .

فوقتك هو جزء من حياتك . وأنت مجرد وكيل عليه، تتصرف فيه بما يمجّد الله .
والذى يبذر وقته بعيش مسرف ، إنما يضيع ورنه قد إئتمنه الله عليها .
لا تقل إن الله له يوم فى الأسبوع هو "يوم الرب" أعطيه له، أتصرف فى الباقي كما
أشاء !! كلا، فانه له أيضاً بكور يومك ، حيث تقول له "يا الله ، إليك أنكر، عطشت نفسى
إليك" (مز ٦٣ : ١) . وله أيضاً نهاية يومك، حيث تقول له "كنت أنكرك على فراشى"
(مز ١١٩) . بل له كل دقيقة من دقائق حياتك، أنت وكيل عليها .. فهل تظن أن للرب يوماً
واحداً فى الأسبوع ، وباقي حياتك ليست ملكاً للرب ؟! حاشا لك يا أخى ، أن تفصل
ساعة واحدة من حياتك عن الله!، ولا حتى لحظة منها..
✱ ✱ ✱

٣ - أنت أيضاً وكيل على جسدك وروحك ..

وهكذا يقول الرسول "لأنكم قد اشتريتم بثمن، فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم
التي هى لله" (١كو ٦ : ٢٠) . ما أعمق عبارة "التي هى لله" .. إذن هى ليست لك، وجسدك
ليس لك، لأن الرسول يقول فى نفس الإصحاح "أستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء
المسيح" (١كو ٦ : ١٥) . وأيضاً "الجسد ليس للزنا، بل للرب" (١كو ٦ : ١٣) .
مادام الجسد ليس ملكك بل للرب ، يجب أن تمجد الله فيه .
ما أجمل أيضاً فى ملكية الله لجسدك ، قول الرسول "أم لستم تعلمون أن جسدكم هو
هيكل الروح القدس الذى فيكم" (١كو ٦ : ١٩) . لذلك ينذر قائلاً "إن كان أحد يفسد هيكل
الله، فسيفسده الله. لأن هيكل الله مقدس، الذى أنتم هو" (١كو ٣ : ١٧) .
مادام جسدك إذن ليس هو لك، بل للرب، ومادام هو هيكل الروح القدس، وأنت مجرد
وكيل عليه، إذن إحفظه مقدساً لله ...

وكذلك روحك . إذ يقول الرسول "لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح
يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح" (رو ٨ : ١) .
الروح ملك لله ، لذلك يقول الكتاب عن حالة الموت "يرجع التراب إلى التراب كما
كان. وترجع الروح إلى الله الذى أعطاها" (جا ١٢ : ٧) .
ومادما وكلاء على أرواحنا ، فلنهتم إذن بشئ للروح (غل ٥ : ٢٢، ٢٣) وبندرك أن
اهتمام الروح هو حياة" (رو ٨ : ٦) . ولننتذكر قول الرسول: "من يزرع للروح ، فمن الروح
يحصد حياة أبدية" (غل ٦ : ٨) .

وملأنا وكلاء على أجسادنا وأرواحنا، فلنبدع عما يتلف الجسد والروح، كالبعد عن النجاسة، وعن التخخين، والمخدرات، والمسكر، وسائر العادات الرديئة. حتى الصوم ينبغي أن نملك فيه بإفراز وتحت إرشاد. لأنه ليس هدفنا أن نقتل الجسد، بل أن نحفظه منضبطاً.

وأرواحنا علينا أن ننميها بالعمل الروحي، وبالتدريبات الروحية.
فإن قد وهبنا الروح بنفخة من فمه (تك ٢: ٧) لكي نكون وكلاء عليها، ننميها في محبته. ووهبنا الجسد لكي نكون وكلاء عليه، نحفظه طاهراً كهيكل للروح القدس .

✽ ✽ ✽

٤ - أنت وكيل أيضاً على عقلك وفكرك .

لقد خلقك الله مخلوقاً عقلاً. ووهبك هذا العقل لكي تكون وكلاً عليه. لا تستعمله إلا في الأمور الصالحة، ولا تخزن فيه إلا كل فكر نقي. حتى لا يخرج من عقلك الباطن ما يعكر نقولك، وما يسعى إلى عواطفك، وما يسعى إلى علاقتك بالله والناس ...

عقلك هو مخزن لأفكارك ، وهو المدير لها . هو مستقبل من الحواس، ويصتر إلى القلب، ويشعل الأحاسيس، ويقود الإرادة. وأنت وكيل لهذا العقل، عليك أن تضبطه في المعيار السليم، وتوقفه إذا انحرف ...

لما إن تركت عقلك يسرح حيثما يشاء بلا ضابط، فسوف يسألك الله عنه قائلاً "اعطني حساب وعقلك". وتدان على عدم ضبطك للفكر، وما ينتج عن ذلك .

✽ ✽ ✽

٥ - أنت أيضاً وكيل على مالك :

المال الذي عندك، ليس هو لك. إنما أنت وكيل عليه، تتصرف فيه كما يريد إلهك أن تتصرف. لا تقل أنا حرّ في مالي، افعل به ما أشاء! لا تقل إن الله لا يملك من مالي سوى العشر، والباقي أنا حرّ فيه، لا شأن لله به!! كلا، فأنت مسئول أمام الله عن كل ما تنفقه، لأنك مجرد وكيل ، ولست تملك في واقع الأمر ما عندك.

انظر ، كيف أن الناس عندما تبرعوا لبناء الهيكل، قالوا للرب "منك الجميع، ومن يدك اعطيناك" أيها الرب، كل هذه الثروة التي هيأها لنا لنبنى لك بيتاً لاسم قدسك، إنما هي من يدك، ولك الكل" (١ أي ٢٩، ١٤، ١٦) .

إن الله هو صاحب المال. وما تنفقه منه ينبغي أن يكون حسب مشيئته. سواء كان ما

تتفق هو من مالك، أو مال الكنيسة، أو مال جمعية، أو إحدى المؤسسات. فى كل ذلك أنت مجرد وكيل .

والناس فى تصرفهم فى المال ينقسمون إلى قسمين: قسم بخيل، يده مقبوضة لا تنفق إلا بصعوبة، ويظن أن البخل لون من الأمانة فى المال. وقسم آخر يبعثر المال، وينسى أنه مسئول عما يبعثره!! والوضع الصحيح هو الحكمة فى التدبير ...

أنت أيضاً وكيل على البكور والعشور: إذا لم تعطها لأصحابها من الفقراء أو الكنيسة، يكون هذا المال الذى احتجزته عندك ولم تقدمه لأصحابه هو مال ظلم، ظلمت أصحابه فيه. وعنه قد قال الرب "اصنعوا لكم أصدقاء من مال الظلم" (لو ١٦ : ٩). فالفقراء الذين تعطيتهم من هذا المال المحجوز عندك وهو من حقهم، سيصلون لأجلك إن أعطيتهم إياه.

والكتاب صريح فى هذه النقطة . إذ يقول الرب فى سفر ملاخى النبى: "أيسلب الإنسان الله؟! فإنكم سلبتموني. فقلتم بما سلبناك...؟ فى العشور والقدمة.." (ملا ٣ : ٨) .

ليس فقط من جهة العشور والبكور والقدمة، بل إن الله بصفته صاحب المال كله، فإنه يقول لك كوكيل له على هذا المال "من سألك فأعطه. ومن أراد أن يقتضى منك فلا ترده" (مت ٥ : ٤٢) .

بعد هذا نسأل : هل الذين يعيشون فى ترف زائد، وينفقون على أنفسهم بإسراف فى شتى الكماليات، ولا يعطون الفقراء: هل هؤلاء أمناء كوكلاء على المال؟! أم أنهم فى إنفاقهم يحابون أنفسهم على حساب الفقراء! .

٦ - أنت إذن وكيل على خدمة الفقراء .

سواء من مالك الخاص، أو من مال الكنيسة، أو مال مؤسسات خيرية. مشكلة بعض الهيئات أنها تساعد الأسرات الفقيرة بأسلوب روتينى عن طريق كشف به مساعدات موحدة ثابتة تصرف لكل أسرة، دون بحث احتياجاتها عملياً، وسداد هذه الاحتياجات ! مما يلجئ هذه الأسرات المحتاجة أن تطلب من مصادر متعددة.. ويتهمونها حينئذ بالاحتيال! فلا هم أعطوها كل ما يسد احتياجاتها، ولا تركوها وشأنها تطلب من غيرهم!!

كوكلاء عن الفقراء، ليس هذا الأسلوب مقبولاً منهم، ولا هو مقبول عند الله! إنما الوكيل الأمين يبحث كل متطلبات الفقير ويتأكد من استيفائها.

يقولون وماذا عن المحتالين، الذين يطلبون من الكل بغير احتياج؟! نقول لقد وصف

الرب الوكيل بأن يكون أميناً حكيماً. والحكمة تقتضى أن مال الرب الخاص بالمحتاجين، لا يُعطى للمحتاجين. ويأتى هذا بالبحث الجيد للحالات، وتنسيق العطاء بين كافة الهيئات... إن هدف كل من يقدم العشور أن يصل عطاؤه إلى الله، وإلى الفقراء بالذات. وعلينا كوكلاء أمماء للفقراء أن نطمئن على وصول العطاء إليهم .

✱ ✱ ✱

٧ - أنت أيضاً وكيل فى الخدمة الروحية .

يقول القديس بولس للرسول فى هذا الأمر "قد استؤمنت على وكالة" "قويل لى إن كنت لا أبشر" "إن الضرورة موضوعة على" (١كو ٩: ١٧، ١٦). إذن هى وكالة. وويل لمن لا يقوم بوكالته ..

أنت مثلاً مدرس فى مدارس الأحد ، والضرورة موضوعة عليك أن تعلمهم فى هذه المس. وقد استؤمنت على هذه المسئولية التى أولكتها للكنيسة إليك، فويل لك إن لم تقم بها بكل أمانة، بأن تخرس فيهم الإيمان ومحبة الله، ومعرفة العقيدة وممارسة الفضائل. وإلا فإن الله سيقول لك "أعط حساب وكالتك" (لو ١٦: ٢). ويحاسبك على كل نفس ضلّت بسبب أهملك أو تقصيرك.

ونفس الكلام نقوله عن الوكلاء على خدمة الشباب.

ونقوله أيضاً للأباء الكهنة فى خدمة الشعب واقتفاده، وحلّ مشاكله، وإرشاده وتلقى اعترافاته، كوكلاء أمماء، الضرورة موضوعة عليهم. وسيطال بهم الله بدم كل إنسان أهملوه، فمات فى خطيته بسببهم (حز ٣: ١٨) (خر ٣٣: ٨).

ما أجمل وأعظم التقرير الذى قدمه ربنا يسوع المسيح عن خدمته لله الأب فى (يو ١٧). قال له فيه "أنا أظهرت إسمك للناس الذين أعطيتنى" "حين كنت معهم فى العالم كنت أحفظهم فى اسمك.. ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب" "عرفتهم اسمك، وسأعرفهم. ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به، وأكون أنا فيهم" (يو ١٧: ٢٦) .

✱ ✱ ✱

٨ - وفى الخدمة الروحية، أنت أيضاً وكيل على التعليم الدينى.

فتقدم التعليم الكتابى ، الأرثوذكسى، السليم. كما قال القديس بولس لتلميذه تيطس "أما أنت فتكلم بما يليق بالتعليم الصحيح" (تى ٢: ١)

نقول هذا لأن البعض يعلم فكره الخاص وليس تعليم الكنيسة!! ويحاول أن يلغى

المفهوم العام الراسخ في إيمان الناس، لئلا يتدع مفهوماً جديداً يقدمه لهم. وهكذا يقع في بدعة، ويشغل طاقات الكنيسة في الرد عليها!! كل ذلك ليثبت أنه يفهم ما لا يفهمه غيره... ولهذا قال القديس يعقوب الرسول "لا تكونوا معلمين كثيرين يا اخوتي، عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم. لأننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا" (يع ٣: ١، ٢) -

وقد حارب السيد المسيح هذا النوع من الناس، كالكتبة والفريسيين، وقال عنهم إنهم "قادة عميان"، وأظهر أخطاءهم في التعليم (مت ٢٣).

لذلك أحرص في خدمة التعليم - كوكيل أمين أنك لا تقدم للناس تعليماً، إلا لو كان لك عليه شاهد من الكتاب المقدس، وبتفسير سليم حسب عقيدة الكنيسة، سواء في ذلك خدمة المنبر، أو التأليف، أو الإرشاد، أو خدمة الكلمة عموماً.

ومن حرص الكنيسة على التعليم السليم، قول القديس بولس الرسول "إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم به، فليكن أنانيما" (غل ١: ٨). وقال القديس يوحنا الرسول "إن كان أحد يأتيكم ولا يجيء بهذا التعليم، فلا تقبلوه في البيت، ولا تقولوا له سلام..". (٢ يو ١٠: ١١). ومن حرص الكنيسة على التعليم، أنها عقدت المجامع المسكونية والأقليمية لتحفظ سلامة التعليم من البدع.



٩ - أنت أيضاً وكيل على المواهب التي يمنحك الله إياها .

"كل موهبة صالحة هي من فوق، نازلة من عند أبي الأنوار" (يع ١: ١٧) وهي معطاة منه، لأجل البنیان .

وأنت كوكيل على كل موهبة يعطيك الله إياها، لتستخدمها لمجد اسمه، وليس لمجدك الخاص. كما قال المرتل في المزمور "ليس لنا يارب ليس لنا، لكن لاسمك القدوس أعط مجداً" (مر ١١٥: ١) .

لقد وهب الله بعض الناس موهبة العلم، فاستخدموه في الاستسناخ وفي تنويع البويضات المحصبة، وفي الأسلحة المدمرة!! واستخدمت ايزابيل نكائها في مساعدة زوجها آخاب الملك على سلب حقل نابوت اليزرعيلي وقتله (١ مل ٢١). وحاول أخيتوفل استخدام ذكائه للفتك بدود الملك (٢ صم ١٥: ٣٢) . ووهب الله دليلاً جماًلاً فاستخدمته للسيطرة على شمشون وإيقاعه (قض ١٦). أما أنت فلا تكن كذلك.

إن وهبك الله موهبة، فكن وكيلاً صالحاً عليها. سواء موهبة في الفن والرسم، أو

لشعر والموسيقى (كما كان يفعل داود). وإن وهبك ذكاء وحكمة، لو وهبك جمالاً. ليكن كل ذلك لبناء ملكوته، ولمنفعة المجتمع والكنيسة.

لا تكن مثل الذين يطلبون من الله موهبة الألسنة، لكي يفتخروا بها، ويظهروا أنهم قد وصلوا إلى حالة الملء من الروح !!

وإن وهبك الله قوة، فكن وكيلاً عليها لاستخدامها في الخير .

لقد وهب الله أيجاييل حكمة ، فاستخدمتها في نصيح داود وانقاذه من الانتقام والقتل (اصم ٢٥: ٣٣). فكانت وكيلة أمينة على الموهبة .

كل موهبة هي نعمة من الله. وقد نصحننا القديس بطرس الرسول قائلاً "ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً، كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة" (١بط ٤: ١٠) .



١٠ - أخيراً الوكالة على سرائر، وهي خاصة برجال الكهنوت

وفي ذلك يقول القديس بولس الرسول "فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح، ووكلاء سرائر الله" (١كر ٤: ١) .

فالأب الكاهن أعطاه الله في سر الكهنوت سلطان الحل والربط (مت ١٨: ١٨) فليكن وكيلاً أميناً على هذا السلطان لا يستعمله إلا بحكمة وعدل. وأعطاه إقامة سر الزواج، فكوكيل أمين لا يعطيه إلا حسب قانون الكنيسة ، وبحاصة الذين يريدون الزواج بعد الطلاق، أو يكونون من طائفة أخرى .

وكوكيل على سر التناول، لا يمنحه إلا لمستحقه .. وهكذا ...

الباب الثاني

ملوك السامرة

(أ) مثل الكنز المخفي - واللؤلؤة

كثيرة الثمن «مت ١٣: ٤٤، ١٥»

(ب) كل كاتب متعلم يخرج من

كنزه جديداً وعتقاء

«مت ١٣: ٥٢»

ملكوت السموات :

غالبية أمثال السيد المسيح تبدأ بعبارة "يشبه ملكوت السموات..." ولاشك أنه يفهم من هذه الحقيقة الآتى :

إن موضوع ملكوت السموات كان يشغل السيد الرب ..

وكان يشغله من بدء رسالته على الأرض ..

فمثلاً نقرأ فى أول اصحاح من إنجيل مارمرقس أن السيد الرب "جاء إلى الجليل، يكرز ببشارة الملكوت. ويقول قد قرب الزمان واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل" (مر ١ : ١٤). وفى ذلك يقول عنه إنجيل متى إبه كان "يطوف كل الجليل، يعلم فى مجلسهم، ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب" (مت ٤ : ٢٣).

وتبدأ عظته على الجبل بعبارة "ملكوت السموات" أيضاً فيقول "طوبى للمساكين بالروح، فإن لهم ملكوت السموات" (مت ٥ : ٣) . ويكرر عبارة "ملكوت السموات" فى قوله "طوبى للمطرونيين من أجل البر، فإن لهم ملكوت السموات" (مت ٥ : ١٠) ويقول أيضاً "إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين، لن تدخلوا ملكوت السموات" (مت ٥ : ٢٠) . وعارة "السموات" تتكرر مراراً فى هذه العظة .

فما معنى قوله "قد اقترب الملكوت" (مر ١ : ١٤) .

لاشك أن الله يملك السموات والأرض . وقد قيل فى المزمور "للرب الأرض وملؤها، المسكونة وجميع الساكنين فيها" (مز ٢٤ : ١) . ونقول له كل يوم فى آخر الصلاة الربية

"لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد، آمين" (مت ٦: ١٣) .

لكن أتى وقت بدأ فيه للشيطان يختطف هذا الملك عملياً. وقيل عنه في الإنجيل إنه "رئيس هذا العالم" (يو ١٤: ٣٠) (يو ١٦: ١١). وهكذا تمكن الشيطان أن يقود العالم القنيم إلى الفساد وإلى الوثنية وعبادة الأصنام. واستمر هذا الأمر حتى بداية المسيحية حيث كانت تقاوم من الوثنية مقاومة شديدة .

ولما بدأ السيد المسيح رسالته ، قال قد اقترب الملكوت، ولم يقل قد جاء الملكوت، لأن الملكوت بدأ على الصليب، حينما ملك الرب إذ اشترقا بدمه...

فنادى السيد : قد كمل الزمان، زمان النبوءات والرموز التي تحققت . واقترب الملكوت . لأنه لم يبق سوى حوالى ثلاث سنوات ونقول "الرب قد ملك ولبس الجلال" (مز ٩٢: ١) "الرب قد ملك، فلتبتهج الأرض" (مز ٩٧: ١). إنه ملكوت أعد الرب بصليبه، لكي يناله الناس بالإيمان والتوبة. لذلك قال "فتوبوا وآمنوا بالإنجيل" (مر ١: ١٤). وهكذا نادى الرب بملكوت السموات وقال "وأما من عمل وعلم، فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السموات" (مت ٥: ١٩) .



ونكر للناس أمثالاً كثيرة تبدأ بهبة يشبه ملكوت السموات.. ومن ضمنها الأمثلة التي قالها عن لزراع ، وعن الحنطة والزوان، وعن الخميرة، وحب الخردل، والكنز المخفى في الحقل، واللؤلؤة الكثيرة الثمن، والشبكة المطروحة في البحر، والكاتب المتعلم الذي يُخرج من كنزه جنداً وعتقاء .. وكل هذه قد كتبت في الإصحاح ١٣ من إنجيل متى .

يضاف إليها مثل العذاري، ومثل الوزنات في (مت ٢٥) .. إلخ .
وأمثالاً كثيرة وردت في إنجيلي متى ولوقا .

وحتى بعد قيامته ، قضى مع تلاميذه أربعين يوماً يحدثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله" (أع ١: ٣). وعلمنا أن نصلي قائلين "يا رب ملكوتك" (مت ٦).



ونحن نعترف به كملك. ونفاديه قائلين "يا ملك السلام، اعطنا سلامك". وفي مقدمة قراءة الإنجيل نقول "ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكانا كلنا..". وفي سفر الرؤيا رآه القديس يوحنا جالساً على عرشه (رؤ ٤: ٢، ٣). ونرتل له في المزمور قائلين "قامت الملكة عن

يميلك أيها الملك" (مز ٤٥). وفى يوم الجمعة الكبيرة من أسبوع الآلام ، نرتل له ذلك المزمور العجيب "عرشك يا الله إلى دهر الدهور. قصيب الاستقامة هو قضيب ملكك" (مز ٤٥ : ٦).

ونحتفل به فى أحد الشعانين كملك . وقد نحدث دانيال النبى عن ملكوته فقال "سلطاناه سلطان أبدي ما لن يزول. وملكوته ما لا ينقرض" (٧١ : ١٤) .

✱ ✱ ✱

على أنه لا تزال هناك مقاومات لملكوته .

لا يزال العدو يزرع زواناً وسط حنطته (مت ١٣ : ٢٥).

ولعلنا نسأل متى تنتهى هذه المقاومة؟ ستتتهى حينما "يسلم الملك لله الأب" "وتبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة" "لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه. وآخر عدو يبطل هو الموت" (١ كو ١٥ : ٢٤ - ٢٦) .

✱ ✱ ✱

وحينئذ يبدأ الملكوت الأبدى ..

لا تكون هناك خطية، ولا موت. ولا يكون هناك عمل للشيطان. ويملكوت الله يملك البر. "حينئذ يضئ الأبرار فى ملكوت أبيهم" (مت ١٣ : ٤٣). ويملك الرب على الأرواح والأجساد. كما قيل عنه إنه "إله أرواح جميع البشر" (عد ٢٧ : ١٦). وعندما أقام لعازر من الموت، لم يقم جسده فقط، بل نادى على روحه أيضاً، حينما قال : "لعازر هلم خارجاً" (يو ١١ : ٤٣) .

أسرار الملكوت :

وأمثال الملكوت :

السيد المسيح له المجد شبه الملكوت للشعب بأمثال، ولما سأله تلاميذه "لمذا تكلمهم بأمثال؟" (مت ١٣ : ١٠) أجابهم بقوله :

"لأنه قد أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت الله"

"وأما هؤلاء ، فلم يعط" (مت ١٣ : ١١) .

فأسرار ملكوت الله قد أعطيت لتلاميذ الرب، وليس لباقي الناس. وهذه الأسرار الخاصة بالملكوت كثيرة. وقد تحدث بولس الرسول عن السر المكتوم فقال "أعطيت هذه

النعمة أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح.. وأثير الجميع فى ما هو شركة السرّ المكتوم منذ الدهور" (أف: ٣: ٨، ٩) وأيضاً قال "السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال. ولكنه الآن أظهر لتقديسه.." (كو: ١: ٢٦). أنظر أيضاً (رو: ١٦: ٢٥) .

✱ ✱ ✱

فما هى أسرار ملكوت الله هذه ؟

★ لعل فى مقمّتها سرّ التّجسد والعداء. حيث يقول القديس بولس الرسول أيضاً "عظيم هو سرّ النّقى، الله ظهر فى الجسد.." (١تى: ٣: ١٦) .

★ كذلك سرّ اتحاد المسيح بالكنيسة كعروس للمسيح، حيث قال "ويصير الإئتلاف جسداً واحداً. هذا السرّ عظيم. ولكننى أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة" (أف: ٥: ٢١، ٢٢) .

★ سرّ آخر خاص بالقيامة والمجئ الثانى، حيث قال "هوذا سرّ أقوله لكم : لا نرقد كلنا، ولكننا كلنا نتغير. فى لحظة فى طرفة عين، عند البوق الأخير. فإنه سيوق، فيقام الأموات عديمى فساد، ونحن نتغير. لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت" (١كو: ١٥: ٥١-٥٣) .

✱ ✱ ✱

★ سرّ آخر هو عن إيمان اليهود فى آخر الزمان، وعنه قال الرسول: "لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا هذا السرّ.. أن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأمم. وهكذا، سيخلص جميع إسرائيل" (رو: ١١: ٢٥، ٢٦). أى يخلصون بدحولهم فى الإيمان، خلاصاً روحياً..

★ وما أكثر أسرار الملكوت كما وردت فى الكتاب. ولكن ليس مجالها الآن..

✱ ✱ ✱

هناك أسرار أعلنها الرب لتلاميذه، وأقول حصصهم وحدهم بها. لذلك عندما تحدث عن الاستعداد لمجئ الرب، سلّوه .

"أنا قلت يارب هذا المثل، أم قلته للجميع أيضاً" (لو: ١٢: ٤١).

فقال لهم "يا ترى من هو الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على عبيده، ليعطيهم طعامهم فى حينه.." (لو: ١٢: ٤٢).

إس فالتلاميذ كانوا يختلفون عن الجميع فيما يعرفونه من الرب. فقد أعطيت لهم

أسرار الملكوت، ولم تعطَ للجميع .

فلماذا لم تعطَ لأولئك؟ ربما من أجل قساوة قلوبهم. وإيضاً بسبب رفضهم له. ولأن لهم عيون لا تبصر "فهم مبصرين لا يبصرون، وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون" (مت ١٣: ١٣). أما عن التلاميذ ، فقد قال الرب لهم :

"لكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر، ولأذانكم لأنها تسمع" (مت ١٣: ١٦) .

فإن أردتم أنتم أيضاً أن تصل إليكم أسرار الملكوت، ينبغي أن تكون لكم العيون التي تبصر ، والآذان التي تسمع. التي تحب أن تسمع، وتفهم ما تسمع ..
لأن تلاميذ الرب لم يكونوا كالباقين الذين أغلقوا عيونهم لكي لا تروى، وسنوا أذانهم لكي لا تسمع.. الذين كانت قلوبهم ثقيلة. يسمعون الكلمة ولا يلتقطونها، ولا يدخلونها إلى قلوبهم. بل يهربون مما يحتاجون إليه!!

✱ ✱ ✱

وهكذا قال الرب لتلاميذه في تعريفهم أسرار الملكوت :

"لأن من له ، يُعطى فيزداد" .

"أما من ليس له ، فللذى عنده سيؤخذ منه" (مت ١٣: ١٢) .

فما معنى هذه العبارة ؟ وكيف يمكن إطباقها ؟

★معناها : إن الذى يقبل كلمة الله ، يُعطى إيراًكاً روحياً لفهمها. والذى عنده الفهم الروحى، يُعطى إرادة قوية لكي ينفذ .

★أما الذى لا يقبل كلام الله، ولا يريد ذلك ، فحتى للكلمة التى أعطيت له تُزرع منه. لأنه لم يخبثها فى قلبه .

★الذى يسمع ويعمل، يعطى معرفة أكثر. يؤمن على المعرفة، ويُعطى إنكشافاً أكثر (Revelation) . أما الذى لا يستفيد من المعرفة، فإن هذه المعرفة تُزرع منه .

★الذى له القلب المشتاق والمحِب لمشئنة الله، تُعطى له الإرادة القادرة على القيام بهذه المشئنة وتحويلها إلى عمل ...

★والذى ليس له هذا الاشتياق ، فلا يكشف له الله مشيئته :

(ومن له أذانان للسمع فليسمع)

(١)

مَثَلُ الْكَنْزِ الْمَخْفِي وَاللُّؤْلُؤَةِ الْكَثِيرَةِ الثَّمَنِ

(مت ١٣ : ٤٤-١٥)

قال السيد الرب "يشبه ملكوت السموات كنزاً مخفياً في حق، وجده إنسان فأخفاه. ومن فرحه مضى وباع كل ما كان له واشترى ذلك الحق". "وليضاً يشبه ملكوت السموات إنساناً تاجراً يطلب لآلئ حسنة. فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمر، مضى وباع كل ما كان له واشتراها" (مت ١٣ : ١٤، ١٥) .

هنا نجد نوعين في طريقة الحصول على الكنز: نوعاً وجده بدون قصد ولا جهد. ونوعاً آخر سعى حتى وجد .

✽ ✽ ✽

النوع الذي وجد الكنز دون سعي، مثله شاول الطرسوسي :
إنه لم يكن يسعى إطلاقاً إلى المسيح ولا إلى ملكوته، بل كان سائراً في اتجاه عكسي تماماً. ولكنه وجد هذا الكنز في الطريق دون أن يقصد "دون أن يشاء أو يسعى" (رو ٩ : ١٦). بل قابله الرب في طريق دمشق، وعاتبه ودعاه إلى خدمته ليكون إناء مختاراً ورسولاً إلى الأمم (أع ٩ : ١-١٥) .

فلما وجد شاول هذا الكنز، باع كل ما كان له واشتراه (مت ١٣ : ٤) . وقال في ذلك :
".من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نقاية - لكي أربح المسيح وأوجد فيه" (في ٣ : ٧-٩) .

✽ ✽ ✽

وبنفس الوضع بطرس وإندراوس ، وفيلبس وثئانليل، ومتى.

ما كان واحد منهم يسعى ليكون خادماً للمسيح، بل ما كانوا يعرفونه.. كان سمعان وإندراوس أخوه صيادين. وفيما كانا يقيان شبكة في البحر، قال لهما الرب "هلم ورائي، فأجعلكما نصيران صيادي الناس. فقلو قتا تركا شباكهما وتبعاه" (مر ١٦ : ١٨).

ونفس الوضع حدث مع يعقوب بن زبدي ويوحنا أخيه. وجدهما الرب "وهما في السفينة يصلحان الشباك . فدعاهما للوقت . فتركا أناهما زبدي في السفينة مع الأجراء، وذهبا وراءه" (مر ١٦ : ١٩ ، ٢٠) .

وتكرر نفس الوضع أيضاً مع تلميذ آخر، أو تكرر مع آخر صار تلميذاً: فيما كان الرب مجتازاً، "رأى إنساناً جالساً عند مكان الجبابة اسمه متى. فقال له اتبعني. فقام وتبعه" (مت ٩ : ٩) . تكررت القصة أيضاً مع فيلبس وثئانليل (يو ١ : ٤٣ - ٥١) .



ما كانوا يسعون وراء لآلى حسنة (مت ١٣ : ٤٥). وإنما الرب هو الذي جاء إلى طريقهم. وكل منهم وجد هذا الكنز المخفي، فباع من أجله كل شيء" (مت ١٣ : ٤٤) .
هم لم يسعوا لإكتناء الكنز، إنما وجدوه في طريق الحياة، وباعوا كل شيء من أجله: تركوا السفينة والشباك والأب ومكان الجبابة، وهم يقولون له "تركنا كل شيء وتبعاك" (مت ١٩ : ٢٧) (مر ١٠ : ٢٨).



النوع الآخر الذي سعى وتعب حتى وجد الرب: مثاله أوغسطينوس وموسى الأسود. أحدهما كان فاجراً، والآخر كان قاتلاً .

بجهد كثير أمكن لأوغسطينوس أن يجد الرب: لم يجده في ملاذ العالم، ولم يجده في الفلسفة، إذ كان "يطلب لآلى حسنة" . وأخيراً قال له "تقد تأخرت كثيراً في حبك، أيها الجمال العائق الوصف" كنت يارب معي. ولكنني من فرط شقاوتي لم يكن قلبي معك.. وبعد السعي والجهد، وجد أوغسطينوس "اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن" (مت ١٣ : ٤٦) "فباع كل شيء واشتراها" باع الفلسفة، وباع ملاذ العالم. ووجد المسيح وملكوته .

وبنفس القصة - ولكن بوجه آخر - وجد موسى الأسود الكنز المخفي وجده مخفياً في حياة البرية والسكون، في حياة الوداعة والصلاة. فباع من أجله كل شيء واشتراها .



كل من النوعين: الذى يسعى، والذى لم يسعى - فرح بما وجده.

فرح بهذا الكنز الذى هو المسيح ، وباللؤلؤة الكثيرة الثمن التى هى متعة الحياة مع الرب. وجد أن كل ملاذ العالم لا تساويها وكذلك كل غنى العالم وسلطانه . وهذا أيضاً هو ما حدث مع موسى، حينما كان أميراً فى قصر فرعون: يقول عنه الكتاب إنه "حسب عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر" لذلك "أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون" ورفض أن يكون له تمتع وقتى بالخطية" (عب ١١: ٢٤ - ٢٦) .

الأمور المشتركة فى كل أصحاب الأمتلة السابقة : أنهم وجدوا الكنز، وفرحوا به، وباعوا كل ما كان لهم من أجله.



وهنا نسلل : ما هو الكنز ؟

★ من الجائز أن يكون هو الملكوت . إذ قيل فى بداية المثل "شبه ملكوت السموات" .
فالكنز هو الملكوت، أو هو الخلاص .

★ ويمكن أن يكون الرب نفسه هو للكنز ، كما تقول المزامير " الرب قد ملك " (مز ٩٣: ١) (مز ٩٦: ١٠) (مز ٩٧: ١) (مز ٩٩: ١) . لأن الملكوت هو ملكوت الرب .
فيكون الكنز هو الرب وملكوته .

★ ويمكن أن نقول إن الكنز هو "النصيب الصالح الذى لن ينزع منا" . كما قال الرب لمرثا أخت مريم. ووصف هذا النصيب الصالح وأهميته ، بعبارة : "ولكن الحاجة إلى واحد" (لو ١٠: ٤٢) .

وعلى أية للحالات ، كل هذه تعبيرات تؤدى إلى معنى واحد .



قيل إن هذا الكنز كان مخفى فى حقل .

وهنا نضع أمامنا ملاحظة عجبية . وهى أن كثيراً من الناس إذا رأوا حقلاً، يهتمون بالشئ الظاهر فيه، أى يهتمون بما فيه من أشجار، ومن ثمار وحضروا وباقى المزروعات.. دون أن يهتموا بما هو مكتوز فيه..! بينما الكنز المخفى فى الحقل هو أهم ما فيه..

مثال ذلك من نعبه آية فيحفظها ويكررها، دون أن يدرك العمق الذى فيها، واللؤلؤ الكثير الثمن الذى فيها! هذا الذى لا يجده إلا بتأمل روحى عميق. مثل هذا اهتم بالحقل فى

مظهره الخارجى، دون للكنز المخفى فيه ...

وأحياناً يكشف الله لنا تلك المعانى الروحية دون أن نطلب .

تصلى مثلاً مزموراً طالما كررته من قبل. ولكنك فى مرة معينة يتكشف لك جمال معين فى بعض آياته، ما كنت تراه قبلاً، ولم تسع إلى فحصه والتأمل فيه.. وتشعر أنك وجدت كنزاً مخفياً فى حقل ...



يوصف الكنز بأنه شئ ثمين كان مخفياً. والكل يطلبونه ، ويفرحون عندما يجدونه. ويتعلق قلبهم به. ولذلك يقول الكتاب :

"حيث يكون كنزك، هناك يكون قلبك أيضاً" (مت ٦: ٢١) .

أنت مثلاً - من جهة الإيمان - وصلك هذا الكنز ، دون أن تتعب فى البحث عنه والسعى إليه. كما قال بولس الرسول عن مواطنته الرومانية "أما أنا، فقد وكّلت فيها" (أع ٢١: ٢٨). هكذا أنت وكّلت فى الإيمان ...

ما أكثر الذين يتعبون ويبحثون، لكي يصلوا إلى هذا الإيمان الذى نلتته أنت بسهولة. وهم مثل التاجر الذى يطلب لآلئ حسنة. ويظل يبحث حتى يحد أخيراً اللؤلؤة الكثيرة الثمن". فيهرح بها .

وإن كنت أنت قد وجدت هذه اللؤلؤة الثمينة، بدون تعب.. فهل استجبت لها، وثبتت فيها، وبعثت كل شئ من أجلها ؟



أما إن كان الكنز هو كتابنا المقدس :

فكلمة (مخفى) تدل على المعانى العميقة المحفأة فيه، التى لا يراها كل أحد.. كم من معارف وحقائق كانت مخفأة فيما بحويه الكتاب المقدس من رموز ونبوءات. كان اليهود يقرأونها "والبرقع موضوع على قلوبهم" (٢كو ٣: ١٥). فما كانوا يفهمون ولا يدركون، ولا ينكشف الكنز لهم..!

ما أكثر النبوءات الموجودة فى سفر اشعيا النبى، وفى رؤى دانيال النبى، ورؤى حرقياى ، وفى المزامير. ولكنها كانت كنوزاً مخفأة فى حقل. وكان الحقل هو الكتاب المقدس .

ولذلك فإن الرب ، لما ألتقى بتلاميذه بعد القيامة، قيل عنه :

"حينئذ فتح ذهنهم، ليفهموا الكتب" (لو ٢٤: ٤٥) .

وقال لهم هكذا كان مكتوب ، وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث ، ويكرز باسمه..".

ولما قابل تلميذى عمواس بعد القيامة "ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب" (لو ٢٤: ٢٥-٢٧) .

✱ ✱ ✱

كلها كنوز مخفية في حقل، مثل كنوز في سفر الرؤيا لا تزال مخفية عنا ، ومثل قوله لرسله القديسين "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه.." (أع ١: ٧). ومثال ذلك أيضاً كثير من الأرقام في الكتاب، تمثل كنوزاً مخفية في حقل .

من أجل الكنوز المخفية في الكتاب، نقول للرب في صلواتنا :

"غريب أنا على الأرض، فلا تخف عني وصاياك" وأيضاً "أكشف عن عيني، فأرى عجائب من ناموسك" (مز ١١٩: ١٧، ١٨) .

لبنّا إذن نقرأ الكتاب بعمق ، لنعرف الكنوز المخبأة فيه، ولا نكتفى بقراءة سطحية تهتم بزهور الحقل دون كنوره! وإن لم نعرف، علينا أن نقرع باب الله لكي يفتح لنا، فنأخذ من تلك الكنوز "جداً وعتقاً" (مت ١٣: ٥٢) .

✱ ✱ ✱

قيل في هذا المثل إنه لما وجد الكنز أخفاه (مت ١٣: ٤٤)، فماذا تعنى كلمة (أخفاه)؟

إنها تذكرنا بقول المرتل في المزمور :

"أخفيت أقوالك في قلبي، لكي لا أخطئ إليك" (مز ١١٩: ١١) .

أى كنزتها في قلبي ، أغلقت عليها في قلبي، حتى لا تخرج منه. وفيما هى في قلبي، تختلط بمشاعري وأحاسيسي، وتصبح جزءاً من كياني .

هذا كله من جهة كلام الله ككنز . هذا الذى قال عنه المرتل في المزمور "أحببت وصاياك أفضل من الذهب والجوهر" (مز ١١٩: ١٢٧) وأيضاً "أبتهج أنا بكلامك كمن وجد غنائم كثيرة" (مز ١١٩: ١٦٢) .

✱ ✱ ✱

لما إن كان المقصود بالكنز : السيد المسيح ، فقد كان مخفياً عن الناس، حتى أهل عصره الذى ولد فيه .

ما كانوا يعرفون أنه ابن الله . "لأنهم لو عرفوا ، لما صلبوا رب المجد" (١كو ٢ : ٨) .
حتى أن بطرس لما اعترف قائلاً "أنت هو المسيح ابن الله الحي" ، طوبه الرب وكافاه
(مت ١٦ : ١٧ ، ١٨) . وذلك لأن أنلساً كانوا يقولون عنه إيليا أو أرميا ، أو يوحنا المعمدان ،
أو واحد من الأنبياء" (مت ١٦ : ١٣ ، ١٤) .

والشيطان نفسه ما كان يعرف حقيقته ، فسأله على جبل التجربة قائلاً "إن كنت ابن
الله، فقل أن تصير هذه الحجارة خبراً.." (مت ٤ : ٣) .

وحتى رئيس الكهنة ما كان يعرف من هو . فقال له أثناء محاكمته أمام مجلس
السندريم "استحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟" (مت ٢٦ : ٦٣) . ولما
عرف منه ذلك، مرق ثيابه وقال : قد جئت!!

ويوحنا المعمدان شهد له قائلاً لليهود "فى وسطكم قائم الذى لسم تعرفونه" (يو ٣ :
٢٦) . ولذلك قال عنه الإنجيل :

"فى العالم كان ، ولعام به كون ، والعالم لم يعرفه" (يو ١٠ : ١١) . حقاً كان المسيح
كنزاً مخفياً فى حقل هذا العالم، وكان كنزاً مخفياً فى الكتاب، وسط نبوات ورموز كثيرة .

✱ ✱ ✱

كان النور الحقيقى ، الذى أضاء فى الظلمة ، والظلمة لم تتركه (يو ١ : ٥) . حتى
ميلاده من عذراء حاربوه . فعمل الرب على إخفاء هذه الحقيقة مؤقتاً وراء حظوية القديسة
العذراء إلى يوسف النجار . فكان أهل بلده يقولون عنه "أليس هذا هو ابن النجار؟" من أين
لهذا هذه الحكمة والقوات؟! .. فكانوا يعثرون به" (مت ١٣ : ٥٤ - ٥٧) .

حتى تلاميذه ما كانوا يعرفون تماماً ما حقيقة هذا الكنز المخفى فقال الرب معاتباً فيلبس
أحد الإثنى عشر قائلاً "أنا معكم زماناً هذه مدته، ولم تعرفنى يا فيلبس؟!" (يو ١٤ : ٩) .. لم
يعرفوا لاهوته، ولا عرفوا علاقته بالآب .. لذلك قال الرب لفيلبس "الذى رأتى ، فقد رأى
الآب .. أأستؤمن أى أنا فى الآب، والآب فى" (يو ١٤ : ٩ ، ١٠) . إن حقيقة المسيح،
عبر عنها بولس الرسول فيما بعد "باعتبارها سرّاً" فقال "عظيم هو سر التقوى: الله ظهر
فى الجسد" (١تى ٣ : ١٦) .

✱ ✱ ✱

الله الآب أيضاً كان كنزاً مخفياً عن العالم الوثنى .
ولذلك قال له الابن فى مناجاته "هذه هى الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى

وحبك، ويسوع المسيح الذى أرسلته" (يو ١٧: ٣) . ولذلك قال "أنا أظهرت اسمك للناس.." (يو ١٧: ٦) . إلى أن قال - حتى عن تلاميذه - "عرفتهم باسمك، وسأعرفهم، ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به، ولكون أنا فيهم" (يو ١٧: ٢٦) . لما عن أهل العالم فقال "ليها الأب البار: إن العالم لم يعرفك. أما أنا فقد عرفتك". ولماذا لم يعرفوه؟.. لأنه كان كنزاً مخفياً فى حقل العالم .

ولا يزال الله كنزاً مخفياً عن الملحنين، حتى الفلاسفة الذين فيهم!!

* * *

نتابع مثل الكنز المخفى.. سواء كان المقصود بالكنز: الملكوت، أو الخلاص، أو الكتاب المقدس، أو الرب نفسه.. فترى أن المثل يقول عن وجده إنه مضى وباع كل ما كان له ، واشتراه ...

هكذا فعل القديس الألبا أنطونيوس ، حينما أطاع قول الرب "إن أردت أن تكون كاملاً، فاذهب وبع كل مالك، واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء، وتعل تبغنى" (مت ١٩: ٢١) . وهكذا فعل بولس الرسول فى قوله "خسرت كل الأشياء وأنا لأصحبها نغبة، لكى أربح المسيح وأوجد فيه" (فى ٣: ٨ ، ٩) .

وهكذا فعل كل الرحومين ، الذين حولوا كنوزهم الأرضية إلى كنوز سملوية .

كما سبق وقال الرب "لا تكتنزوا لكم كنوزاً على الأرض.. بل لكتنزوا لكم كنوزاً فى السماء.. لأنه حيث يكون كنزك، هناك يكون قلبك أيضاً" (مت ٦: ١٩ - ٢١) . ولعل إنساناً يقول "أنا لا أملك كنوزاً على الأرض لكى أتركها للرب" .. نقول لك : أترك ما تكتنزه فى قلبك من شهوات عالمية، ومن رغبات جسدية أو أرضية. لأن كل ما فى العالم ، هو شهوة الجسد، وشهوة العين، وتعظم المحيضة" (يو ١: ١٦) .

* * *

ولكى تصل إلى هذا ، ينبغي أن تعلم أن الكنز السملوى ثمين جداً .

فالتاجر الذى كان يطلب لألى ثمينة، لاشك أنه كانت عنده لألى كثيرة. لكنه لما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن، مضى وباع كل ما كان له واشترأها" . أكتفى بهذه اللؤلؤة الواحدة . لأن "الحاجة إلى واحد" كما قال الرب لمرثا (لو ١٠: ٤٢) .

فليتك تشعر بقيمة هذا الواحد بالنسبة إليك ، لكى تباع كل شئ من أجله، وتوجد فيه، وتغنى مع داود النبى "توقوا وأنظروا ما أطيب الرب" (مز ٣٤: ٨) .

حقاً ، إن الذين ذاقوا حلاوة الرب، تركوا كل شيء لأجله .

✱ ✱ ✱

ولم يشتهو شيئاً آخر سواه. أصبح هو لهم كل ما يحبونه ويتمنونه .

ابراهيم أبو الأباء ترك أهله وعشيرته وأرضه وبيت أبيه. ومضى وراء الرب، وهو لا يعلم إلى أين يذهب (عب ١١ : ٨) . حتى ابنه الوحيد ، لم يجد مانعاً من أن يقدمه محرقة للرب (تك ٢٢). بل الشهداء قدموا حياتهم للسيف وللعديب ، لكي يتمتعوا بالرب في السماء. كان الله هو اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن، التي بسببها باعوا كل شيء واشتروها . وفرحوا بذلك جداً.

(ب)

كل كاتب متعلم .. يخرج من كنزهِ جِداً وعِقاء

(مت ٥٢: ١٣)

في الاصحاح ١٣ من إنجيل متى، ذكر السيد الرب مجموعة من الأمثال عن ملكوت السموات. وكان آخرها هو قوله "كل كاتب متعلم في ملكوت السموات، يشبه رب بيت، يخرج من كنزه جِداً وعِقاء" (مت ٥٢: ١٣)، ونود أن نتأمل هذه العبارة :

الكاتب المتعلم :

الكتبة قديماً - قبل معرفة الطباعة - كانوا هم الذين ينسخون (يكتبون) الكتب المقدسة. لذلك كانوا أعرف الناس بالشرعية، وأكثرهم علماً بالكتاب .

نلاحظ أنه عندما أتى المجوس يسألون "أين هو المولود ملك اليهود؟ فين هيرودس الملك استدعى الكتبة وعرف منهم أن المسيح يولد في بيت لحم اليهودية، حسبما ورد في النبوات (مت ٢: ٤ - ٦) .

وهكذا كان الكتبة من معلمى الشعب. وقال عنهم السيد المسيح "على كرسى موسى جس الكتبة والفريسيون.." (مت ٢٣: ٢) أى كرسى الشريعة والتعليم .

أشهر من يعرفه منهم فى التاريخ (عزرا الكاتب)، الذى كن - مع حميا - قائداً دينياً قديماً بعد الرجوع من المبنى. لكن الكتبة أيام السيد المسيح، كانوا من المرانين، وكانوا

قلعة صبيان يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على كتف الناس، وهم لا يريدون أن يحركوها بلصبعهم (مت ٢٣ : ٤). وقد وقفوا ضد الرب كثيراً، وهاجموه لأنه كان يصنع معجزات في أيام السبت، وقد اعتبرهم الرب كالقبور المبيضة من الخارج، ودخلها عظم شنة (مت ٢٣ : ٢٧) .

ومع التوبيخات التي صلبها عليهم، إلا أنه هنا يتكلم عن (كاتب متعلم) ليس من نوع أولئك المرتدين .

وهو يخرج من كنزهِ جنداً وعتقاء، أى من المهدنين الجديد والقديم .

ولنبداً هنا بأن نتأمل عبارة (يشبه رب بيت) .

رب بيت ؟

فما المقصود بعبارة 'رب بيت' ؟

رب البيت هو المسئول عن إدارة البيت والاتفاق عليه . وهو فى ذلك يخرج من كنزه (أى من ماله) ما يحتاجه البيت . سواء دفع من الأيراد الجديد الذى يأتيه حالياً، أو من العتقاء، من الأموال المخزونة .

وأنت (رب بيت) . وهذا البيت هو ذاك، فكل ما فيها من عقل وقلب وحواس وأحاسيس التى أقامك الرب عليها لكى "تدبر أهل بيتك حسناً" (أى ٣ : ٤) . فتدبر هذه النفس البشرية - التى هى أنت - بما تخرجه من كنزك - أى من المكنوز فى داخلك سواء كان ذلك من الجند أو العتقاء . من الروحيات القديمة التى نشأت بها، أو ما اكتسبته حالياً من روحيات.

نتأمل بعد ذلك ، لتأمل عبارة (من كنزه) :

كنزه :

ما يكنزه الإنسان من معرفة ، يكنزه فى قلبه وفى فكره .

وقد شرح الرب هذا بقوله "الإنسان للصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح . والإنسان للشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر" (لو ٦ : ٤٥) (مت ١٢ : ٣٥) .

لقلب يكتنز فيه الإنسان كل المشاعر والعواطف والأحاسيس . ويكتنز فى فكره كل المعلومات والأفكار . ثم يخرج منهما ما يدخلهما حينما يأتى الوقت المناسب . يُخرج منها

جنداً وعتقاء. الجدد هم الأفكار والمشاعر الجديدة، والعتقاء هم ما اخترن فيهما منذ الماضي.



العقل الباطن تختزن فيه أفكار عتقاء، من كل ما ترسب فيه من قراءات ومناظر ورغبات وأفكار. كلها تبقى في الـ Back Head كشريط مسجل عليه أشياء عديدة، ربما من أيام الطفولة. وقد يصاب إنسان بعقدة نفسية، فيجلس معه طبيب نفسي، لكي يستخرج من ذاكرته ما ترسب فيها منذ القديم وما تسببت عنه هذه العقدة النفسية ...

وقد يعتمد بعض رجال التحقيقات إلى استخراج ما في ذاكرة متهم يرفض أن يبوح بما في داخله. فيعطونه حقنة تجعله في حالة ما بين الغيبوبة والصحو (نصف إدراك)، ولا يكون قادراً على السيطرة على عقله وإرادته. وهكذا يقول ما في داخله .

ويحدث هذا أحياناً لشخص مخدر في عمية جراحية، فقبل أن يفيق منها، في اللحظات التي ما بين الغيبوبة والإدراك، ربما يخرج من كثره (من عقله الباطن) جنداً وعتقاء، تكشف بعض أسرارهم، أو بعض ما يخفيه في حالة ضبط النفس .



فانظر يا أخي ما الذي تكتزّه في عقلك الباطن وفي ذاكرتك .

ربما أمور ليست بذات أهمية، تنساها. بينما أمور أخرى يكون لها عمق في ذاكرتك، وقد لا تستخدمها حالياً، ولكنها تظل مترسبة، وتظهر حينما تدعو الحاجة إليها ...

الطفل الصغير أيضاً يكتز في عقله، في مخيلته، في ذاكرته، في داخل قلبه، كلمات وأفكاراً وصوراً وأحاسيس، ربما يكون قد جمعها من البيت أو من الشارع، أو من المدرسة، أو من وسائل الإعلام، أو من الصور.. وقد يقول في إحدى المرات كلمة تكون غريبة علم أفراد أسرته . فيسألونه من أين أتته؟ قطعاً من (كتزّه) ، من عقله الباطن..



نفس الوضع نقوله أيضاً عن الأحلام .

لو استثنينا الأحلام التي من الله ، وكذلك التي هي محاريبات من العدو، فغالبية الأحلام الأخرى تكون عبارة عن عملية تفريغ لما اكتزّه الإنسان في عقله الباطن ...

وقد يسألنا البعض هل الأحلام الشريرة التي يرونها في نومهم، تعتبر خطية؟ بينما هي بغير إرادتهم! فنقول إنها ليست غير إرادية تماماً، وربما تكون نتيجة لما اخترنه العقل من

أفكار وما اختزنه القلب من مشاعر. وكل ذلك ظهر مختلطاً على هيئة أحلام، تسمى أحياناً شبه إرادية أو نصف إرادية. أما الصور والأحاسيس التي ترفضها الإرادة تماماً، فلما أن الإنسان يرفضها في أحلامه، أو يستيقظ فجأة دون أن يتم .

ما كنزه الإنسان يبقى منضبطاً ومخفياً، طالما هو في وعيه وفي كامل إرادته، ولا يشاء إظهار ما في داخله. فمتى يظهر إذن؟



في حالة الغضب الشديد مثلاً، تظهر من الإنسان أشياء كان يخفيها.

لأنه في غضبه لم يعد مسيطراً على نفسه، ولا متحكماً في كتمان ألفاظه ومشاعره، لذلك تخرج من (كنزه) ألفاظ ينذر أن يستخدمها في أحوال عادية، وكذلك تصرفات ليست معهودة منه. ومع ذلك فهي مكتوزة عنده، ربما في الكنز الشرير الذي في قلبه. لذلك يقول المثل : إذا أردت أن تعرف حقيقة إنسان، إسمعه وتأمله في وقت غضبه .

أى في الوقت الذي لا يكون فيه المكتوز داخله تحت انضباط، فيكون كوعاء مقوب يسيل منه ما في داخله.. أو قد يبعد للبعض على إثارة إنسان، لكي يعرفوا شخصيته المخفية إذا أنكشفت عن طريق الإثارة ...



أنتم حالياً في الصوم الكبير، وفي الطريق إلى أسبوع الآلام: إذا استطعتم أن تأخذوا روحيات هذه الفترة المقدسة بعمق، فسوف تخزنون لكم في قلوبكم وفي أفكاركم ما تتركه فيكم أيام الصوم من تأثيرات روحية، عن طريق القراءات والألحان، والقداسات والعظات، والمطانيب، والتكريات المقدسة. وينفعكم هذا الخزين في أيام الخماسين، حيث لا أصوام ولا مطانيب. إذن املأوا قلوبكم وعقولكم بخزين مقدس له عمقه وله تأثيره ... وفي أيام الخماسين تخرجون من كنزكم جديداً وعتقاء .

البند هي التأملات الجديدة والأفكار الروحية التي ترد إليكم في أيام الخماسين المقدسة. وأما العتقاء، فهي الروحيات المترسبة فيكم من أيام الصوم وما قبله أيضاً ... وهنا يعود إلى قول الرب : كاتب متعلم في ملكوت السموات، يشبه رب بيت، يخرج من كنزه جديداً وعتقاء .

جَدُّوَعْتَاء :

مقدمة نقول : إن القديم له أهميته : فالعتقاء أسس ...

الجزر مثلاً هو الأساس الذى ينشأ عنه السلق والعروغ والأوراق والأزهار والثمار .
ولا يمكننا أن نتجاهله . كذلك أسس البيت هو الذى يبنى عليه البيت كله . والذى ليس له
قديم، قد لا يكون له جديد . وقد قال الرب عن أحد الأنواع فى مثل الراعى :
"وإن لم يكن له أصل، جفا" (مت ١٢: ٦) .

١ ونحن فى التربية نضع اهتماماً كبيراً على هذه الأصول القديمة، على التأثيرات
العتقاء، على ما ترسب فى عقل التلميذ أو الشاب منذ فترة الطفولة والصبا .
ونلاحظ أن الذى يتربى نى الكنيسة فى أحضان مدارس الأحد منذ نشأته الأولى،
ونصبح الكنيسة جزءاً من حياته.. هذا لا يسقط سرعة، وإن سقط يقوم (مز ٣٧: ٢٤)
وكما يقول الكتاب "لا تسمنى بى يا عدوتى، فإنى إن سقطت أقوم" (مى ٧: ٨) .
لذلك نهتم كثيراً بتربية الطفولة، سواء فى محيط الأسرة أو الكنيسة أو المدرسة . كما
نرسم الصفار فى رتبة الأبصلتس (أى المزل)، وبخاصة فى الكنيسة فى المهجر، لكي
نغرس فيه الأصول العتيقة التى تثبت فيه، وتحميه من حروب المستقبل .

* * *

٢ - ربما عبارة الجدد والعتقاء تعنى أيضاً العهدين الجديد والقديم .

ونحن فى كل روحياتنا وعقائدنا، نعتمد على آيات وأحداث من العهدين القديم والجديد .
والسيد المسيح نفسه كان يستخدم هذه العتقاء: فى التجربة على الجبل استخدم آيات من
سفر التثنية، وقال: "كما هو مكتوب .. مكتوب أيضاً" (مت ٤)، بالإضافة إلى الجدد من
تعليمه، حيث قال فى العظة على الجبل "أما أنا فأقول لكم.." (مت ٥)

وبعد القيامة، حينما ظهر لتلاميذه القديسين، قال لهم "لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب
عنى فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير .. حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب" (لو ٢٤: ٤٤، ٤٥) .

هذه هى العتقاء . وما أكثر استشهاد السيد المسيح بكلام الأنبياء والمزامير، وما أكثر ما
أوردته للرسل - وبخاصة فى أنجيل متى- من عبارة "لستم ما قيل بالنبي للقاتل (مت ١، ٢)
لو لستم المكتوب . ويعورنا فى التعليم، ليس فقط الاعتماد على العهد الجديد وحده، بل

أيضاً على أصول العقيدة في العهد القديم، وبخاصة ما فيه من نبوات ورموز ...

✱ ✱ ✱

٣ - عبارة الجدد والعقلاء قد تعنى معنى آخر وهو :

العقلاء هم وصايا الله المكتوبة، والجدد هم ما يوحى به الروح .

هذه الوصايا موجودة في الأسفار الإلهية. أما الجدد حسماً يقول الرب "تُعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به. لأن لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم" (مت ١٠: ١٩، ٢٠).. أحياناً مثلاً تصلى زموراً، فتجد فكراً أو تأملاً جديداً خطر عليك ما كنت تعرفه من قبل. إنه من الجدد، يضاف إلى العقلاء لتنى في كتب التفسير .

✱ ✱ ✱

٤ - إنما الأمر يحتاج إلى إفراز، فلا تقبل كل الجدد التى تأتىك في مجال التعليم،

وبالذات التى تتعارض مع العقلاء من تعليم الآباء

أنت باستمرار -فى نموك فى المعرفة- تضيف الجدد إلى العقلاء. ولا يقف نموك عند حد. فأنت تأخذ من العقلاء أقوال الآباء القديسين، وتأخذ من الجدد ما تعلمه لك الكنيسة . وفى قوانين الكنيسة وقرارات المجامع المقدسة، نضيف إلى العقلاء ما تصدره مجامعنا الحالية من قوانين جدد حول أمور لم تكن معروفة فى القديم .

ويكون بين العقلاء والجدد تكامل، لا تعارض فيه ولا تناقض .

✱ ✱ ✱

٥- عبارة (جدد وعقلاء) تنطبق أيضاً على أسرار الكنيسة وفاعليتها

★ فأنت مثلاً فى سر الميرون، تأخذ من العقلاء ما أعطته لك المسحة المقدسة من سكنى الروح فيك كهيكل لله (١كو ٣: ١٦)، مع ما يمنحه لك الروح من ارشادات جدد فى حياتك. وتعيش بهذه الجدد والعقلاء: بطرس الرسول مثلاً حلّ عليه الروح فى يوم الخمسين مع باقى التلاميذ (أع ٢: ٤). ومع ذلك لما سئل التلاميذ عن معجزة شفاء الأعرج، يقول الكتاب "حينئذ امتلأ بطرس من الروح للقدس وقال لهم.. (أع ٤: ٨). إنه مثال فى حياة الرسل من أعمال الروح الجدد والعقلاء .

★ وفى سر المعمودية، تأخذ النبوة لله من يوم عمادك. هذه من نعم العقلاء. يضاف إليها عمل النعمة فيك كابر .

✱ ✱ ✱

ونفس هذا الكلام يقال فى الخدمة: فالآباء الرسل قال لهم للرب " نتألون قوة متى حل

الروح القدس عليكم وحينئذ تكونون لى شهوداً" (أع: ١٤: ٨). ولكن يُصاف إلى هذا عمل جديد، قال عنه القديس بولس الرسول "ولكن بنعمة الله أنا ما أنا. ونعمته المغطاة لى لم نكر باطله، بل أنا تعبت أكثر من جميعهم. ولكن لا أنا بل نعمة الله التى معى" (١كو ١٥: ١٠). فحلول الروح هنا وقوتها من العتقاء، وعمل النعمة من الجدد. والإثنان يعملان معاً. وحتى النعمة ذاتها، فيها جند وعتقاء...

★ كذلك فى سر الإقحارستيا، تأخذ الثبات فى الرب حسب وعده (يو ٦: ٥٦). وبالإضافة إلى ذلك، فإنك فى كل مرة تتناول فيها تأخذ نعمة جديدة.

★ وهكذا مع باقى الأسرار. يقول القديس يوحنا الرسول "كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية، لأن زرعه يثبت فيه..". (١يو ٣: ٩). زرع هدا، هو ميلاده الجديد من الماء والروح، يوم عماده، يوم ثبت كفصن جديد فى الكرمة، وكعضو فى الكنيسة فى جسد المسيح. وأيضاً زرعه يثبت فيه بأسرار الكنيسة وبالعمل الروحى وبموازية للنعمة.



★ كل هذه هى الأصول المبنية فى نفسك: إيمانك الأرثوذكسى "عمل الميلاد الثانى، وتجديد الروح القدس" (تى ٢: ٥)... يضاف إليها كل ما تتاله من الكنيسة وأسرارها، وما يقوله الرسول "إن كان إنساننا الخارج يقنى، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً" (٢كو ٤: ١٦). - أيضاً "خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة حالته" (كو ٣: ٩، ١٠).



٦ - عبارة الجدد والعتقاء، قد تعنى معنى سادساً وهو :

العتقاء بمعنى المخزون فى عتقك الباطن وفى ذكرك وفى أعماق نفسك. والجند هى الأفكار والمشاعر التى ترد لك اليوم.

فأنت عندما تتصرف، وأيضاً عندما تخدم وتعط وتنصح، إنما تخرج من كنزك هذه الجدد والعتقاء. وعظة الإنسان هى مجمع لكل ما فى داخله جديداً وعتقاء. تقول ما تعرفه من الكتاب، ومن أقول الآباء، ومن الكلام الذى يعطى لك من الله عند افتتاح فمك (أف ٦: ١٩).



٧ - حتى فى القراءة والسماع، هناك القاعدة : فكر بلد فكراً.

الأفكار التى تقرأها أو تسمعها هى العتقاء، والأفكار الجديدة التى تولد فى نفسك نتيجة

لذلك هي الجدد. لذلك فالقراءة المستمرة، تولد أفكاراً جديدة غير التي قرأتها، سواء كانت تطوراً لها أو امتداداً أو استنتاجاً أو إضافة. إنها أفكار جدد.

كذلك في الفنون على تنوعها: كالموسيقى مثلاً، وما تلده في النفس من مشاعر. القطعة الموسيقية من العتقاء، والمشاعر من الجدد. وتأثر الإنسان هو خليط من الجدد والعتقاء .

* * *

٨ - عبارة (جدد وعتقاء) تشمل أيضاً الخبرات .

فهناك خبرات قديمة عند الإنسان في واقع حياته، أو ما يتعلمه من الشيوخ ومن المرشدين، أو من التاريخ الذي يقال عنه :

ومن وعى للتاريخ في صدره أضاع أعماراً إلى عمره.

تضاف ، إلى هذا خبراته للجديدة في حياته. وهو في كل تصرفاته، إنما يخرج من كنز جديداً وعتقاء: من حياته، ومن المرشدين ومن التاريخ .

* * *

٩ - وفي العلم أيضاً نستفيد من كل كنوز العلم القديمة، مع الجدد من الاكتشافات الجديدة في محيط العلم. ويعيش العالم بالأميرين معاً: الجدد والعتقاء .

والإنسان الحكيم هو الذي يختار من الجدد والعتقاء ما يناسبه.

وما يصلح لحياته ، وما يصلح حياته ...

والله تبارك اسمه هو إله الجدد والعتقاء . وكما قال عنه الكتاب "هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد" (عب ١٣: ٨) .

في كنزه الإلهي من العتقاء: الخليفة كما أوجدها في الأيام الستة. وكل ما وهبه للأنبياء. ومن الجدد نعم العهد الجديد. وفي جوده الإلهي، يخرج من كنزه جديداً وعتقاء .

الباب الثالث
عَنِ التَّوْبَةِ

(أ) الذَّرْهُمُ الْمَفْقُودُ

«لوقا ١٥ : ٨ - ١٠»

(ب) التَّيْنَةُ غَيْرُ الْمَشْمُورَةِ

«لوقا ١٣ : ٦ - ٩»

(١)

مَثَلُ الدَّرْهِمِ الْمَفْقُودِ

(لو ١٥ : ٨ - ١٠)

لو ١٥ :

الأصحاح الخامس عشر من أنجيل مصلتنا لوقا البشير. كله عن التوبة، في ثلاثة أمثال: الخروف الضال، والابن الضال، والدهرم المفقود. وكلها ترمز إلى الإنسان الضال وعودته إلى الله. سواء في بحث الله عنه، كما في مثل الخروف الضال ومثل الدهرم المفقود، أو في قبول الله لتوبته، كما في مثل الابن الضال .

✱ ✱ ✱

وفي الأمثال الثلاثة : فرح الرب بعودة الخاطئ وتوبته .

فرح أمام ملائكة الله في السماء، بحاطي واحد يتوب .

ففي مثل الخروف الضال يقول "وإذا وجدته يضعه على منكبيه فرحاً" وأيضاً "يدعو الأصدقاء والجيران قائلاً لهم: افرحوا معي لأني وجدت خروفي الضال" .

وفي مثل الدهرم المفقود، يقول عن صاحبه: "وإذا وجدته تدعو الصديقات والجارات قائلة: افرحن معي، لأني وجدت الدهرم الذي أضاعته"

وفي مثل الابن الضال يقول الأب "قدموا العجل المسمن واذبحوه، فنأكل ونفرح. لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد" .

✱ ✱ ✱

والأمثال الثلاثة تمثل ثلاث حالات في نوعية وسبب ضياعها :

فالخروف الضال، قد ضلَّ عن جهل وعدم معرفة .

والابن الضال، قد ضلَّ عن سوء نية، وانحراف في ممارسة الحرية .

أما الدهرم المفقود ، فلم يضل بذاته، وإنما أضاعه غيره .

ومع اختلاف الحالات ، انتهى الأمر بها كلها إلى العود.

وقد اختلف الأمر في نسبة الضياع :

ففي مثل الخروب الضال ، كانت نسبة الضياع واحدًا من مئة .

وفي مثل الدرهم المفقود ، كانت نسبة الضياع واحدًا من عشرة .

وفي مثل الابن الضال ، كانت النسبة واحدًا من إثني عشر .

ولما كانت النسبة ، فقد كانت هنا فرحة بوجود الضائع أو برجوع الضال . وكما قال

الرب "يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب ، أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون

إلى توبة" (لو ١٥ : ٧) .

ولما كان كثيرون قد تحثوا عن الخروب الضال والابن الضال ، لذلك رأيت أن أتكلمكم

بلاغات عن الدرهم المفقود .

مثل الدرهم المفقود :

هكذا قال الرب "أو لية امرأة لها عشرة دراهم : إن أصابت درهماً واحدًا ، ألا توقد

سراجاً ، وتكنس البيت ، وتفتش باجتهاد حتى تجده . وإذا وجده ، تدعو للصدقات

والجارات..." .

هذا الدرهم رمز للإيمان ، لأنه توصف عليه صورة لملك أو لحاكم ، مع كتفة تثبت

قيمه . والإنسان قد وضعت عليه صورة الله حالقه ، الذي قال "تعمل الإنسان على صورتنا

كشبهنا.. فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه" (تك ١ : ٢٦ ، ٢٧) . وبهذه

الصورة الإلهية ، صارت للإيمان قيمة .

هذا الدرهم على الرغم من فقدته ، كانت له قيمته .

هو فقد موضعه ، ولكن لم يفقد قيمته . لا تزال له نفس القيمة متى وُجد . قيمته محفوظة

كثروهم . وهكذا الإنسان إن صل.. فمتى عاد ، يعود بقيمته كصورة لله .

في البيت :

نقطة هامة في هذا المثل ، وهي أن الدرهم قد فقد في بيت صاحبه . أي في مكان يمكن

العثور عليه فيه ، إن بُحث عنه .

لو كانت صاحبة هذا الدرهم قد فقدته فى الشارع، أو فى الخلاء، أو فى البحر، لكان الأمل ضعيفاً جداً أو مفقوداً فى العثور عليه ...
لكنه فقد فى البيت، أى داخل الكنيسة .

ولكن الطاهر أن هذا البيت الذى فقد فيه، كان بيتاً رقيقاً مظلماً، ليست فيه نوافذ كافية للإضاءة. كما أنه مغطى بالأتربة الكثيرة، وربما بما هو أكثر من التراب مما يمكن أن يخفيه.
✱ ✱ ✱

ولكن ما هو كنه التراب، ذلك الذى يخفيه ؟

ربما كثير من أفكار المجتمع وانحرافات، أو كثير من المشاعر المتعددة التى أختفى وراءها، ولم يعد ظاهراً بسهولة لصاحبة البيت.

والمرأة صاحبة الدرهم فى هذا البيت هى الكنيسة .

التي يهملها عودته إليها. والتي فى هذا المثل قد بذلت كل جهودها حتى وجدته. فأوقدت سراجاً لكى ينير البيت حتى يتكشف موضع هذا الدرهم المفقود، ويسهل العثور عليه فى النور .

والسراج فى هذا المثل يرمز إلى كلمة الله ووصاياه .

كما قيل فى الزمور "سراج لرجلى كلامك، ونور لسبيلي" (مز ١١٩ : ١٠٥). وقيل أيضاً "وصية الرب مصبنة ، تنير العييين من بعد" (مر ١٩) .

وقد كان هذا السراج لازماً للعثور على الدرهم المفقود، كما قال الرب 'كلمتى لا ترجع إلى فارغة' (أش ٥٥ : ١١).

صاحبة الدرهم أثار البيت وكنته، مفتشة عن الدرهم.

الكنيسة أتت بكلام الله لكى تستطيع به أن تنير عقل ذلك الضائع، لكى يرجع. وكنت البيت أى أزال الأتربة التى فيه التى تخفى الدرهم.

طبعى أن الله يرسل بوره إلى هذا العالم المظلم، لكى يستنير به السالكون فى الظلمة.

✱ ✱ ✱

والكنيسة تبحث عن الدرهم لأنها تمتلكه. إنه ملك لها. واحد من العشرة الذين يمتلكهم.

حقاً إنه قد ضاع. ولكن ضياعه لا ينفى ملكية الكنيسة له.

وضياعه لا يمنع ملكية الرب له. حتى إن سيطر عليه الشيطان، فهذا لا يعنى مطلقاً

ملكية الشيطان له. إنما هذا إغصاب سلبه به الشيطان من الله والكنيسة .

إلى الرب قد اشترى هذا الدرهم بدم طاهر غالٍ. كما قال الرسول "قد اشتريتكم بثمن" (١كو٦: ٢٠) .

✱ ✱ ✱

وعلى الرغم من أن الدرهم قد ضاع، إلا أنه ثمين على الكنيسة. أنظروا مثلاً إلى زكا العشار، وقد كان هو أيضاً درهماً ضائعاً، إلا أن السيد المسيح عزم أن يدخل إلى بيته. فلما انتقده اليهود على ذلك، أجابهم بأن "هذا هو أيضاً ابن لإبراهيم" (لو ١٩: ٩). إنه ابن لإبراهيم على الرغم من ضياعه. لم يفقد قيمته. تماماً كما قال الأب في قصة الابن الضال "ابني هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد" (لو ١٥: ٢٤). إنه لا يزال ابناً على الرغم من أنه كان ميتاً وكان ضالاً...
إننا لا نستطيع أن ننكر أصل هذا الدرهم، كإبن لإبراهيم، وإبن للأب. خلق على شبهه وله نفس صورته .

✱ ✱ ✱

وما أعمق العبارة التي قالها الرب في آخر قصة زكا :
"إن ابن الإنسان قد جاء يطلب ويخلص ما قد هلك" (لو ١٩: ١٠).
"ما قد هلك!!" وليس فقط ما قد ضلّ وتاه...! حقاً إنها عبارة مؤثرة جداً، تشبهها إلى حد ما عبارة الأب "ابني هذا كان ميتاً" وحسب قول القديس بولس الرسول "كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا" (أف ٢: ١). ولكن الله قادر أن يقيم من الموت، ليس فقط الموتى بالجسد، وإنما أيضاً الموتى بالذنوب والخطايا. وإذا بكلٍ منهم "كان ميتاً فعاش"...
وحسب قول الرب: فالذى هلك، جاء الرب ليخلصه (لو ١٩: ١٠).
إنه هلك أو مات، بمعنى أنه وقع تحت حكم الهلاك والموت. ولكن الحكم لم ينفذ فيه بعد، فهناك أمل في خلاصه .

✱ ✱ ✱

نأخذ من هذا درساً أن الله يحبنا، حتى ونحن أموات بالخطايا، حتى ونحن في الظلام والثراب، ويأتى ليخلصنا. وكما قال الرسول "إن الله يبين محبته لنا. لأننا ونحن بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا" (رو ٥: ٨). وأيضاً قول الرب "هكذا أحب الله العالم، حتى بذل إبنه الوحيد. لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٦) .
الله "جاء يطلب ويخلص ما قد هلك". لأن هذا (الهالك) هو أيضاً ابن لإبراهيم، وهو ابن لله قد خلق على صورته كشبهه، وقد خلق ليعود أعدها الرب له. وقد ولد من الماء

والروح، وختم بالروح القدس. وصار هيكلاً لله، وروح الله يسكن فيه (١كو٣: ١٦). لقد ضلّ. ولكن قيمته محفوظة فيه...



هذا الدرهم المفقود كان عاجزاً عن الرجوع بنفسه. وما كان يدري مطلقاً أنه ضاع.

لقد وقع في التراب، وطابت له الوقعة فاستمر .

هكذا كان داود النبي، سقط في خطيئتي الزنا والقتل، وطاب له الوصع فاتخذ زوجة القليل له امرأة. وما كان يحسن عمق خطيئته، حتى أرسل له الله ناثان النبي، واستدرجه إلى المعرفة بمثل أو قصة. فلما ثار ضميره على ذلك المخطئ، حينئذ قال له ناثان "أنت هو الرجل"، وبلغه رسالة الرب له. وحينئذ فقط، أدرك داود عمق جرمه، فقال "أخطأت إلى الرب" (٢صم١٢: ١-١٣).

نفس الوضع بالنسبة إلى أبشالوم ابن داود، الذي تحدى أباه وحاربه ليأخذ منه الحكم، ما كان يشعر بخطيئته حتى مات. كانت شهوة الملك والسلطة تعمى بصيرته!



الدرهم المفقود - على الرغم من أنه كان لا يهتم بنفسه - إلا أن الله المحب كان يهتم به.

وعلى الرغم من أنه ما كان يستطيع أن يخرج نفسه من التراب والظلام، إلا أن الكنيسة استطاعت أن تجده، وتخرجه من بين التراب، لأنها كانت تهتم به وتبحث عنه، وتعمل "بكل اجتهد" (لو ١٥: ٨) لكي ترجعه إليها.

هو بضياعه بعد عن الحياة مع الله، لكن الله رده إليه .



حقاً، كم بحث الله عن دراهمه المضيعة منذ بدء الخليقة .

منذ خطية الإنسان الأول، وقد قرر الله أن يرسل ابن الإنسان، لكي يسحق رأس الحية (تك ٣: ١٥). وذلك "لأنه لا يسرّ بموت الخاطئ، بل بأن يرجع ويحيا" (حز ١٨: ٢٣). وهكذا قيل عن ربنا يسوع المسيح إنه "من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب مستهيناً بالخرى" (عب ١٢: ٢). وأى سرور دفعه إلى ذلك، إلا سروره بأن يرجع للدرهم المفقود إليه..

إنه السرور بأن يعيد الإنسان الساقط إلى رتبته الأولى. لأنه يعتبر أن ضياع هذا الدرهم خسارة له وخسارة للكنيسة. فضياع هذا الدرهم كان يعنى فقد الكنيسة لشيء كان

يمكنها أن تسعد به. وقد سلّته الخطبة منها .

✱ ✱ ✱

ومن أجل إرجاعه إليه، عمل الرب كل ما يمكن لذلك !

أرسل روحه القدس إلى العالم ليعمل فيه. أرسل نعمته. أرسل أنبياءه ورسله القديسين. أرسل الرعاة والمعلمين والكهنة الأطهار لإفتقاده والبحث عنه. أرسل ناموسه ووصاياهم، ووضع في قلوب الناس استنارة داخلية .

هذه الأمثال الثلاثة في (لوقا ١٥) تعطينا فكرة عن قيمة النفس الواحدة عند الله خالقها وفادها ...

✱ ✱ ✱

فهذه النفس الواحدة لا تضع وسط زحلم الناس الآخرين :

لم تضع نفس مريم المجدلية التي كانت فيها مبعة شياطين (لوقا ٨: ٢) (مر ١٦: ٩). ولم تضع نفس توما الشكاك، ولا بطرس الذي أنكر الرب ثلاث مرات (مت ٢٦). ولم تضع نفس شاول الطرسوسي الذي قال عن نفسه إنه كان "مجدفاً ومضطهداً ومفترياً" (١٣: ١). ولم تضع أيضاً أعس أو غسطينوس الفاجر، وموسى الأسود القاتل، ومريم القبطية الزانية.. كل نفس من هؤلاء ، كانت لها قيمتها عند الله .

✱ ✱ ✱

كذلك فإن هذا المثل يذكرنا بالذين فقدوا دخل البيت .

مثل ديماس مساعد بولس الرسول في الخدمة، الذي قال عنه هذا الرسول: "ديماس تركني لأنه أحب العالم الحاضر" (٢٢: ٤: ١٠). وآخرون قال عنهم بولس الرسول أيضاً "لأن كثيرين من الذين كنت أذكرهم لكم مراراً، والآن أذكرهم باكياً، وهم أعداء صليب المسيح، الذين بهايتهم الهلاك" (في ٣: ١٨، ١٩) .

وراعي كنيسة ساريس الذي قال له الرب "إن لك إسماعاً إنك حي، وأنت ميت" (٣: ٣). وقد دعاه الرب إلى التوبة .

وأناس فقدوا وهم في الكهنوت مثل أريوس ومقدونيوس ونسطور.. وباقي الهرطقة والمبتدعين .

وآخرون فقدوا في الرهبنة وفي التكريس وفي التربية الكنسية.

✱ ✱ ✱

ومع كل ذلك، أقول لكم ملاحظة هامة جداً وهي :

هذا الدرهم قد فقد ، ولكنه لم يُنس .

لم تتسه صاحبة أبدأ . بل عدت دراهمها وألصقت أنه ليس بينها . فعرفت أنه قد صاع ، وأخذت تبحث عنه وهو مفقود ، وبذلت كل جهدها حتى وجدته .

إنه فقد ، ولكن لم يفقد الأمل في إرجاعه .

الكنيسة لم تيأس من عودته إليها . حقاً ما أخطر اليأس من رجوع الخطاة! تلميذ يطول عيابه عن مدارس الأحد، فيشطب الخادم اسمه من كشوفه! أى أنه قد بُس من رجوعه . أو تبعد أسرة عن الكنيسة مدة طويلة، فيمتنع الكاهن عن افتقادهم ويقول "إن هؤلاء لا فائدة منهم!" . إنه اليأس من عودة الخطاة!

ولكن المرأة في مثل الدرهم لم تيأس ، بل إنها كانت :

تفتش باجتهاد :

كانت تفتش باجتهاد حتى وجدته ، أى باهتمام ومثابرة .

إن هذا يذكرنا بدور الراعى ويقول التسفولية "فليهتم الأسقف بكل أحد ليخلصه". فالمسألة ليست مجرد روتين يريح الخادم به ضميره...! بل إنه اهتمام واجتهاد، حتى يخلص الخاطئ. عملنا مع الخطاة ليس فقط أن نسمعونا فى الوعظ، فهذا أمر سهل! وإنما أن نجتهد حتى يتغيروا إلى أفضل، حتى يتوبوا ويرجعوا.

إن عبارة (وجده) مكررة فى كل الأمثال الثلاثة فى (لوقا ١٥).

الراعى وجد الحروف الضال، والكنيسة وجدت الدرهم المفقود. والأب قال عن ابنه إنه "كان ضالاً فوجد" . وكانت عودة الضال سبب فرح لله وللملائكة وللكنيسة ولكل..

المرأة لم تتدب وتصرخ بسبب درهمها المفقود، بل بحثت ووجدته

ما أكثر ما نبكى على ضياع الخطاة، دون أن نبحث عنهم لكى نجدهم

هنا للمرأة -التي تمثل الكنيسة- لجأت إلى الأسلوب العملى للبحث عن الضائع: إيقاد سراج، وكس البيت، والبحث بكل إجتهد.

وعملية الكنس تحمل هنا تخلص البيت من البدع والانحرافات والهرطقات وربما الكنس يسبب عفراً يتعب البعض، ولكنه لازم.

ما أكثر الضيق الذى سببته للكنيسة محاربة الأريوسية. أدى الأمر إلى عزل القديس

أثناسيوس الرسولى ونفيه عدة مرات حتى قيل له "العالم كل ضدك يا أثناسيوس" فقال
"وأنا ضد العالم". ولكن ذلك كله كان لازماً لحماية الإيمان السليم .

فرح الملائكة ،

"يكون فرح فى السماء بخاطئ واحد يتوب" (لو ١٥ : ٧ ، ١٠) .

وهنا نسال : لماذا يفرح الملائكة بتوبة التائبين ؟

إنهم يفرحون لأن توبة الخاطئ، تعنى اشتراكه مع الملائكة فى قداستهم. وتعنى نمو
ملكوت الله ومشيبته، وهذا يُفرح الملائكة. كذلك فإن توبة الخاطئ تعنى خلاصه. وهذا ما
يفرح به الله وملائكته .

وأيضاً فإن توبة الخاطئ تعنى نجاح الملائكة فى خدمتهم لأجل البشر. إذ يقول عنهم
الكتاب "أليس جميعهم أرواحاً خادمة، مرسله للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص"
(عب ١ : ١٤). فإن تم خلاص هؤلاء بالتوبة، لذلك يفرح الملائكة .

ويفرح الملائكة بخلاص هؤلاء التائبين، لأنهم سيكونون شركاء لهم فى ملكوت الله،
فى أورشليم السمائية: حيث الله وسط شعبه" (رو ٢١ : ٣) وسيكون شعبه الملائكة والبشر
الأتقياء المقيدين .

✱ ✱ ✱

إن فرح الملائكة يدل على اخلاصهم لله ومحبتهم للبشر .

ويدل على معرفتهم فى السماء، بما يحدث للبشر على الأرض

أليس أمراً عجباً أن توبة خاطئ واحد تسبب كل هذا الفرح وسط "الجمع غير المحصى

الذى للنفوس السمائية"؟!

لقد فرحوا بليمان وعماد الآلاف يوم الببطقسى (أع ٢) وفرحوا بانضمام جماهير من
رجال ونساء، وبإيمان مدن باسرها، وبانتشار الإيمان، وبمرسوم ميلان للتسامح الدينى

سنة ٣١٣م. ولكن هنا فرح بخاطئ يتوب.. فمادم الأمر هكذا:

✱ ✱ ✱

إنها دعوة لك أيها الخاطئ أن تتوب، لتفرح السماء بتوبتك.

ودعوة للخدام أن يسعوا إلى توبة الخطاة لتفرح السماء بهم.

وأيضاً لتفرح الكنيسة وتدعو الصديقات والجارات ليفرحوا معها.

(ب)

مَثَلُ التَّيْنَةِ غَيْرِ الْمَثْمُورَةِ

(لو ١٣ : ٦-٩)

إنه مثل عن التوبة ، قاله السيد المسيح مباشرة بعد أن قال "إن لم تتوبوا، فجميعكم كذلك تهلكون" (لو ١٣ : ٥) .

✱ ✱ ✱

والواقع إن إنجيل لوقا هو أكثر الأناجيل حديثاً عن التوبة :

★ مثل ذلك (لو ١٥) : الإصحاح كله عن التوبة وقبولها وفرح الله بها. ويحوى مثل الابن الضال، ومثل الخروف الضال، ومثل الدرهم المفقود. ويمثل أيضاً سعى الله وراء الحطاة لردهم .

★ وفى (لو ٧) قصة المرأة الخاطنة التى بللت قدمى المسيح بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها فى بيت سمعان الفريسي، ونطويب الرب لتوبتها .

★ وفى (لو ٩) رفض السيد المسيح قول تلميذه يوحنا ويعقوب عن إحدى قرى السامرة التى رفصته "لنشاء يارب أن تنزل نار من السماء فتقنيهم كما فعل إيليا أيضاً؟" فأنتهرهما الرب قائلاً "لمنما تعلمان من أى روح أنتما لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص" .

★ وبعد ذلك فى (لو ١٠) ذكر لها مثل السامري الصالح ، الذى كان أكثر براً ورحمة من الكاهن واللاوى، على جريح يهودى ملقى بين حيٍّ وميت .

★ وفى (لو ١٢) تكلم عن تطويب أولئك العبيد الذين أحقاؤهم منطقة، وسرحهم موقدة. وإذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين. وكذلك الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على عبيده يعطيهم طعامهم فى حينه .

★ وفى (لو ١٦) ضرب لهم مثل وكيل الظلم الذى يعطى فكرة عن الذى يستعد

لمستقبله الأبدى. كما حكى لهم أيضاً قصة الغنى ولعازر والمصير الأبدى لهما .

★ وفى (لوقا ١٩) ذكر قصة زكا العشار وتوبته وقبول الرب له وقوله "إن ابن الإنسان جاء يطلب ويخلص ما قد هلك" .

★ وفى (لوقا ٢٣) ذكر توبة اللص اليمين ، وقبول الرب لها، ووعدته لذلك اللص بأنه سيكون معه فى نفس اليوم فى الفردوس .

✱ ✱ ✱

وغالبية هذه القصص والأمثال، أنفرد بها إنجيل لوقا وحده .

★ كذلك فى (لوقا ١٣: ٣، ٥) كرر الرب عبارته "إن لم تتوبوا، فجميعكم كذلك تهلكون". وهى تدل على خطورة عدم التوبة .

★ وبعد ذلك مباشرة (لوقا ١٣: ٦-٩) ذكر مثل التينة غير المثمرة.

فقال: كانت لواحد شجرة تين مغروسة فى كرمه. فأتى يطلب فيها ثمراً، ولم يجد. فقال للكرام: هوذا ثلاث سنين أتى أطلب ثمراً فى هذه التينة، ولم أجد. إقطعها، لماذا تبطل الأرض أيضاً. فأجاب وقال له : يا سيد، اتركها هذه السنة أيضاً، حتى أنقب حولها وأضع زبلاً. فإن صنعت ثمراً، وإلا فيهما بعد تقطعها" .

تينة فى كرم :

لواحد الذى كانت له شجرة تين فى كرمه هو الله نفسه .

والكرم المشار إليه هنا ، هو الكنيسة، جماعة المؤمنين .

وما أكثر الآيات التى تحمل هذا المعنى. منها ما ورد فى المزامير "يا إله الجنود [أيها الرب إله القوات]، ارجع واطلّع من السماء. انظر وتعهد هذه الكرمة، هذه التى غرستها يمينك" (مر ٨٠: ١٤، ١٥). وأيضاً بشيد الكرمة كما ورد فى سفر أشعياء النبى (أش ٥: ١ - ٤) حتى يقول "والآن يا سكان أورشليم ورجال يهوذا. احكموا بينى وبين كرمى: ماذا يصنع أيضاً لكرمى، وأنا لم اصنعه له؟!" هذا عن كنيسة العهد القديم طبعاً ..

✱ ✱ ✱

إن شجرة التين هذه ، مغروسة فى وسط الكنيسة، فى وسط شعب الله، فى وضع مميز لها مع باقى أشجار الكرم .

على الرغم من أنها عربية عنها فى النوع، إلا أن الله نفسه غرسها فى كرمه، وفى

وسط أصغياته وأحبائه، مع أصحاب المواعيد والمواهب .

ما كان أجدر بهذه الثينة أن تقول : ما هو استحقاقى يارب أن أوجد وسط أولادك القديسين، بينما ليس هذا هو موضوعي؟! ولكنك قد منحتنى امتيازاً ليس هو لى. فينبغى أن أسلك كما يليق بلادعوة التى دُعيت إليها (أف: ٤: ١). ولكن هذه الثينة لم تفعل كما كان ينبغى لها أن تفعل! إذ مرت عليها ثلاث سنين لم تأت فيها بشر !

إن شجرة اللتين التى فى هذا المثل أحسن خطأً ومصيراً من تينة أخرى راحا الرب فى بدء أسبوع الآلام، ولم تكن تحمل إلا ورقاً فقط. قلعتها الرب. فبيست فى الحال (مت ٢١: ١٩، ٢٠).. أما هذه، فقد وجدت من يشفع فيها، فمُنحت سنة لعلها تصنع فيها ثمرأ .

الثمر :

لنى صاحب الكرم ليطلب فيها ثمرأ ولم يجد.. فقال للكرام: لماذا تَبطل الأرض، اقطعها.. وهذا أمر طبيعى أن يطلب صاحب الكرم ثمرأ من شجره فالثمر هو أهم شئ يطلبه. وما أعصق قول القديس يوحنا المعمدان :

"والآن قد وُضعت الفأس على أصل الشجرة" . "فكل شجرة لا تصنع ثمرأ جيداً، تُقطع وتلقى فى النار" (مت ٣: ١٠)

وقد أكد الرب نفسه على قول قديسه المعمدان، فقال فى الجزء الأخير من العظة على الجبل "هكذا كل شجرة جيدة، تصنع أثماراً جيدة.. كل شجرة لا تصنع ثمرأ جيداً، تُقطع وتلقى فى النار. إذن من ثمارهم تعرفونهم" (مت ٧: ١٧ - ٢٠). وجعل الثمر علامة للتلمذة عليه فقال:

"بهذا يتمجد لى، أن تأتوا بثمر كثير، فتكونون تلاميذى" (يو ١٥: ٨). وقال أيضاً فى نفس الاصحاح "لستم أنت اخترتمونى، بل أنا اخترتكم. واقتنم لتذهبوا وتأثروا بثمر، ويدوم ثمركم" (يو ١٥: ١٦) .

✱ ✱ ✱

إذن نفهم من هاتين الآيتين ، الحقائق الآتية :

أ - لقد اختارنا الله ، لكى نأتى بثمر .

ب - بالثمر الكثير يتمجد الأب السماوى .

ج - ينبغى أن يكون الثمر كثيراً ، وأن يدوم هذا الثمر .

ذلك لأن البعض ثمرهم ضئيل وقليل، ولا يتناسب مع الإمكانيات التي وهبهم الله إياها.
لو أن ثمرهم يظهر حيناً ولا يستمر!

يُفكرنا هذا الثمر ولزومه، بمثل الوزنات (مت ٢٥: ١٤ - ٣٠)، وكذلك بمثل الأمانة (لو ١٩: ١٢ - ٢٦). لأن ما نربحه للملكوت هو ثمرنا .

✱ ✱ ✱

والثمر المطلوب على نوعين : ثمر داخلي، وثمر للغير .

لما الثمر الداخلي ، فهو ثمر القلب من مشاعر روحانية بعمل النعمة فيه، وثمر الفكر في التأمل في الروحيات، وثمر الشفاه الشاكرة المسبحة لله، وثمر الحياة التي تحمل رسالة توديعها، وثمر الطاعة لله التي هي دليل محبتنا له. وثمر الإيمان العامل بالمحبة، وثمر الإنتاج ..

أما الثمر الذي للغير فهو نتيجة خضعتنا في حياة الآخرين، الذين يتعزون بما نقدمه لهم من قوة ومن تعليم ومن رعاية وقيادة .

✱ ✱ ✱

وواضح أن كل شجرة تعطى ثمرأ ، إنما ليتغذى به غيرها .

فهذه التينة : لو كانت قد صنعت ثمرأ، لاشك كان يتغذى به الغير وينوق حلاوته. وآباء الكنيسة من رسل ورعاة ومعلمين، كل لهم ثمر لبناء الملكوت ، لتقوية الآخرين وقيادتهم إلى الله. إنه ثمر في استخدام كل المواهب لعمل البنين . فهل لك أيها الابن المبارك ثمرأ يَكُون رسالتك في الحياة .

✱ ✱ ✱

والمقصود بالثمر هنا هو ثمر الروح في حياتك وحياة غيرك .

فلا تفرح بكثرة الأوراق الخضراء في تينتك، ولا في امتداد فروعها، بمجرد كثرة الأشطنة، وكثرة الحركة شرقاً وغرباً، في أعمال لا تنتفع بها روحك، ولا تننى أرواح الآخرين. إنما اهتم بالثمر .

طول أناة الله وصبره :

ثلاث سنوات كان صاحب الكرم يمر على هذه التينة، ولا يجد فيها ثمرأ، وعلى الرغم من ذلك كان صابراً عليها طول هذه المدة. فلم يأمر بقطعها من أول سنة لم تثمر فيها. وهكذا قال للكرام أخيراً: 'هكذا ثلاث سنين أتى أطلب ثمرأ في هذه التينة ولم أجد...!'

عجيب أنت يارب في طول أنثك. ولكن لماذا ثلاث سنين ؟

ربما السنة الأولى، يُقال عنها : هذه النفس مستدلة. ربما في السنة الثانية نقول إنها خطايا جهل أو ضعف أو عدم نضوج، كما يقول المرثل في المزمور "خطايا شبابي وجهالاتي، لا تذكر. كرحمتك انكرني" (مز ٢٥: ٧). أما في السنة الثالثة - وقد بلغت النضوج الكافي فلا عذر لها في عدم الإثمار. وأصبحت إذن من جهة العدل - تستحق القطع. لذلك قال للكرام :

اقطعها لماذا تبطل الأرض !؟

✱ ✱ ✱

لقد صبر الله هذا الزمان كله، لأنه لا يسرّ بموت الشرير، بل يرجوه إليه فيحيا" (حز ١٨: ٢٣). لأنه يريد أن الجميع يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون" (١ تي ٢: ٤). ولكن هناك حقيقة ينبغي أن يعرفها غير المتمرين وهي :

إن طول أناة الله، إنما تقود إلى التوبة. وليست مجالا للاستهتار.

في هذا يقول الرسول "أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته؟! غير عالم أن لطف الله إنما يقتلك إلى التوبة. ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب، تذخر لنفسك غضبا في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله" (رو ٢: ٤-٦).

✱ ✱ ✱

وهنا نسأل : لماذا كانت تلك التينة غير المثمرة تستحق القطع

لأنها كانت تبطل الأرض . فقد خصصت لها مساحة من الأرض بدون نفع يعود من التينة. فأصبحت الأرض باطلة بها. كذلك لأنها كانت تأخذ من الغذاء والري، ما كان يمكن توجيهه إلى غيرها لكي يأتي بنفع. أيضاً منظرها هذا غير المثمر، لا يعطي صورة حية عن صفات أرض الله وسمعة كرمه. يضاف إلى هذا أنها قد أعطيت فرصة ثلاث سنين للإثمار. وهذا يكفي .

أما القطع من جماعة المؤمنين فيسمى Excommunication .

✱ ✱ ✱

هذه التينة ترمز إلى أعضاء غير متمرين في الكنيسة .

وقد صبر الله عليهم. مثال أولئك الشعب اليهودي الذي كم صبر الرب عليه. وكم أراد في بعض الأوقات أن ينفية (خر ٣٢: ١٠). بل قد دفعه أحياناً إلى السبي، وأسلمه أحياناً

إلى أيدي أعدائه.

★ ومن غير المتمردين الذى صبر الله عليهم: يهوذا الإسخريوطى وكم أنكره الرب ولم يستد، وأخيراً أمر بقطعه، بينما كان واحداً من الإثنى عشر مغروساً فى كرم الله. وكذلك أبشالوم وكان واحداً من أبناء داود النسي العظيم، وثار أخيراً على أبيه وحاربه، وتم قطعه أخيراً. مثال آخر هو هو نيقولاوس أحد الشمامسة السبعة القديسين (أع ٦: ٥). وكان مغروساً فى كرم الرب. ثم قطع إذ صار من أصحاب البدع (رؤ ٢: ١٥) .

★ شخص آخر صبر الله عليه، هو راعى كنيسة ساردس أحد ملائكة الكنائس السبع التى فى آسيا، وكان فى يد الله اليمينى (رؤ ٢: ١). ثم قال له الرب "إن لك إسماعاً أنك حى وأنت ميت!" (رؤ ٣: ١).

★ صبر الله على الإلحاد فى روسيا ورومانيا وباقي بلاد الاتحاد السوفييتى ٧٠ سنة إلى أن رجعوا أخيراً .



إنفت الله إلى هذه التينة بالذات من بين أشجار الكرم .

أعطاهما إهتماماً خاصاً ، لأنه يهتم بالنفس الواحدة. وقد يترك التسعة والتسعين فى حظيرته ليبحث عن الواحد للصال. أظهر أنه يلاحظ حالتها خلال الثلاث سنوات كلها. وكأنه يقول لها نفس العبارة التى قالها لكل واحد من ملائكة الكنائس السبع "أنا عارف أعمالك" (رؤ ٢: ٣) وأيضاً عبارة "لكن عندي عليك أنك..." .

فعل هكذا كما فعل مع يونان النبى، وقد نام فى السفينة نوماً ثقيلاً بينما كان باقى النوتية (البخارة) يصلون (يون ١: ٥).

الشفيع :

قال الرب للكرام "إقطعها" . ولكن هذا الكرام وقف شعيماً فى هذه التينة غير المثمرة وقال يا سيد، اتركها هذه السنة أيضاً، حتى أنقب حولها وأضع زبلاً. فإن صنعت ثمراً، وإلا ففيما بعد تقطعها".

الله يقول له "قطعها" وهو يجيب "اتركها هذه السنة أيضاً" . أترى الكرام كانت مشيئته فى هذه النقطة ضد مشيئة الله؟!

كلا، كان الكرام يخاطب قلب الله وليس لسانه .

أو كان لسان الله يختبر قلب الكرام ومحبة وصبره .

❖ ❖ ❖

ينكرنا هذا الأمر بموقف موسى النبي، حينما قال له الله "رأيت هذا الشعب، وإذا هو شعب صلب للرقبة. فالآن اتركني ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم فأصيرك شعباً عظيماً" (خر ٣٢: ٩، ١٠) ولكن موسى لم يوافق بل قال للرب "لماذا يارب يحمي غضبك على شعبك.. أرجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك".. إلى أن قال له "والآن إن غفرت خطيئتهم، وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت" (خر ٣٢: ٣٢) .

هذا لم يقف موسى ضد مشيئة الله، وإنما تحاور مع الله وهو يعرف قلبه الحنون. وكان كلام الله مجرد اختبار لموسى ليرى ما في قلبه من حنو ومغفرة، وما في طبعه من طول أناة وصبر .

كان عدل الله يقتضي قطع للتينة. ولكن عدله كان مملوءاً رحمة. فاستمع إلى قول الشيع : اتركها هذه السنة أيضاً

إتركها هذه السنة :

كما احتملتها السنوات الثلاث الماسية، احتملها هذه السنة أيضاً. إعطاها فرصة أخرى، أو فرصة أخيرة، وأنا سأعمل لأجلها .

ستكون فرصة عمل "أثقب حولها، وأضع ريبلاً". والمعروف أن زبل الحمام، أو زبل الدجاج، أو ربل الغنم، هو من أرقى أنواع السماد وأكثرها نفعاً. أى ستكون السنة فترة غناية مركزة بها.

ما أعجب حب هذا الشيع . يطلب للتينة غير المثمرة سنة بكل فصولها، بشمسها بجوها بريتها . لعلها تأتى بشمر .

❖ ❖ ❖

جميل بهذه التينة أن تشعر أنها ليست وحدها في هذه الفرصة المعطاة لها ، إنما معها الكرام الذي سينقب حولها ويضع ريبلاً، ويهتم بها .

هذا الشيع الحنون سيحمل مسئولية إثمارها خلال السنة.. ربما كان نقص التغذية هو سبب عدم الإثمار . إذن تغذيها، وننتظر عليها. فإن صنعت ثمراً فهذا حسن، وإلا ...

❖ ❖ ❖

نلاحظ هنا عنصر الرجاء ، مع طول فترة عدم الإثمار .

لقد كان داود شيعاً في سليمان، حتى بعد موته، حتى دون أن يشفع. بل أن مجرد

دالته عند الله أصبحت مصدراً للشفاعة. ولهذا قال الرب لسليمان الذى أخطأ وسار وراء
 آلهة أخرى "إني أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيتها لعبدك. إلا أننى لا أفعل ذلك فى
 أيامك من أجل داود أبوك. بل من يد ابنك أمرقها. على إبنى لا أمزق منك المملكة كلها، بل
 أعطى سبطاً واحداً لابنك من أجل داود عبدى.." (امل ١١: ١١-١٣) .

فترة محددة :

أعطيت التينة فترة سنة محددة ، لعلها تثمر فيها. وهذا الأمر يذكرنا بقول الرب فى
 سفر الرؤيا عن إيزابل الزانية :

"أعطيتها زمناً لكي تتوب عن زناها، ولم تتب" (رؤ ٢: ٢١).

إنها فترة محددة إلى أن يمتلئ كأس غضبها إن لم تتب.

هكذا الرب أعطى فرعون زمناً لكي يتوب فى أيام موسى، ولم يتب. فى كثير من
 الضربات كان يقول لموسى وهرون "اخطأت إلى الرب وإليكما، صلياً عنى" (خر ٩: ٢٧)
 (خر ٨: ٨). فلما ترتفع الضربة كان يرجع أكثر شراً مما كان. ولما انقضت الفترة
 المعطاة له، سمح الله أن يخرق فرعون وجنده فى البحر الأحمر .

✱ ✱ ✱

سليمان: أعطاه الرب زمناً أن يتوب عن رفايته الزائدة قتال

وهكذا قال فى سفر الجامعة : لكل باطل وقبض الريح، ولا منفعة تحت الشمس
 (جا: ١٤).

وأظهر محبته لله فى سفر التثنية .
 أما شاول الملك ، فأعطاه الرب زمناً ليتوب ولم يتب. فقبل عنه "ودهب روح الرب
 من عند شاول، وبخته روح ردى من قبل الرب" (اصم ١٦: ١٤) .

طول أناة الله إنما تقتاد إلى التوبة. فإن انقضت السنة المحددة، حينئذ ينطبق قول
 الكتاب "مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى" (عب ١٠: ٣١). وحينئذ يسلم الله هؤلاء
 الفجار إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق" (رو ١: ٢٨) .

إن صنعت ثمراً :

أى أن هناك احتمالاً أن تصنع ثمراً. وتضيف إحدى الترجمات، فذلك حسن Well .
 حسن للتينة نفسها أنها نالت الخلاص، ونجت من القطع، ونالت خصوبة تعطى ثمراً.
 وحسن للكرم أن عمله الرعوى والشفاعى قد أتى بنتيجة. وحسن للكرم نفسه أنه لم تبطل

أرضه، ولم تشوه الشجرة غير المثمرة منظره. وحسن لصاحب الكرم الذي يريد أن الجميع يخلصون.

والد :

وإلا ف فيما بعد تقطعها. أى الحكم موجود، ولكنه قد تأجل، لمعرفة مدى استجابة للتينة لرعاية الكرام. وإلا ينطبق قول الرب "إن لم تتوبوا، فجميعكم كذلك تهلكون" (لوقا ١٣ : ٣، ٥).



الباب الرابع أَمْثَالُ النَّمُو

مِنْ بَيْنِ أَمْثَالِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ عَنِ النَّمُو،
نَذْكُرُ أَرْبَعَةَ أَمْثَالٍ :

١- **مَثَلُ الْخَمِيرَةِ** : (مت ١٣ : ٣٣)
(لو ١٣ : ٤١)

٢- **مَثَلُ حَبَّةِ الْخُرْدِ** : (مت ١٣ : ٣١، ٣٢)
(مر ٤ : ٣١، ٣٢) (لو ١٣ : ١٩)

٣- **مَثَلُ الْوِزْنَاتِ** : (مت ١٤ : ٣٠-٣١)

٤- **مَثَلُ حَبَّةِ الْقَمْحِ** (الزَّرْعِ الَّذِي يَنْمُو)
(مر ٤ : ٢٦-٢٩)

هَذِهِ الْأَمْثَالَةُ فِي النَّمُو، تَحْمِلُ تَأْيِيدَ الدِّعْوَةِ الْبَشَرِيَّةِ

١- مَثَلُ الْخَمِيرَةِ

(مت ١٣ : ٣٣)

النمو :

★ في مثل الخميرة ، يقول إنه خبأتها امرأة في ثلاثة أكيال دقيق، حتى "اختمر الجميع" (مت ١٣ : ٣٣). وفي مثل حبة الخردل يقول إنها "نمت وصارت شجرة كبيرة، وتأت طيور السماء في أغصانها" (لو ١٣ : ١٩) . وفي مثل الوزنت يقول إن العبد تاجر بها وبيع. وفي مثل حبة القمح يقول "والبذار يطلع وينمو.. أولاً نباتاً، ثم سنبلًا، ثم قمحاً ملأً في السنبل" (مر ٤ : ٢٧، ٢٨) .

✱ ✱ ✱

★ وهذا النمو يرمز إلى النمو في الأفراد أو في الكنيسة .

فمن شروط الحياة الروحية ، النمو . والإنسان الذي يقف نموه، هو عرضة أن يرجع إلى الوراء. أما الذي يكون بامياً باستمرار، فإن الحرارة الروحية تكون ثابتة في حياته... ولعل من أمثلة النمو في حياة الأفراد، قول القديس بولس للرسول " .افعل شيئاً واحداً. أنسى ما هو وراء، وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرص.." (في ٣ : ١٣) .

✱ ✱ ✱

والتنمو في حياة الكنيسة يعنى النمو في عملها وخدمتها، وفي نشرها الإيمان وملكوته الله في الأرض كلها.

إنه قصة الكتاب كله، من جنة عدن، إلى جزيرة بطمس. أى من أول سفر التكوين إلى سفر الرؤيا ..

هى قصة نعمة الله العاملة في الكل . لأنه لا يستطيع أحد أن ينمو إن لم تكن نعمة الله عاملة فيه (١كو ١٥ : ١٠). وفي ذلك يقول سفر الأعمال:

"وكان الرب في كل يوم ، يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون" (أع ٢ : ٤٧) .

وفى نحو ٣٠ سنة كان ملكوت الله قد أتى بقوة (مر٩: ١). وامتد إلى آسيا وأوروبا وأفريقيا. وتحقق فى رسل السيد المسيح ما تنبأ به عنهم المزمور قائلاً "الذين لا قول لهم ولا كلام.. إلى كل الأرض خرج منطقهم، وإلى أقصى المسكونة بلغت أقوالهم" (مر١٩: ٣، ٤). وهكذا للبدية الصغيرة التى كانت كحبة الخردل، نمت وصارت شجرة كبيرة تتأوى الطيور فى أغصانها .



وكان أمثال السيد الرب كانت نبوءة عن مستقبل الكنيسة .

من بداية صغيرة، من خميرة بسيطة 'حتى' أختمر العجين كله" ، من حبة قمح، حتى صارت سنابل مملوءة قمحاً .

إنّ فالقاعدة التى وضعها الرب هى أن ملكوته على الأرض لا بد أن يكون نامياً. وقد تنبأ عنه فى سفر حزقيال النبى قائلاً: "أغرسه، ونبئت أغصاناً ويحمل ثمرأ.. فيسكن تحته كل طائر، كل ذى جناح يسكن فى ظل أغصانه" (حز١٧: ٢٣) .



ومثلاً الخميرة وحبة الخردل يعطيان مثليْن متنوعين عن النمو:

مثل حبة الخردل يعطى مثلاً عن النمو الظاهر من الخرج : إذ تصير الذرة شجرة كبيرة عالية تأوى إليها طيور السماء .

وبنفس الوضع مثل حبة القمح التى تصير سنابل مرتفعة ممتلئة.

أما مثل الخميرة، فيعطى فكرة عن النمو من الداخل ، وكيف تنتشر الخميرة فى كل الدقيق دون أن تراها .

وسنتحدث الآن بمشيئة الله عن مثل الخميرة .

مثل الخميرة :

هذا المثل يمثل الخميرة - لا فى نوعيتها - بل فى انتشارها .

على الرغم من أن الخميرة فى مواضع كثيرة فى الكتاب المقدس، ترمز إلى الشر كما قال الرب لتلاميذه "احترسوا من حمير الفريسيين" أى من تعاليمهم الخاطئة (مت١٦: ١٢) أو من ريائتهم (لو ١٢: ٢). وكما قال القديس بولس الرسول "إبن لنعيّد.. لا بخميرة الشر والخث، بل ببطير الإخلاص والحق" (١كو ٥: ٨). وهكذا بعد الفصح كانوا يعيدون أسبوعاً لا يأكلون فيه إلا الفطير . ويعزلون الحمير من بيوتهم . وكل من أكل مختمراً،

تقطع تلك النفس من شعبها" (خر ١٢: ١٥، ١٩) .

✱ ✱ ✱

ولكن الخمير فى المثل لا يقصد به إلا الإنتشار وحده .

كما نشبه شخصاً بالأسد ، فى الشجاعة والقوة فقط، وليس فى الإفتراض والوحشية . فالسيد المسيح قيل عنه فى سفر الرؤيا " قد غلب الأسد الذى من سبط يهوذا، أصل دلوذا (رؤ ٥: ٥) . والأربعة أحياء فى سفر الرؤيا قيل عنهم "الأول شبه أسد" (رؤ ٤: ٧) يرمز إلى إنجيل مارمرقس .. على الرغم من أن الشيطان أيضاً شبه بأسد. فقال القديس بطرس الرسول "اصحوا واسهروا، لأن ابليس خصمكم كأسد يزار، يجول ملتصقاً من يبتلعته هو" (ابط ٥: ٨) .

✱ ✱ ✱

إذن فى كل تشبيه نتقيد بوجه الشبه المقصود .

وقد يكون للشئ الواحد وجه شبه جيد، ووجه شبه ردى، كما قلنا عن الأسد، وكما نقول عن الخميرة .

كذلك للكلام أيضاً عن الحية. كانت فى أغواء أمنا حواء تمثل الشيطان (تك ٣). وكذلك قيل إن الشيطان هو الحية القديمة (رؤ ١٢: ٩). ومع ذلك يقول الرب 'كونوا حكماء كالحيات' (مت ١٠: ١٦). هنا فى وجه شبه محدد وهو الحكمة وليس فى الشر ...

وجه الشبه المقصود فى المثل من الخميرة هو سرعة الإنتشار.

وقدرتها على أن تخمر للعجين كله . وكيف أن قطعة صغيرة منها تستطيع أن تقوم بالعمل كله . وهكذا فى الحال مع نمو الكنيسة وانتشارها فى كل العالم، من بداية صغيرة يمتلكها الرسل الإثنا عشر، والكنيسة الصغيرة فى عددها .

خميرة صغيرة

ليس للمهم هنا فى صغرهما ، إنما فى قوة عملها .

وعلى رأى المثل الإنجليزى Quality, not quantity (النوع وليس الكمية) . فالكنيسة بدأت بداية صغيرة، كالخميرة أو كحبة الخردل ...

بدأت أولاً بذلك الطفل الصغير فى المزود، ومعه أمه العذراء الصغيرة فى سنها وفى قمرها، ويوسف النجار الصغير فى مركزه الإجتماعى. ومجموعة أخرى لعلها أُنقلت من العالم الحاضر قبل يوم البنطقسنى (ونعنى سمعان الشيخ، وحنه النبية، وزكريا الكاهن،

واليصابات) .

ثم نمت الكنيسة ، فى الرسل الإثنتى عشر (مت ١٠) ثم فى السبعين (لو ١٠) مع قديسين وقديسات تبعوا المسيح (لو ٨) . وفى يوم حلول الروح القدس انضم إلى الكنيسة ثلاثة آلاف آمنوا واعتمدوا (أع ٢: ٤١) . وبعد معجزة شفاء الأعرج صارع عدد الرجال المؤمنين خمسة آلاف (أع ٤: ٤) . ثم " كانت كلمة الله تنمو ، وعدد التلاميذ يتكثر جداً فى اورشليم ، وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان " (أع ٦: ٧) .

* * *

ثم تدرج الأمر من تضمام الأفراد إلى تضمام المدن والأمم .

أمنت للسامرة واعتمد أهلها (أع ٨) ثم زحمت الكرازة إلى لده وينا (أع ٩: ٣٢ ، ٤٢) ثم قيصرية (أع ١٠) ثم بعد ذلك أنطاكية (أع ١١) . ثم للعمل الكبير الذى قام به القديس بولس للرسول فى آسيا الصغرى وفى بلاد اليونان وفى رومه ، وعمل مارمرقس فى الإسكندرية وليبيا ...

كل ذلك من خميرة صغيرة بدأ عملها فى اورشليم ثم تنتشر . كل هذا كن درساً حتى لا نتخلف العمل الصغير .

* * *

القديس الأنبا أنطونيوس كان فرداً واحداً حينما بدأ حياة التمسك ، ثم ما لبث أن أنتشرت به الرهبنة فى العالم أجمع . والقديس أنبا بولا السائح كان فرداً بسيطاً ، ولكنه كان بداية لطقس السواح فى الكنيسة كلها ...

كلمة واحدة قالها السيد المسيح لمتى العشار " اتبعنى " (مت ٩: ٩) كانت بداية عملت فيه وحولته إلى رسول وإنجيلى . وعجالة واحدة قالها للرب لسمعان بطرس وإندراوس " هلم ورائى فأجعلكما صيادى الناس " (مت ٤: ١٩) هذه العبارة كان لها عملها العميق فى قلوبهما جعلهما رسولين من الإثنتى عشر .

وهكذا كثير من الكلمات البسيطة الصغيرة كانت سبب تحول فى حياة كثيرين ، كما فى لقاء الرب مع شاول الطرسوسى (أع ٩) .

* * *

صدقونى يشبه هذا الأمر العمل الكرازى الذى تقوم به الكنيسة القبطية فى أفريقيا ، ولذى بدأ بإرسال راهب قبطى إلى هناك "لا كيس ولا مزود" . ولكنه انتشر كالخميرة التى خمرت بلاداً كثيرة . فصارت لنا حوالى ثلاثين كنيسة وأسقفان وكهنة ..

نفس الوضع في تأسيس الكنائس القبطية في أمريكا وكندا وأستراليا وأوروبا. مجرد حميرة صغيرة وأنتشرت.. وكذلك بدأ عمل الكنيسة في أمريكا الجنوبية: في البرازيل ثم بوليفيا..



مهما كانت البداية صغيرة، هذا أمر لا يهم. المهم هو الانتشار .
الكنيسة في أيام الرسل بدأت بداية صغيرة جداً، ثم قرأ بعد ذلك في سفر أعمال الرسل "وأما الكنائس في جميع اليهودية والحليل والسامرة، فكان لها سلام، وكانت تبنى، وتسير في خوف الرب. وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر" (أع ٩: ٣١) .

عمل الخميرة :

كلما قرأ عبارة "كانت كلمة الله تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً" (أع ٦: ٧)، ندرك حقائق هامة في مثل الخميرة وهي :

قوة الحياة الخفية الموجودة في الخميرة، وقدرتها على العمل.

لأنك أن قوة كبيرة خرجت من الحميرة، وعملت في أكبال الدقيق. إنها تعطينا فكرة عن قوة النعمة العاملة في الكنيسة ، هذه القوة التي قال عنها القديس بولس الرسول "ولكن نعمة الله أنا ما أنا. ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة، بل أنا نعتت أكثر من جميعهم. ولكن لا أنا، بل نعمة الله التي معي" (١ كور ١٥ : ١٠) .



الخميرة في عملها، تمثل العمل السري في الكنيسة .

القوة الخفية التي تعمل ونحن لا نراها، ولكن نرى نتيجة عملها هي قوة حياة لباء الملوكوت، قوة الروح القدس ..

من فينا يرى العمل السري الذي تقوم به الحميرة في الدقيق؟ ربما يقول العلماء إنها تعمل على تكاثر الحلايا. ولكننا لا نرى شيئاً.



هكذا العمل غير المرئي في الأسرار الكنسية .

لا نرى العمل الخفي الذي تعمله المعمودية في الميلاد الثاني من الماء والروح (يو ٣ : ٥) (تي ٣ : ٥) وكذلك لا نرى العمل الخفي الذي تقوم به المسحة المقدسة في سر الميرون (١ يو ٢ : ٢٠ ، ٢٧). وكيف يسكن الروح القدس في الإنسان، وبصيح هياكل

للروح القدس وهو يسكن فينا (١كو ٣: ١٦) (١كو ٦: ١٩) .

كل ذلك بذكرنا بعمل الخميرة السرى فى العجيب .

✱ ✱ ✱

كذلك عمل الخميرة هو عمل داخلى، يتخلل كل ذرات الدقيق .

إن الخميرة لا تعمل من الخارج ، بل تعمل عملاً داخلياً عجباً، يحول الدقيق إلى شئ آخر غير ما كان عليه فى بادئ الأمر . ويظل هذا العمل فيه حتى يكمل انتماره .

وإذ يصبح الدقيق مختمراً، لا يكون له فضل فى ذلك .

إنه لم يصير ذاته هكذا، بل الخميرة هى التى حولته إلى الصفة الجديدة التى صار إليها. كما قال السيد الرب "بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً" (يو ١٥: ٥) .

✱ ✱ ✱

كل ما حدث هو أن الدقيق سَلِمَ ذاته لعمل الخميرة فيه .

لم يقاوم ، ولم تكن دانه ذات فاعلية تتمسك به، بل هو يعطينا فكرة عن (حياة التسليم) كيف تكون. هذه التى قال عنها القديس بولس الرسول "أحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فى" (علا ٢٤: ٢٠). هكذا للدقيق يقول " لا أنا ، بل الخميرة التى تعمل فى " .. "أنا ما أنا " (١كو ١٠: ١٠) .

لا يمكن للدقيق أن يصير خبزاً بإرادته هو، بل لا يصير عجينةً محترماً بإرادته هو . إنها الخميرة العاملة فيه .

✱ ✱ ✱

الجميل فى الخميرة إنها تعمل فى الحال ، وتعمل باستمرار .

حينما توضع الخميرة فى الدقيق ، لا تتباطأ فى العمل، بل تعمل فى التو، وتظل تعمل وتعمل، حتى تقول أخيراً "قد أكمل". وهذا هو الذى حدث مع الكنيسة الأولى، حالما حل الروح القدس على التلاميذ، بدأوا يعملون بلا توقف، من أول ساعة، إلى أن نشروا الملكوت. بدأوا عمل الكرازة ، عمل التبشير، عمل التعليم، عمل التعميد، حتى تم انتشار الخميرة فى العجين كله .

تماماً كما دخلت الكلمة الإلهية فى اذن القديس أنطونيوس، للحال ظلت تعمل فيه، حتى باع كل ما يملك وذهب ليكرس كل قلبه وكل فكره لمحبة لرب، بلا تناطؤ .

✱ ✱ ✱

أهم ما فى عمل الخميرة أنها تنتشر .

تنتشر في العجيب ، وتتخلل كل ذراته ، وتحولها .

إن الدبقة الحقيقية هي التي تتخلل الإنسان كله وتحوله . تتخلل عقله وقلبه وإرادته ، وتعمل فيه عملاً داخلياً سرّياً وهكذا يقول الرسول عن كلمة الله إنها "حية وفعالة ، وأمضى من كل سيف ذي حنين ، وخارقة إلى معرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ" (عب ٤: ١٢) .

هكذا الخميرة تتخلل كل ما في الدقيق ، وتكون حية وفعالة .

* * *

ولعل أبرز عمل للخميرة أن تغير الدقيق وتحوله إلى خمير .

كل قطعة منه تصلح أن تكون خميرة . لأن الخميرة التي وضعت فيه حولته إلى طبيعتها ، إلى صور عنها ومثال .. وأصبح هو أيضاً بعمل كعمل الخميرة ذاتها . إن أخذنا جزءاً منه ووضعناه في عجين ، يمكنه أن يخمره . لا يبقى الدقيق دقيقاً ، بل يصير خميراً . هكذا شاول الطرسوسي ، لما اختمر بكلمة الله العاملة فيه ، لم يقتصر فقط على اختماره الشخصي ، بل تحول إلى خميرة يمكنها أن تخمر للعجين كله .

وهذا هو العجيب في الخميرة ، إنها تحول الدقيق إلى مثل طبيعتها . وهذا هو عمل الكنيسة في المؤمنين الجدد .

* * *

الله يعمل فيك ، لكي يحولك إلى صورته ومثاله .

والذي يؤمن ويدخل إلى العماد المقدس ، يستمع إلى قول القديس بولس الرسول "لأن جميعكم الذي اعتمدتم للمسيح ، قد لبستم المسيح" (غل ٣: ٢٧) .. نعم ، لبستم برة ، ولبستم شكله ، وصرتم مثله بلا خطية في وقت خروجكم من المعمودية .

كلّاس يدخلون إلى الإيمان ، وتعمل الخميرة المقدسة فيهم ، فتراهم يتحولون إلى خدام لا يجنبون غيرهم أيضاً إلى الإيمان ...

هكذا كان للشباب أوغسطينوس شأناً ضائعاً بعيداً عن الإيمان . فلما آمن واعتمد استطاع أن يحول غيره إلى الإيمان . ولما سلك في الحياة الروحية ، أصبح هو أيضاً يحول كثيرين إلى الحياة الروحية .

* * *

من خصائص الخميرة أنها لا تهدأ حتى تخمر العجين كله .

علما لا يقف عند حد ، بل يستمر حتى يكمل لكل ، كما قال السيد المسيح عليه الصليب "قد اكمل" (يو ١٩: ٣٠) .

وكما قال للأب : الدين أعطيتنى حفظتهم فى اسمك، ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك" (يو ١٧). وكما قال "أنتم ملح الأرض" "أنتم نور العالم" (مت ٥: ١٣، ١٤). فالملح يملح الطعام كله، بانتشاره فيه. والنور أيضاً يبهر البيت كله، بعنثاره فيه . يقول الرب أيضاً فى مثل الخميرة ، أنه أخذتها امرأة وخبأها فى ثلاث كيلات دقيق...

✱ ✱ ✱

المرأة فى هذا المثل ترمز إلى الكنيسة .

كما قيل عن المرأة أيضاً فى مثل الدرهم المفقود (لو ١٥). كما ظلت تبحث عنه حتى وجنته، هكذا الكنيسة تبحث عن الخاطئ حتى ترده .

المرأة حبأت الخميرة فى كيلات الدقيق، هكذا الكنيسة هى التى بكرزتها تضع الإيمان فى قلوب الناس، وبرعايتها تضع مشاعر التوبة فى قلوبهم، بعمل قوى وعميق .

✱ ✱ ✱

المرأة لم تضع فقط الخميرة فى الدقيق، بل أولاً حوكت الدقيق إلى عجين، حتى يصلح وضع الخميرة فيه .

أى هيات الجو المناسب الذى يجعل الخميرة تعمل. فهى لا تعمل فى مجرد الدقيق، إنما يوضع عليه الماء الدافئ، والماء والحرارة يعجن أولاً حتى يصبح مناسباً لعمل الخميرة فيه .

وهذا ما عمله الكنيسة إذ تهئ للشعب الجو المناسب. بالأسرار الكنسية، بالماء والروح، بالحرارة والدفع.. تأخذ الإنسان وتحوله إلى جو مناسب لعمل النعمة فيه . تعطيه العماد ، تعطيه الروح القدس بمسحة الميرون المقدس، تعطيه الحل فى سر التوبة، تمهده لسر الإفخارستيا المقدس .. وباختصار، نجبه جيداً قبل أن نحمره بوضع الخميرة فيه .

✱ ✱ ✱

وهذا يرينا أنه لا يوجد خلاص خارج الكنيسة .

وكما قال أحد القديسين إنك لا تستطيع أن تتخذ الله أباً، دون أن تتخذ الكنيسة أمّاً. وهكذا يشرح القديس بولس الرسول فى رسالته إلى رومية فيقول "لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص . فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به! وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به؟! وكيف يسمعون بلا كارز؟! وكيف يكرزون إن لم يرسلوا" (رو ١٠: ١٣-١٥).

فالكنيسة هى التى ترسل الكارزين، وهؤلاء يقومون بحدمة الكلمة، التى تؤدى إلى

الإيمان، فالمعمودية فالحلاص (مر ١٦: ١٦) . وإن أخطأ الناس بعد هذا ، وبعدوا ع
الله، تقوم الكنيسة بخدمة المصالحة ، تنادى أن اصطالحوا مع الله (٢كو ٥: ١٨ ، ٢٠) .
* * *

المرأة خبات الخميرة فى ثلاث كيلات دقيق .

خبأتها أى وصعتها فى الداخل، فى الأعماق . هذا ما تفعله بكلمة الله حينما تصعها م
قلوب المؤمنين ، وما تفعله بالإيمان حينما تصعه فى أعماقهم . ويذكرنا هذا بقور المزمور
"خبأت كلامك فى قلبي لكي لا أخطئ إليك" (مز ١١٩) .

فالخميرة التى توضع خارج الكيلات، لا تأتى بثمر . لكن المرأة أى الكنيسة ، خبات
فى الداخل، فى المكان المناسب .

ولكن ما معنى ثلاث كيلات دقيق ؟

ثلاثة أكيال دقيق :

الرقم ٣ بوجه عام يرمز إلى الكيان .

فمثلاً الحجم يتكون من ثلاثة : الطول والعرض والارتفاع .

والزمان أيضاً من ثلاثة : الماضى والحاضر والمستقبل .

وأية مباراة . نتيجتها فى ثلاثة : إما غالب ، أو مغلوب، أو متعادل .

وهكذا فى العلاقات : إما مؤيد ، أو معارض ، أو محايد .

والجنس : إما ذكر ، أو أنثى ، أو لا هو ذكر ولا أنثى ، كالملائكة .

والمواد أيضاً ثلاثة . صلبة، أو سائلة، أو غازية .

والكائنات الحية التى على الأرض : إنسان ، أو حيوان، أو نبات وتحيا إما أرضية .

بحرية، أو طيوراً فى الجو .

* * *

وهكذا فى تطبيق المثل: إلى أى شئ ترمز الثلاثة أكيال دقيق؟

إما ترمز إلى البشرية كلها التى تناسلت من أبناء نوح الثلاثة سام وحام ويافث .

أو فى محيط الأسرة : الأب ، والأم ، والأولاد .

أو ألقبت الخميرة فى تكوين الإنسان من حسد ونفس وروح .

أو فى محيط الكنيسة: لإكليروس، والمؤمنين، والذين يمكن ضمهم

أو في محيط الشعب : الأطفال ، والشباب ، والشيوخ .

أو في العهد القديم: في النملوس والأنبياء والمزامير (لو ٢٤ : ٤٤) .

أو في المجال المسيحي . العهد القديم ، والعهد الجديد ، وتقليد الكنيسة . كل ذلك ما يمكن أن تعمل فيه الخميرة ، أو تعمل بواسطته .

ملحظات :

★ ننكر غير ما سبق أن الخميرة ، بالإضافة إلى عملها في سرية ، كانت تعمل أيضاً في تدرج . وهذا العنصر ينطبق أيضاً على باقي أمثال النمل ، مثل حبة الحرمل ، والبرع الذي ينمو .

★ كذلك فإن الخميرة كانت تعمل بلا مقاومة . كما قال الرب عن كلمته "لا ترجع إلى فارغة ، بل تعمل ما سررت به ، وتنجح في ما أرسلتها له" (أش ٥٥ : ١١) .

★ كذلك فإن إنتشار الخميرة في العجيب ، يعطينا درساً أننا في خدمة الملكوت ، لا نبعد عن العالم ، بل نتخلله ونعمل فيه ، ونؤثر فيه ، ونغيره على قدر ما نستطيع . كما تعمل الخميرة ، تدخل إلى العجين ، وتنتشر فيه ، وتؤثر فيه ، وتغيره إلى نفس طبيعتها .

★ الخميرة طعمها غير مقبول . ولكن عملها ناجح ونافع .

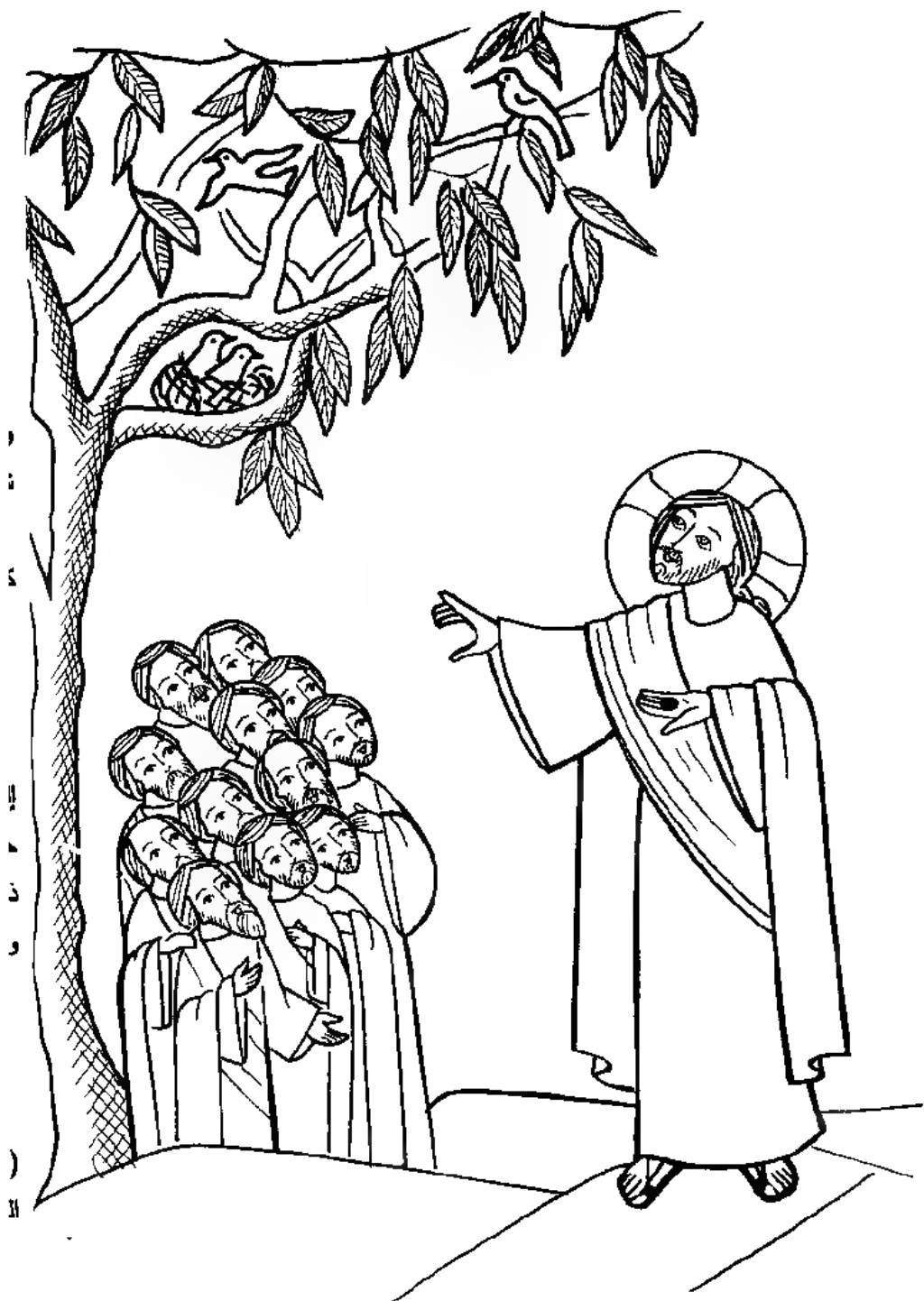
وبالمثل فإن الطريق إلى الله ، من حيث الباب الضيق ، وحروب العدو ، وضبط النفس في كل شيء ، وإنكار الذات ، وحمل الصليب .. كل ذلك قد يبدو مرأ ، ولكنه نافع لأبدتنا . مثله مثل المر : طعمه غير مقبول . ولكنه حلو في رائحته . كان من التقدّمات التي قدمها المجوس لطفل المروء . وقيل عن الكنيسة "المر والميعة والسليخة من ثيابك" (مز ٤٥ : ٨) .

★ هناك أشخاص رفضوا عمل الخميرة فيهم . لأن طعمها غير سائغ لهم :

★ مثل هيرودس الملك الذي قال له يوحنا المعمدان "لا يحل لك أن تأخذ امرأة أخيك" (مت ١٤ : ٤) . ومثل الشاب الغني الذي قال له الرب "إن أردت أن تكون كاملاً ، اذهب وبع كل مالك واعطه للفقراء .." فمضى حزيناً (مت ١٩ : ٢١ ، ٢٢) .

هؤلاء رفضوا أن تعمل فيهم الخميرة ، فلم يصبحوا من بى الملكوت .

أما نحن فلنقبل عمل هذه النعمة ، لنبتشر الملكوت فيها وبنا .



٢- مَثَل حَبَّةِ الْخَرْدَلِ

(مت ١٣ : ٣١ : ٣٢)

ورد المثل فى عبارة قصيرة ، ولكنه يشمل معنى عميقة .
هكذا ورد فى (مت ١٣ : ٣١ ، ٣٢) "يشبه ملكوت السموات حبة خردل، أخذها إيمان وزرعها فى حقله. وهى أصغر جميع البذور. ولكن متى نمت فهى أكبر البقول. وتصير شجرة حتى أن طيور السماء تأتى وتقاوى فى أغصانها".
ورد هذا المثل أيضاً فى (مر ٤ : ٣٠ - ٣٢)، (لو ١٣ : ١٩). أى فى الثلاثة أناجيل التى كتبت قبل إنجيل يوحنا .

نوعية حبة الخردل :

ينبغي أن يكون تركيزنا، لا على صغرها، بل على نموها .
عظمة حبة الخردل أنها - على الرغم من صغرها - تنمو حتى تصبح شجرة تتأوى إليها طيور السماء. وبهذا المعنى نفهم قول السيد الرب "لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل، لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل" (مت ١٧ : ٢٠). ليس معنى ذلك أنه لو كان لكم مجرد إيمان ضئيل، إنما الإيمان الصغير الذى ينمو باستمرار ويكبر...

كما أن هناك تآملاً آخر فى حبة الخردل وهو :

✱ ✱ ✱

من نواضع الله أن يشبه ملكوته بأشياء صغيرة .

إنه شبه ملكوته بحبة قمح (مر ٤ : ٢٦ - ٢٨)، مجرد بذرة وشبه ملكوته أيضاً بخميرة (مت ١٣ : ٣٣). وبحبة خردل (مت ١٣ : ٣١ ، ٣٢). وشبه الملكوت أيضاً بشبكة تلقى فى البحر (مت ١٣ : ٤٧) .

الأشياء الصغيرة :

حتى معجزات الله ، استخدم فيها أشياء صغيرة .

معجزة إشباع خمسة الاف رجل غير النساء والأطفال، استخدم فيها مجرد خمس خيرات وسمكتين (لو ٩ : ١٣ ، ١٤) . وبهذا القدر البسيط اشبع الجموع وفصل عنهم . كذلك فى معجزة منح البصر للمولود أعمى ، استخدم طيناً (يو ٩ : ٦) . وفى شق البحر الأحمر، جعل الوسيلة لذلك مجرد عصا أمسكها موسى (خر ١٤) . وفى خلق الإنسان استخدم تراب الأرض .

كلها أشياء بسيطة، ولكنها فى يد الله عظيمة القدر .

✱ ✱ ✱

من جهة البشر أيضاً، استخدم أفراداً كانوا قلة فى العدد والمواهب .

أحтар للكرآزة فى العالم كله إثنى عشر تلميذاً، غالبيتهم كانوا من جهال وضعفاء العالم، ومن المردرى وغير الموجود (١كو ١٠ . ٢٧ ، ٢٨) . كانوا حبات حردل صغيرة، وصاروا أشجاراً تتأوى إليها طيور السماء !

ولتثخير هؤلاء بالقيامة ، اختار مريم المجدلية التى كان قد أخرج منها سبعة شياطين (مر ١٦ : ٩) (يو ٢٠ : ١٧ ، ١٨) .

أحhtar أيضاً بيغوديموس الذى قابله ليلاً خوفاً من اليهود (يو ٣ : ١ ، ٢) . أحhtar "أوانى حرفية" (٢كو ٤ : ٧) ، أوانى ضعيفة قابلة للكسر .

✱ ✱ ✱

وفى العهد القديم أيضاً اختار صغاراً .

أحhtar العتى ارميا الذى قال "لا أعرف أن أتكلم لأنى ولد" (أر ١ : ٦) . وقال له "أنظر، قد وكلتك اليوم على الشعوب وعلى الممالك.." (أر ١ : ١٠) . وأحhtar صموئيل الطفل، لينقل رسالة حظيرة إلى عالى الكاهن (١صم ٣) . وليكون صاحب قنينة الدهن التى يرسم به ملوكاً (١صم ١٠) (١صم ١٦) . وأحhtar الرب داود صغير أخوته ليكون مسيحاً للرب وأول ملك حسب مسرة قلبه (١صم ١٦ : ١٣) .

أحhtar موسى "الثقىل القم واللسان" (خر ٤ : ١٠) ليكون كلم الله!

هذا الذى قال "لست أنا صاحب كلام منذ أمس، ولا أول من أمس، ولا من حين كلمت عندك" (خر ٤ : ١٠) بل "ها أنا 'غلف الشفتين'" (خر ٦ : ٣٠) . كلن موسى بلاشك فى بدء

رسالته، حبة خردل صغيرة ثم نمت . فصار من أعظم الأنبياء، ونقل شريعة الله إلى الناس .

✱ ✱ ✱

استخدم الله جدعون ليصنع خلاصاً ، ودعاه جبار النباس .

هذا الذي قال "ها عسيرتي هي الذلي في منسى، وأنا الأصغر في بيت أبى" (قض: ٦: ١٥). ولكن الله وضع نعمته في حبة الخردل الصغيرة هذه وقال له "إنى أكون معك، ومستضرب المديانيين.." (قض: ٦: ١٦) .

✱ ✱ ✱

استخدم الله أيضاً يوسف الصديق أصغر أخوته .

لكى يكون لباً لفرعون ومتسلطاً على كل مصر (تك: ٤٥: ٨). ولكى يكون المنفذ الذى ينفذ شعب مصر وكل البلاد المحيطة من المجاعة، ويصبح سبب بركة لجيله. ويهبه الله موهبة تفسير الأحلام، وحكمة التدبير. ويقول عنه فرعون "هل تجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله" (تك: ٤١: ٣٨) .

✱ ✱ ✱

واستخدم الرب داود الصغير ليكون البطل الذى يقتل شمشون الجبار (اصم: ١٧)، وتهتف له النسوة بالدعوف والمثلثات والغناء والرقص (اصم: ١٨: ٦، ٧). وأيضاً لكى يصبح هذا الصغير رجل الصلاة والتساييح والمزامير، يعرف على العود والقيثارة والعشرة الأوتار، ويهدئ الملك شاول حين يصرعه الشيطان. ثم يقول عنه الرب "فحصت قلب داود، فوجدته حسب قلبي" . وقيل إن قلبه كان كاملاً مع الله" (امل: ١١: ٤) . وبصبح داود أيضاً رمزاً للمسيح .

✱ ✱ ✱

أيضاً لئناسيوس الشماس كان حبة خردل صغيرة فى مجمع نيقية المسكونى .

كان مجرد شماس وسط ٣١٨ من رؤساء الكنائس وممثليها: بطارقة ومطاربة وأساقفة.. ولكن حبة الخردل هذه، كانت حبة ونامية. واستطاعت أن تضع قواعد الإيمان المسيحي. وتأوت إليها طيور السماء ...

✱ ✱ ✱

واستخدم الأشياء الصغيرة، ظهر فى ميلاد المسيح .

فقد وُلد فى مزود حقير، صار مراراً مقدساً تسجد أمامه الملوك والأباطرة، والبطارقة

والأسقفية. حبة خردل صغيرة صارت لها قيمتها. وولد المسيح أيضاً من أم يتيمة فقيرة، صارت جميع الأجيال تطوبها (لو: ١: ٤٨). وولد أيضاً في قرية بيت لحم التي كانت الصغرى في أرض يهوذا. فأصبحت حبة خردل خرج منها المدبر الذي يرعى شعب الله (مت: ٢: ٦).

أيضاً في الرهينة استخدم شيئاً واحداً ليصير أباً لجميع الرهبان

ذلك هو الشاب أنطونيوس الذي أنتشر به هذا الطقس الملائكي في كل أنحاء العالم، طقس "الملائكة الأرضيين والبشر السمايين". وصار أنطونيوس قائداً لكل قادة الرهينة، بل مرشداً روحياً للبابا أثناسيوس الرسولي. ويبعث إليه الإمبراطور قسطنطين رسالة يطلب بركته .



أيضاً يوحنا القصير ، كان شاباً صغيراً، محرد حبة خردل، فاستخدمه الله حتى صار شجرة تتأوى إليها طيور السماء. وقيل عنه "إن الأسقيط كله كان معلقاً بأصبعه". وبالمثل كان تادرس تلميذ باخوميوس حبة خردل صغيرة. أمكن أن يؤسس غالبية أديرة القديس باخوميوس الكبير، وينظم أحوالها ويعين لها أمناء ومدبرين، وهو بعد شاب صغير..



ألم كل هذه الأمثلة، نتذكر قول السيد الرب :

"انظروا ، لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار" (مت: ١٨: ١٠) .

نعم ، ما يدرينا لعل واحداً منهم يكون حبة خردل تنمو. مثل الطفل الذي أقامه السيد الرب وسط التلاميذ. وقال لهم "إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال، فلن تدخلوا ملكوت السموات" (مت: ١٨: ٣) . وقيل إن هذا الطفل صار القديس أغناطيوس الأنطاكي، أحد الآباء الرسولين الذي لقبوه (الثيوفورس) أي حامل الإله .



هناك مشروعات عظيمة في أيامنا بدأت كحبة خردل ونمت .

★ مدارس الأحد بدأت كمجرد فصل صغير في الكنيسة المرقسية بالأزبكية ثم نمت فصارت مراكز قوية في أسبوط، وفي شبرا، وفي الجيزة، وفي كل أنحاء القطر، وخارجه أيضاً. وصارت شجرة تتأوى إليها طيور السماء .

★ تعليم الفتاة بدأ كحبة خردل في مدرسة أسسها البابا كيرلس الرابع في حارة السقايين،

قبل اهتمام قلم أمين، وهدى هاتم شعراوى. ثم ما لبث أن انتشر تعليم المرأة فى كل مكان .

★ بيوت المعتربات بدأت بفكرة بسيطة كحبة خردل نبتت فى ذهن الأب القمص صليب سوريال بالجيزة. أنت فتاة تبكى وتقول إنها قبلت طالبة فى الجامعة بالجيزة، ولا تجد مكاناً تقم فيه وهى من أهل الصعيد ..

ففكر فى إنشاء بيت للطالبات الجامعيات للمعتربات. وكثفت الفكرة حبة خردل، ما لبثت أن صارت شجرة تتلوى إليها طيور السماء ..



إعادة تأسيس الكلية الإكليريكية سنة ١٨٩٣ فى عهد البابا كيرلس الخامس، كانت مجرد فكرة بسيطة أختير لها بعض طلاب من مدرسة الأقباط الثانوية، وبعض آباء من الرهبان.. كلهم حوالى عشرة . ونمت الفكرة حتى صارت شجرة تتلوى إليها المئات من الطلبة .

وبالعمل فكرة القسم الليلي بالإكليريكية بدأنا بها كخمسة من الطلبة الجامعيين، تخرجنا سنة ١٩٤٩. كنت واحداً منهم. ونمت حبة الخردل هذه حتى أصبح لنا فى القسم الليلي مئات متعددة من الطلبة .

حبيب جرجس نفسه كان حبة خردل، نمت وانتشرت .

مثل للتشجيع وللرجاء :

قال السيد المسيح هذا المثل تشجيعاً أيضاً لتلاميذه .

كانوا عدداً قليلاً يأتمنه على نشر الكرازة فى العالم أجمع .. وكنوا ضعفاء، وكان يمكن أن يخافوا فيما بعد من اليهود ، ومن قسوة الدولة الرومانية وأباطرتها وولاتها، ومن الفلسفة المنتشرة وقتذاك بمبادئ غير المسيحية. فكان السيد الرب يقول لهم : لا تخافوا إن الملوك يشبه حبة خردل صغيرة ولكنها سوف تنمو، وتصبح شجرة تتلوى إليها طيور السماء..

إنه تشجيع لهم ، ورجاء يقدمه لهم فى عمل الله فى حبة الخردل هذه. وإيضاً كان كلامه فى هذا المثل، وفى مثل للخصيرة، ومثل حبة القمح هو نبوءة عن مستقبل الكنيسة ونموها . وقد كان ...

تفاصيل المثل :

حبة خردل وهي أصغر البذور .

ملكوت الله سيبدأ صغيراً ، مثل حبة الخردل ، وحنة القمح ، والخميرة . ومثل التلاميذ الذين قيل عنهم في المزمور "الذين لا قول لهم ولا كلام ، ولا تسمع أصواتهم ، في كل الأرض خرج منطقتهم ، وإلى أقصى المسكونة بلغت كلماتهم" (مز ١٩ : ٣ ، ٤) . هؤلاء هم الصيادون الجهلة .



حبة الخردل صغيرة ، ولكن فيها حياة ، واستعداد للنمو .

المهم أنها حية . مثل كلمة الله التي قيل عنها إنها "حية وفعالة" (عب ٤ : ١٢) . صدقوني إن هذه الحبة الصغيرة تحمل في داخلها صورة الشجرة بكل خواصها وصفاتها . مثل الجنين الذي يبدأ في بطن أمه نطفة بسيطة . ولكن هذه النطفة تحمل في داخلها صورة الإنسان حينما يكبر .



حبة الخردل فيها الحياة ، وفيها طاقة الحياة ، وطاقة الانتشار .

فيها الحياة الكامنة ، غير الطاهرة ، ولكنها قوية : إذا ما أُتيحت لها الفرصة يمكن أن تظهر . وتبدو هذه الطاقة في النمو والانتشار . تذكرني بالذرة : صغيرة وضيئلة ، وقد لا تُرى إطلاقاً بالعين المجردة . ولكنها تحوى طاقة جبارة إذا ما أُتيحت لها أن تتفجر .



حبة الخردل هذه أخذها إنسان وزرعها في حقله .

كلمة (إنسان) هنا ترمز إلى السيد المسيح ، الذي وضع نفسه البشرية في حقله أى في كنيسة ، أو وضع هذه الكنيسة في رعاية نعمته العاملة فيها . وكثيراً ما تحدث الكتاب عن المسيح كإنسان ، أو أنه هكذا قال عن نفسه "إنسان له كرم" "إنسان له حقل" "إنسان بذر بذراً" "إنسان له وكيل" .. إلخ .

عبارة "أخذها إنسان وزرعها" ، تعنى عمل النعمة فينا .

فرق كبير بين حبة خردل قائمة بذاتها ، تبقى كمجرد حبة ، وقد يفسدها السوس . وحنة خردل أخرى أخذها إنسان وزرعها ، وهى لها وسائل النمو . هكذا ما أكثر أصحاب المواهب الذين لا يجدون من يتعهدهم ويرعاهم ، ويقدم لهم الإمكانيات والوسائل ، وتقديم

✱ ✱ ✱

حبة الخردل لكى تنمو، قُتِمَتْ لها ظروف الإنبات .

كما قال القديس بولس الرسول "أنا غرست ، وأبّلوس سقى، والله كان ينمى" (١كو ٣: ٦). أُنْستطِيع حبة خردل أن تنمو، بدون وسائل الإنبات هذه: تزرع فى أرض جيدة وتتعهدها النعمة بالرئى .

هكذا بولس الرسول فعل مع تلميذه تيموثاوس : أخذه وتعهده بالتعليم، وسلّمه التعليم السليم، وصيره أسقفاً لأنسس.. وهكذا فعل أيضاً بأنسيموس الذى كان مجرد عبد وصيّره نافعاً للخدمة (فل ١١، ١٧).

✱ ✱ ✱

للمهم فى حبة الخردل أن تستسلم لعمل الزارع فيها .

لا تقاوم - حيث يضعها تبقى فى مكانها، وتستسلم أيضاً لعمل التربة فيها ولعمل الماء. فتحيا حياة التسليم لكى تنمو .

. وهنا نرى اتحاد العمل البشرى مع العمل الإلهى. حقاً إن الله هو الذى ينمى البذرة. ولكنه ينمى ما قد غرس وما قد سقى (١كو ٣: ٦).

للمهم فى حبة الخردل أن تُزرع وأن تُروى. تدفن فى الأرض التى ترمز لعمل المعمودية "مدفونين معه بالمعمودية" (كو ٢: ١٢) وتقبل الماء فيها الذى يرمز إلى الروح القدس (يو ٧: ٣٨) .

✱ ✱ ✱

كذلك عامل الزمن مطلوب لنمو حبة الخردل .

نحن لا نلقى حبة فى الأرض ، لتصير شجرة للتو . وإنما تحتاج إلى وقت لكى تنمو، فى هدوء وتدرج . ولكل شئ تحت السموات وقت (جا ٣: ١) . وهذا درس لنا فى عدم العجلة، ولا نستعجل الثمر فى خدمتنا ولا فى حياتنا. هوذا المرنل يقول فى المزمور "انتظر الرب. تقوّ وليتشدد قلبك، وانتظر الرب" (مز ٢٧: ٤) .

✱ ✱ ✱

لتكن حبة الخردل - فى نموها - درس فى انتظار الرب .

ننتظر فى إيمان وثقة ، أن البذرة لا بد ستتمو. فى الوقت المحدد لها من قبل الرب حسب طبيعتها، وحسب الظروف المحيطة بها، وحسب النعمة المحيطة بها والعاملة فيها.

كذلك فى حياة كل إنسان: يحتاج إلى وقت لكى يتدرج من حياة الخطية إلى حياة التوبة، إلى حياة القداسة، إلى الكمال. وهذا يعطينا درساً فى الصبر .

✽ ✽ ✽

حبة الخردل هذه نمت وصارت شجرة تتأوى إليها طيور السماء .

هذه الطيور ترمز هنا إلى القديسين المنتمين إلى كنيسة الله. طيور تنتمي إلى السماء، وتصل إلى فوق، إلى السماء فوق مستوى الأرض. إنها سابعة وسائحة فى السماء كما السواح فى الأرض.

✽ ✽ ✽

تتأوى فى أغصانها أى صار لها أغصان وفروع .

وهذا مظهر من مظاهر الإنتشار . وكنيسة الرسل صار لها فروع فى أورشليم، وكل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض (أع ١: ٨) .

وكنيستنا القبطية صار لها فروع فى أفريقيا وفى الأراضى المقنمة، وفى أمريكا وكندا وأوروبا وأستراليا وكل بلاد المهجر. ومدارس الأحد امتدت وصار لها فروع. وكذلك الكلية الإكليريكية .

✽ ✽ ✽

الطيور تسبح فى السماء ، ولكنها إذا تعبت ، تاتى إلى الشجرة لتستريح.

هكذا المؤمنون يجدون راحتهم فى الكنيسة. كذلك فروع الخدمة يستريح على أغصانها المخدمون، مهما ارتفعوا إلى فوق يلتون إلى الشجرة الأم يستريحون على أغصانها ثم يتابعون الطريق .

✽ ✽ ✽

لا تتضيق إن بدأت روحيتك بمستوى ضعيف، فلابد أنك ستتمو .

ستتمو ملامت كائناً حياً، وقد وضعت ذاك فى يد النعمة العاملة فيك..

ولكن لا تبق كمجرد حبة خردل ، بعيدة عن الأرض والماء .

٣- مَثَل حَبَّةِ الْقَمْحِ

(مَثَل الزَّرْعِ الَّذِي يَنْمُو)

(مر ٤ : ٢٦-٢٩)

مَثَل حَبَّةِ الْقَمْحِ :

هناك مثل لم يرد إلا في إنجيل مرقس (٤ : ٢٦ - ٢٩) وهو مثل حبة القمح، أو الزرع الذي ينمو. وهذا ما سنتحدث عنه الآن :

هكذا قال الرب في هذا المثل :

" قال : هكذا ملكوت الله : كأن إنساناً يلقى بذراً على الأرض. وييام ويقوم ليلاً ونهاراً، والبذار يطلع وينمو، وهو لا يعلم كيف. لأن الأرض من ذاتها تأتي بثمر : أولاً نباتاً ثم سنبلًا . ثم قمحاً ملأً في السنبل " (مر ٤ : ٢٦ - ٢٨) .

والآن نشرح هذا المثل نقطة نقطة :

※ ※ ※

قال : هكذا ملكوت الله :

عبارة الملكوت وردت بثلاثة تعبيرات : ملكوت الله ، وملكوت السموات، وملكوت

الأبدى. وقيل عن ملكوت الله :

"ملكوت الله داخلكم" (لو ١٧ : ٢١) .

ومعناها أن يملك الله على كل ما في داخل الإنسان : يملك على قلوبكم، وعلى أفكاركم،

وعلى أرواحكم، وعلى مشاعركم، وعلى وقتكم. يملك على كل شيء .

※ ※ ※

وفي الواقع أن المسيحية كلها تتلخص في الملكوت .

كل شئ فيها يدور حول ملكوت الله : سواء الإيمان، أو العبادة، أو ثمار الروح. كلها هدفها أن يملك الله .

فليست المسألة مجرد عقائد نظرية، بقدر ما هي حياة يملك فيها الله على الإنسان المؤمن، وعلى إرادته وعمله .

وملكوت الله يقبله الإنسان بكامل حريته. فانه ليس كروساء العالم، يفرضون سلطتهم على الناس. بل هو يملك علينا بكامل حريتنا وإرادتنا .

✱ ✱ ✱

وهو أيضاً ملكوت دائم مستمر ، لا ينتهي .

حتى في بشارة الملاك للعزراء ، قال عن القديس المولود منها "ولا يكون لملكه إنقضاء" (لو ١: ٣٣). وهذا يذكرنا بما قيل في نبوءة دانيال للنبي "وملكوته ما لا يفرض" (دانيال ٧: ١٤) .

القصد من ملكوت الله، أن يجعل الإنسان باراً نقياً .

وأن يجعله شبه الله ، على صورته ومثاله .

✱ ✱ ✱

ومن طبيعة ملكوت الله دخلنا أنه ينمو .

وقد شرح الرب هذا النمو في مثل حبة الخردل ، وفي مثل الخميرة. وفي مثل الزنات. وفي هذا المثل ، مثل الزرع الذي ينمو، أو مثل حبة القمح .

من جهة الكنيسة - إن طبقنا هذا المثل عليها ، فهي تنمو في العدد وفي نشر الإيمان، كما كانت الكنيسة في العصر الرسولي، وفيما بعد (مرسوم ميلاد) سنة ٣١٣م الذي كفل الحرية الدينية .

وإن طبقنا هذا المثل على الفرد ، على حالة قلبه من الداخل: فإنه ينمو في الفضيلة.

وينمو في محبة الله، أو تنمو محبة الله فيه. وعموماً تنمو صلته بالله وتتعمق يوماً بعد يوم.

✱ ✱ ✱

إن ملكوت الله ملكوت روحي، وحر، وينمو ...

ونموه نمو تدريجي :

لا يوجد إنسان يصل إلى الكمال دفعة واحدة، بل يتدرج .. كما قيل في هذا المثل "أولاً نباتاً، ثم سنبلاً، ثم قمحاً ملأً في السنبلة" .

كل شئ يأتى فى وقته الحسن . من الخطأ عدد بعض المرشدين الروحيين ، أنهم يريدون أن ينمو أولادهم بسرعة قد تكون غير طبيعية!
من المفروض فى الإنسان أن ينمو بالتدريج من الناحية الروحية، كما ينمو بالتدريج من الناحية الجسدية .

✱ ✱ ✱

وملكوت الله هو أيضاً ملكوت سرى :

إنه ملكوت داخل الإنسان فى سرّ. لا يعلم به إلا الله وحده . بل حتى الإنسان لا يدرك بالضبط أنه ينمو ، ولا يعرف كيف ينمو..!

أحياناً يسألنا بعض الشبان : كيف نشعر أننا ننمو روحياً ؟

وفى الواقع من الخطورة عليك أن تشعر أنك تنمو ..!

أنظر ماذا يقول هذا المثل "إنسان يلقى بذار على الأرض، وينام ويقوم ليلاً ونهاراً. والبذار يطلع وينمو. وهو لا يعلم كيف!"

هو لا يعلم كيف. لأن ملكوت الله ينمو فيه بعمل الروح القدس. والكتاب يقول إن "ملكوت الله لا يأتى بمراقبة" (لو ١٧: ٢٠) .

✱ ✱ ✱

ويأتى ملكوت الله بتجاوب الإنسان مع عمل النعمة فيه .

أى اشتراك الإنسان مع العمل الإلهى داخل قلبه ...

وهكذا قال القديس بطرس الرسول "لكى تصيروا شركاء الطبيعة الإلهية (أى شركاؤها فى العمل) ، هاربين من الفساد الذى فى العالم بالشهوة. ولهذا عينه وأنتم باذلون كل اجتهد، قدموا فى إيمانكم فضيلة.." (٢بط ١: ٤ - ٧). فذكر اشتراك الإنسان مع الله ، مقدماً كل اجتهد وكل فضيلة . إن المجهود البشرى لازم مع ملكوت الله .

حقاً إن الله هو الذى يلقى البذار فى الأرض . ولكن لابد من المجهود البشرى .

✱ ✱ ✱

البذرة التى يضعها الله فى الإنسان تحمل كل صفات الحياة .

تحمل الحياة فى داخلها، وتحمل عنصر النمو فى داخلها .

البذرة تلقى فى الأرض ، فتتمو . ولكن كيف تنمو؟ كيف تطلع إلى فوق؟ كيف تزداد يوماً بعد يوم؟ هذا ما لا نعلمه ..

إنه من طبيعة البذرة ذاتها . من موهبة الله لها، موهبة الحياة لآتى وضعها فى البذرة..

※ ※ ※

وأنت كذلك تنمو فى حياتك الروحية . ولكن كيف تنمو ؟

بالروح التى وضعها الله فىك ، ووضع صفاتها . وبالعقل الذى وضعه الله فىك، ووضع مواهبه. أنت لا تدري كيف . ولكن عمل الله مستمر فىك. وكما يقول المثل عن الزرع إنه ينمو، والإنسان لا يعرف كيف ؟

طبيعة البذرة أنها تأتى بثمر. ولكن لابد من اتحاد حريقتا مع المشيئة الإلهية. كما قال بعضهم إن شريعة الله بدأت تعمل، حينما اتحدت السماء مع سيناء. أى حينما اتحد الإنسان فى شبه جزيرة سيناء مع شريعة الله التى من السماء (على جبل الشريعة، حيث أعطى الله للإنسان الوصايا العشر) .

※ ※ ※

يقول الكتاب إن الزرع كان ينمو ليلاً ونهاراً .

أى فى النور وفى الظلام ، فى الحرارة وفى البرودة .

إننا نشكر الله الذى منح البذرة الروحية التى فى داخلنا، أن تنمو حتى فى الظلام، حتى فى البرودة، إنها تحتل الطبيعة، سواء فى السعة أو فى الضيقة. كما يقول الرسول "لذلك أسرّ فى الضيقات" "الموت يعمل فينا.. لا بعسل" (٢كو٤: ١٢، ١٦) . وقال القديس يعقوب الرسول "أحسبوه كل فرح يا أخوتي، حينما تقعون فى تجارب متنوعة. عالمين أن امتحان إيمانكم ينشئ صبراً. وأما الصبر فله عمل تام، لكى تكونوا نامين وكاملين" (يع ١: ٢-٤).

※ ※ ※

البذرة تنمو . يمرّ عليها الليل، كما النهار، وهى تنمو .

طبيعة التنمو جزء من حياتها . ولا يؤثر عليها البرد أو الحر. إنها تنمو مهما كانت الأوضاع.

أنت تستريح ، والرب يعمل فىك. وتنام، وعمل الله مستمر فىك. ويمر عليك الليل والنهار، وعمل الله لايزال فىك .

المهم أنك تنمو وأن الله يعمل فىك. لا تفكر فى نفسك: ما هى قامتى الروحية اليوم؟! وماذا سأصير عداً؟! هذا التفكير ليس من صالحك. ليس المهم كيف تنمو؟ إنما المهم أن تنمو. ويقول الكتاب:

"للتصديق كالنخلة يزهر، كالأرز في لبنان ينمو" (مز ٩٢: ١٢).

النخلة في كل يوم تزداد نمواً، كما يظهر كل عام أنها تنمو، وهكذا أرز لبنان. وهكذا أشجار الكافور والكاورينا. ونحن لا نعرف كيف؟ نفس الوضع في حياتنا الروحية ...
علتنا هو أن نضرم موهبة الله التي فينا .

كما قال القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس (٢ تي ١: ٦).

✱ ✱ ✱

وهكذا ننمو لكي نأتي بشمر .

أولاً نباتاً ، ثم سنبلأ ، ثم قمحاً ملآن في السنبل .

نباتاً : أى أن البذرة بدأت تتفتح ، والحياة الداخلية التي فيها، ظهرت خارجاً. فلم تعد مجرد حياة كامنة داخل البذرة ، بل أخذت تتحول إلى نبات .

ثم سنبلأ : أى أخذت تطلع إلى فوق ، ويتكون فيها الوعاء الذي يدخل فيه القمح .

ثم قمحاً ملآن في السنبل : أى علامة النضوج وكماله ..

المفروض في الكنيسة أن تكون بهذا النمو ، وكذلك الفرد ..

لا تبقى حياتنا مجرد بذرة ، وإنما تتفتح ، وتخرج الحياة التي فيها وتظهر .. هكذا إذا كانت البذرة وهى تلقى فى الأرض، تحاط بكل وسائل الإنماء .

✱ ✱ ✱

لو بقيت البذرة وحدها ، لا تأتي بحياة .

بل ربما تسوس ، أو يكون استعمالها محدوداً. كحبة القمح التى تطحن وتتحول إلى حرز من خبز وتنتهى. أو تطبخ وتتحول إلى فريك وتنتهى.. ولكن لا تتحول إلى هذا النمو المذكور فى المثل إلا إذا ألقيت فى الأرض وزُرعت ، وتفتحت الحياة التى فيها ، لكي تصير "قمحاً ملآن في السنبل" .

عليك إذن أن تلقى البذرة فى الأرض لكي تنمو .

حتى مواهبك التى منحك الله إياها، لابد أن تلقىها وسط الناس لكي تنمو. إن حبة القمح إذا ألقيت فى الأرض، ستتحول إلى سبلة ملاءة بالقمح. ربما قدح واحد من بذار القمح، يتحول - إن ألقيته فى الأرض - إلى طر .

✱ ✱ ✱

إذن لا تترك الحياة التى فيك كامنة ، بل استخدمها .

لا تدفن الوزن في الأرض ، بل تاجر بها واربح اعمل بها .. ليس فقط من جهة المواهب ، بل حتى المال الذي عندك، لا تستيقه مكنوزاً في الأرض لا يأتي بنتيجة. إن وزعه أو وزعت منه على الفقراء، سيفتح لك الرب كوى السماء، وبفيض عليك بركة (ملا ٣: ١٠). ويتحول مالك من مجرد بذرة إلى قمح ملآن في السنبل" .

الثمر الذي تنتجه البذرة هو علامة نضوجها .

حينما يتغير اللون، لون السنبال، يرى "الحقول قد ابيضت للحصاد" (يو ٤: ٢٥). وحينئذ تصبح السنبال مستعدة للحصاد .. وحينئذ يبدأ الحصاد ، وتصبح أجران الله مملوءة قمحاً.. أى أن الله يقبلها في ملكوته ..



إن عمل الله يستمر معنا ، منذ البداية إلى وقت الحصاد .

هو معنا في إلقاء البذار على الأرض، وفي منحها الحياة، ومعنا في منحها النمو. وهذا النمو يتم في الموعد المحدد له للنضوج . فلا نستعجل هذا النضوج، إنما نصبر وننتظره، كما قال الرب "مر يصبر إلى المنتهى ، فهذا يخلص" (مت ٢٤: ١٣) .

ليس لنا أن نرغم البذرة على النمو سريعاً، إنما ننتظر حسب طبيعتها .

هناك بذار تأتي بثمر سريع، وبذار أخرى تبقى في الأرض إلى أن يحين وقتها . وطبيعة كل شجرة تختلف عن الأخرى .

وعمل الزارع هو أن يبذر وينتظر ثم يحصد في الوقت المناسب ...

٤- مَثَلِ الْوِزْنَاتِ

(مت ٢٥ : ١٤ - ٣٠)

تحدثنا من قبل عن النمو الداخلى فى مثل الخميرة، والنمو الخارجى فى مثل حبة الخردل. وكلاهما يعمل النعمة . ونتكلم الآن عن عمل الجهد البشرى فى النمو، كما يوضحه مثل الوزنات .

قال الرب هذا المثل فى الأسبوع الأخير فى (مت ٢٥ : ١٤ - ٣٠). وهو يشبه مثل الأمناء الذى ورد فى (لو ١٩ : ١٢ - ٢٦) .

✱ ✱ ✱

يبدأ المثل بعبارـة "كأما إنسان مسافر" .

وعبارـة "مسافر" وردت أيضاً فى مثل الكرامين (مت ٢١ : ٣٣).

هذا المسافر هو السيد المسيح له المجد، منذ صعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الأب (مر ١٦ : ١٩). وقد صعد لكى يعد لنا مكاناً (يو ١٤ : ٢). وقد ورد فى المثل أن سفره استمر "زماناً طويلاً" . ويعنى بهذا الفترة ما بين الصعود والمجئ الثانى . وقد سافر ، لأنه لا يريد أن يملك منا على الأرض مرثياً عن طريق الحواس، إنما يريد أن يملك بالإيمان فى قلوبنا (أف ٣ : ١٧).

✱ ✱ ✱

وقبل سفره "دعا عبده ، وسلمهم أمواله" (ع ١٤) .

هنا عبارة عبده تعنى كل البشر من خدامه، بما فيهم الصالح والشرير. وسلمهم أمواله. أعطاهم كلهم وزنات. سلم كى إنسان عمله، وما يجب عليه من مسئوليات.. لقد أعطى لكل بلا إستثناء.

لكل أخذ وزنات . لا يوجد أحد لم يأخذ وزنة .

غير أن البعض تاجر ورجح. والبعض أهمل ورنته ولم يعمل بها . وإن إدعى البعض أنه لم يأخذ، يَكْبِه نفسه فهي ورنه .

✱ ✱ ✱

والذين أعطاهم كانوا عبيات مختلفة: فيهم العذارى الحكيمات، والعذارى الجاهلات. فيهم الفريسي والعشار. فيهم يوحنا الحبيب، ويهوذا الذي "كان الصندوق عنده" (يو ١٢: ٦) فيهم سليمان الحكيم، وأخوه أبشالوم. فيهم السمك الجيد، والسمك الرديء.. الكل أخذ .

✱ ✱ ✱

سافر . ولكن لابد سيأتى ليحاسب عبيده عن وزناتهم (١٩ع).

ولأن سفره قد طال، أهمل البعض وزناتهم. ولم يفكروا فى يوم الحساب. لذلك فإن الكنيسة الأولى كانت - لتذكيرهم - تستعمل عبارة "مازان اثا"، أى "ربنا ات" أو "ربنا سوف يأتى" .. وإن كان مجيئه للكل هو فى يوم القيامة، إلا أن كل واحد، له ساعة معينة يجئى الرب له فيها. وقد لا تكون "بعد زمن طويل" . ويعطى فيها حساباً عن وزنه .

مَا هِيَ الْوَزَنَاتُ ؟

★ هي مواهب من الله، ومقدرات ، وفرص أعطيت لكل واحد .

أو هي مسئوليات ، كما قيل "أعطى البعض أن يكونوا رسلاً، والبعض أنبياء والبعض مبشرين، والبعض رعاة ومعلمين.. لعمل الخدمة، لننيان جسد المسيح" (أف ٤: ١١، ١٢).

★ وقد تكون مواهب الروح . كما قيل "أنواع مواهب موجودة.. ولكنه لكل واحد يُعطى إظهار الروح للخدمة" (١كو ١٢: ٤، ٧). ومن بين ذلك : المواهب: كلام حكمة، كلام علم، إيمان، مواهب شفاء، عمل قوات، نبوة، تمييز أرواح، ألسنة، ترجمة ألسنة "قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء" (١كو ١٢: ٨ - ١١) .

★ وقد تكون بركات روحية أو مادية ، للخدمة بها: مثل الغنى، العلم، الفهم والذكاء. موهبة صلاة، تعليم، تأثير روحى، قدرة على الإقناع، قدرة على الإقناده. وقد تكون الوزنة هي عقولنا، وقوانا .

✱ ✱ ✱

★ بل إن أجسادنا وأرواحنا، هي أيضاً وزنات، قال عنها الرسول "فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله" (١كو ٦: ٢٠) .

★ وقد تكون الوزنة سلطة أعطيت لنا لنستخدمها لملكوت الله .

★إنها وزنات متنوعة ومتعددة "حسبما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان" (رو ١٢: ٣).

المهم أن يكتشف كل واحد وزناته ويستخدمها. كما أنه على الكنيسة أن تكتشف وزنات المخدمين، وترشدهم في كيفية استخدامها .

✱ ✱ ✱

هذه الوزنات أعطيت لنا ، لننفذ بها مشيئة الله على الأرض، وليست للفخر والمجد الباطل، ولا لىكتسب بها مديحاً أو غروراً. مثل البعص الذين كانوا يسعون لموهبة الألسنة مدعين أنهم وصلوا للملء !

وأعطيت لنا المواهب لمدة محددة هي مدة هذا العمر الأرضى كما أنها مواهب يمكن أن تريد بالحكمة وحسن الاستخدام .

✱ ✱ ✱

ويجب أن نعرف جيداً ، أن كل وزناتنا معطاة لنا من الله . وكما يذكر هذا المثل أن السيد "أعطى واحداً خمس ورنات، وآخر ورنتين، وآخر وزنة" (ع ١٥). إذن كلها عطايا منه. وكما يقول الكتاب "كل عطية صالحة، وكل موهبة تامة، هي من فوق، نازلة من عند أبى الأنوار" (يع ١: ١٧). وفى هذا المثل قال صاحب الخمس وزنات لسيده "خمس ورنات أعطيتنى" .. وقال صاحب الوزنتين "وزنتين أعطيتنى" (٢٠، ٢٢) .

حقاً إن كل الذى لنا ، هو ملك لله ، تسلمناه منه . بما فى ذلك عقولنا وذكاؤنا، وقوتنا وجهدا، ووقتنا وعمرنا. الكل منه وله. ولا ندعيه لأنفسنا "لكى لا يفتخر كل ذى جسد أمامه" (١ كو ١: ٢٩) . وهكذا يقول القديس بولس الرسول "أنا تعبت أكثر من جميعهم. ولكن لا أنا، بل نعمة الله التى معى" (١ كو ١٥: ١٠).

وزنات متنوعة :

وزنات مختلفة فى كميتها وفى نوعيتها :خمس، وإثنتين، وواحدة، "حسبما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان" (رو ١٢: ٣).

★أصحاب الخمس الوزنات ، هم أصحاب المواهب العائقة للطبيعة، كالذين أخذوا صنع الآيات والمعجرات ومواهب الروح، أو الذين أخذوا سلطاناً كبيراً من الله مثل الآباء الرسل والأنبياء، وكبار القديسين، وأبطال لإيمان ورؤساء الكنائس. أو أخذوا مسئوليات

متعددة مثل القديس بولس الرسول الذى قال "عدا التراكم على كل يوم، الاهتمام بجميع الكنائس" (٢كو ١١: ٢٨). أو مثل الذين أخذوا مواهب بشرية متعددة، كالذين لهم talents من العباقرة.

أصحاب الوزنات الخمس هم شخصية قليلة فى العضوية العامة للكنيسة .



★ أصحاب الوزن الواحد هم المؤمنون العاديون .

★ أصحاب الوزنتين هم الوضع المتوسط بين أصحاب الخمس ورنات وأصحاب الوردية الواحدة. هؤلاء لا يرتفع قلبهم لأنهم لم يأخذوا خمس ورنات. ولا يكتبون كالذى لم ينل سوى وزنة واحدة. إبتهم فى وضع متوسط من جهة القدرة، ومن جهة نوع العمل أيضاً. من جهة الغنى: ليس عندهم الغنى الهائل، كما كان سليمان الحكيم، وقاده الغنى إلى الرفاهية التى قال فيها "ومهما اشتتهه عيناى، لم أمسكه عنهما" (جا ٢: ١٠). ولا هم فى حالة الفقر والعور مثل لعازر المسكين ، الذى كان يشتهى الفتات الساقط من مائدة الغنى" (لو ١٦: ٢١) . بل هم فى وضع اقتصادى متوسط .



ومن جهة العقلية : لا هم من أصحاب العقليات الكبيرة كالعلماء والفلاسفة، ولا هم من أصحاب عقلية بسيطة كالعوام، لكنهم فى وضع متوسط فى المواهب البشرية . حتى فى الروحانيات ، هم فى الوضع المتوسط . لا هم فى الدرجات الروحية العليا. ولا هم من الناس العاديين. بل هم أبناء للكنيسة ولهم ممارساتهم الروحية وخدماتهم، ومسئولياتهم الكهوتية أو العلمانية .



والمعروف أنه كلما ازدادت وزنات إنسان، تزداد مسؤوليته أيضاً.

وكما يقول الكتاب "كل من أعطى كثيراً، يُطلب منه كثير" (لو ١٢: ٤٨) . "والذى يعرف أكثر، يطالب بأكثر".

وحينما مدح السيد الذين تاجروا وروحوا، لم يمدحهم بسبب الكمية، وإنما لأن كل منهم صالح وأمير فقال "نعماً أيها العبد الصالح والأمير. كنت أميناً فى القليل" (٢١ع، ٢٣ع). وقد ذكرنا أن الرب يعطى مواهب متنوعة فى (١كو ١٢) .

على أن الله ليس بظالم فى هذا التوزيع، وإنما يُقال فى مثل الوزنات إنه أعطى "كل واحد على قدر طاقته" (١٥ع). وعلى كل:

ليس المهم هو كثرة المواهب، إنما كيفية استخدامها لأجل الرب.
كما أنه في تمثيل أية رواية، ليس المهم نوع الدور الذي يقوم به الممثل، وإنما درجة إتقانه لهذا الدور .

فلا ترتفع قلوبنا إن كانت وزناتنا أكثر، ولا نكتئب إن كانت وزناتنا قليلة .

✽ ✽ ✽

لما كون المواهب متنوعة، فهذا أمر طبيعي ولازم .
لأن هذا للتنوع يوجد جواً من التكامل نافعاً للخدمة .

والطبيعة نفسها خلقها الله بهذا التنوع . ولكنه تنوع متناسق .

في خيمة الاجتماع استخدم فيها : الذهب والفضة والنحاس، والخشب والجلد والشعر .
كل من هذه المواد كان له عمله ورسالته. وفي الترحيب بالسيد المسيح عند دخوله
أورشليم، عبر البعض عن فرحتهم وإجلالهم ، بأغصان الزيتون، أو بفرش ملابسهم في
الطريق، أو بهتافهم "أوصنا يا ابن داود" .

✽ ✽ ✽

ومثل هذا الاختلاف في نوعيته، كان حتى بين الرسل والأنبياء.

بولس الرسول أخذ وزنه في عقلية الكبيرة، وبطرس الرسول أخذ وزنه في حماسه
واندفاعه. إيليا النبي كانت وزنته هي الغيرة المتقدة. وأرميا النبي كانت له وزنة في
الحساسية والدموع. وموسى النبي كانت وزنته هي اللوداعة والحلم، بينما أيوب للصدق
كانت وزنته هي الاحتمال. سليمان أعطى من الله الحكمة، ويوسف ودانيال أعطيا تفسير
الأحلام والرؤى. المعمدان وهبه الله إنكار الذات والخدمة القصيرة الزمن العميقة
المفعول. وإبراهيم أبو الآباء وزنته الإيمان والطاعة ...

✽ ✽ ✽

وهكذا اختلفت وزناتهم في الطول والعق ، وكلها لمجد الله .

فهل أنت قد استخدمت وزناتك في بناء الملكوت مثل هؤلاء .

إن المهم ليس نوع الوزنة أو مقدارها، إنما الأمانة في استخدامها .

أيها الصالح والأمين :

مفتاح هذا المثل كله هو الأمانة في الوزنات المعطاة .

وهذا واضح من قول الرب لكل من صاحب الخمس الوزنات وصاحب الوزنتين: نعماً

أيها العبد الصالح والأمين. كنت أميناً في القليل، فأقيمك على الكثير" (٢١٤، ٢٣٤) .
الأمانة في الخدمة هي التي توسع الخدمة .

سواء في القليل أو الكثير . لأنه لعل أحدهم يقول "أنا لم احذ من الله إلا قليلاً، وزنة واحدة ! لو كان الله قد أعطاني كذا وكذا، مثل فلان وفلان، لعلت .. وعلمت .. نقول له: أنت تظن ذلك. وهذا الكتاب يقول في المثل إن السيد "أعطى كل واحد على حسب قدرته" (١٥٤) . وحتى لو كنت تاحرت وربحت في الوزنة الواحدة التي أعطاك الله إياها، لكنك قد نلت نفس الطوبى التي نالها صاحب الخمس وزنات .

✱ ✱ ✱

وأعلم أن البعض أخذ خمس وزنات أو وزنيتين، وفشل بسبب عدم أمانيته .
يهوداً أخذ خمس وزنات، إذ كان واحداً من الإثنى عشر رسولاً، بكل مواهبهم . وتميز بأن الصندوق كان عنده. وكان في العشاء يجلس قريباً من المسيح، ويغمس معه في الصفحة (مر ١٤ : ٢٠) . وهلك ! ولم تنفعه وزناته .

وديماس كان تلميذاً لبولس العظيم. وكان الرسول يذكره أحياناً إلى جوار القديس لوقا الطبيب الحبيب والإنجيلي (كو ٤ : ١٤) وأحياناً يذكره قبله (فل ٢٤) . ولكن هلك ديماس لأنه "أحب العالم الحاضر" (٢ تي ٤ : ١٠) وفقد وزناته .

وأصحاب وزنات أخرى، من مساعدي الرسول، هلكوا أيضاً .
هؤلاء قال عنهم القديس بولس "لأن كثيرين من الذين كنت أذكرهم لك مراراً، والآن أذكرهم باكياً، وهم أعداء صليب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك" (١ تي ٣ : ١٨ ، ١٩) . لعلمهم كانوا من أصحاب الوزنيتين كمساعدي الرسول !

✱ ✱ ✱

بالأمانة ممكن أن الوزنة الواحدة تريح، والقليل المعطى لك يصير كثيراً .
الخادم (الصالح والأمين) يكون صالحاً من جهة روحه، من جهة علاقته بالله. وأميناً في خدمته، واستخدامه لوزناته ...

ولكي تكون أميناً، ينبغي أن تعرف الواجب المطلوب منك، وتتممه . وحتى إن كانت لك وزنة واحدة، ستحدها - بأمانتك - تنمو وتكرر . إن أية نار تنفخ فيها سوف تشتعل أكثر .

✱ ✱ ✱

أنظر إلى الوزنة التى أخذتها . وهل أنت تعمل بها أم لا؟ وهل تعمل بها من أجل مجد الله وملكوته ؟

ألم تعمل بها من أجل الفخر والمجد الباطل ، والبحث وراء المديح والكرامة! أى من أجل نفسك فقط. كإسنان أعطاه الله عني، يستخدمه لأجل نفسه ! أو أعطاه الله موهبة عقلية أو فنية، فيستخدمها لأجل نفسه فقط. المهم أن تتاجر بوزنتك وتربح، لملكوت الله. فما معنى عبارة "تتاجر وتربح"؟ وما أهميتها؟

صاحب الوزنة الواحدة :

صاحب الوزنة الواحدة لم يقل الكتاب إنه فقد وزنته أو إساء استخدامها . إنما كل ذنبه إنه لم يتاجر بها ويربح .

لأن الروحانيات ليس لها الجانب السلبي فقط، بمعنى إننى لا أفقد وزنتى.. بل لها العنصر الإيجابى أى أن أعمل بها خيراً. صاحب الوزنة الواحدة لم يستخدمها فى الشر، وأيضاً لم يعمل بها خيراً. لذلك عاقبه الله. لماذا؟ لأنه لم يتاجر ويربح.

إذن لا تقارن نفسك بغيرك. لا ثقل غيرى أخذ أكثر منى. إنما عملك هو أن تعرف وزنتك، وتتاجر بها وتربح .

* * *

عبارة (تتاجر بها وتربح) تنطبق على الكل ، وبولس الرسول كمثال :

أنظر كم من الوزنات كانت له ؟ هذا الذى أُخطف إلى السماء الثالثة (٢كو١٢: ٢) . والذى تعب أكثر من جميع الرسل (١كو١٥: ١٠). والذى تحمل آلاماً أكثر من جميعهم (٢كو١١) والذى كتب ١٤ رسالة .. ومع ذلك يقول "لست أحسب أننى قد أدركت أو صرت كاملاً .. ولكننى أفعل شيئاً واحداً.. أنسى ما هو وراء، وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض" (فى٣: ١٣) أى أنه لا يزال يتاجر ويربح .

وكيف يربح ؟ يقول إنه صار لليهودى كيهودى ليربح اليهود . وصار للدين بلا ناموس كأنه بلا ناموس، ليربح الدين بلا ناموس. بل يقول "صرت للكل كل شئ، لكى أحصل على كل حال قوماً" (١كو٩: ١٩-٢٢) .

* * *

أعطاك الله وزنة. لا بد أن تتاجر بها وتربح. تنفع بها الكنيسة والمجتمع، وتنفع بها نفسك .

أما الذى لا يصنع بوزنته خيراً ، فهو ليس أهلاً للشركة مع الله. لأن الله صانع الخيرات "يجول ويصنع خيراً" (أع ١٠ : ٣٨) .

لاند أن تكون أيضاً صانع حيرات، على قدر ما أعطيت من ورنات. تتاجر وتتعب وتربح. وكل واحد "سيال أجرته بحسب تعبته" (١كو ٣ : ٨) . وقد قال الرسول "كونوا راسحين غير مترعريين، مكثرين فى عمل الرب كل حين، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب" (١كو ١٥ : ٥٨) .



مكافأنا فى السماء . ستكون بمقدار ما تاجراً وتعباً وربحاً .
والديونة فى الأبدية لا تكون على الذين حاولوا وفشلوا. بل بالأكثر على الذين لم يحاولوا. ومشكلة صاحب الورنة الواحدة، أنه لم يحاول. بل أخذها ودفبها وأخفاها (ع ١٨)
أنت إذن تتاجر ، والله هو الذى يدبر الربح .
أنت تغرس وتسقى . والله هو الذى يبنى" (١كو ٣ : ٧) .
لماذا عليك أن تتاجر وتربح بوزنتك ؟ لأنه يقول :
كل شجرة لا تصنع ثمرأ ، تقطع وتلقى فى النار (مت ٣ : ١٠).

لا تحاول أن تلتمس لنفسك أذارأ ، كما فعل صاحب الوزنة الواحدة. كل ما فى الطبيعة يعمل عملاً حتى الملائكة، ما عدا الإنسان الذى يهمل ويختفى وراء مبررات!!
عالمنا ليس ملعباً نلهو فيه، ولا هو مخدعاً ننام به! بل هو حقل يسعى أن يمتلئ بالثمار .



عيب صاحب الوزنة الواحدة كان فى داخله ، لأنه كسول لا يعمل. صدقونى لو أعطاه الرب خمس وزنات، كان دفبها أيضاً .

وعيبه أيضاً فى فكرته السيئة عن الله. يقول للرب : عرفت أنك إنسان قاس . تحصد من حيث لا تررع" أسلوب غير مؤدب.. يقدم أذارأ وأعداره خطايا . إنه ينسب لنفسه المعرفة، ويدين الله نفسه. وفى قلبه التذمر والانتقاد .

عجيب أن أكثر الناس تذمرأ وانتقادأ ، هم أقلهم عملاً .
المفروض أنك لا تنتظر إلى ما عندك إنه قليل. بل تكون أمينأ فى استخدامه ليصير كثيراً. وعموماً ما لا تستخدمه، تكون عرضة أن تفقده .

الباب الخامس

أمثال في مقارنات

مثل الزارع (مت ١٣ : ٣-٩)

(مت ١٣ : ١٨-٤٣)

مثل الحنطة والزوان (مت ١٣ : ٤٤-٣٠)

(مت ١٣ : ٢٧-٤٣)

مثل البيتين (مت ٧ : ٢٤-٢٧)

مثل الغنى ولعازر (لو ١٦ : ١٩-٣١)

مثل الفريسي والعشار (لو ١٨ : ٩-١٤)

مثل العشار العذري (مت ٢٥ : ١-١٣)

١- مَثَلُ الزَّارِعِ

(مت ١٣ : ٣-٩) (مت ١٣ : ١٨-٢٣)

مثل الزارع الذي خرج ليزرع هو مثل مشهور، سجلته كل الأنجيل الثلاثة الأولى المعروفة باسم Synoptic Gospels (ذات النظر الممتعة) فهو في (مت ١٣ : ١٨ - ١٩) (مر ٤ : ١٠ - ١٢) (لو ٨ : ٩، ١٠) ثم شرحه .. قال فيه الرب :

"خرج الزارع ليزرع . وفيما هو يزرع ، سقط بعض على الطريق فجاعت الطيور وأكلته . وسقط آخر على الأماكن المحجرة، حيث لم تكن له تربة كثيرة . فنبت حالاً.. وإذا لم يكن له أصل جف . وسقط آخر على الشوك، فطلع الشوك وخنقه . وسقط آخر على الأرض الجيدة، فأعطى ثمراً . بعض مئة، وآخر ستين، وآخر ثلاثين . وشرح الرب المثل في (مت ١٣ : ١٨ - ٢٣) .

فماذا يعنى هذا المثل ، بمقارنته بأمثال الرب الأخرى ؟

هناك أمثلة تشرح عمل النعمة في الإيمان ونموه . مثل : مثل الخميرة، ومثل حبة الخردل، ومثل حبة القمح (الزرع الذي ينمو) . فكأنها نمت وانتشرت بعمل النعمة فيها، وليس بجهد بشري .

وهناك مثل عن محاربة الشيطان لعمل الله، وهو مثل الحنطة والزوا . فهناك عو زرع الزوايا وسط الحنطة ومضى .

* * *

لما مثل الزارع فيتعلق بطبيعة الإنسان الذي يتلقى عمل الله فيه، ونوعيته، ومدى قبوله .

ففى هذا المثل : أنواع من التربة تلقت البذار . أما الراعى فهو نفس الراعى، والبذار هى نفس البذار . وأما الأرض التى وقعت عليها البذار فهى تختلف . والبذار وقع بعضها على الطريق، والبعض على أرض محجرة، والبعض على أرض فيها شوك، والبعض

على أرض جيدة. وحسب طبيعة الأرض، اختلفت النتيجة.

✱ ✱ ✱

يذكرنا هذا المثل بالكلمة التي قالها الرب للشاب الغنى :

قال له "إن أردت أن تكون كاملاً ، اذهب وبع كل مالك واعطه للفقراء - فيكون لك كنز في السماء - وتعال اتبعنى" (مت ١٩ : ٢١). أما الشاب، فلما سمع الكلمة "مضى حزينا، لأنه كان ذا أموال كثيرة" (مت ١٩ : ٢٢) .

نفس الكلمة سمعها شاب غنى آخر اسمه أنطونيوس، سمعها في الكنيسة من قس عاды أو شماس يقرأ الإنجيل، فلم يمضِ حزينا، بل مضى وباع كل ماله ووزعه على الفقراء، وصار أباً لجميع الرهبان.

المهم إذن هو نوعية القلب الذى يستقبل الكلمة ومدى استجابته لها. الكلمة هي هي . ولكن المهم فى الـ Response (الاستجابة) .

✱ ✱ ✱

السيد فى هذا المثل شرح خبرة خدمته، وما سوف يحدث لتلاميذه فى خدمتهم .

وكأنه يقول لهم : أنا سأرسلكم لتكرزوا وتعلموا الناس، وتنادوا لهم بالخلاص وبالملكوت. فلا تظنوا أن كل من يسمع كلامكم، سيقبله ويعمل به! فهناك أنواع كثيرة من السامعين - كما فى هذا المثل : هناك الأرض المحجرة، والأرض المملوءة بالشوك، والأرض الجيدة. وليس الكل سيسمع لكم. ولذلك ختم مثله هذا بعبارة "من له أذنان للسمع فليسمع" (مت ١٣ : ٩). وحتى الذين سيسمعون، على درجات. منهم من يكون ثمره مئة، أو يكون ثمره ستين، أو مجرد ثلاثين ...

✱ ✱ ✱

إنه درس للخدام وللكارزين، حتى لا تصغر نفوسهم أحيانا :

حتى لا تصغر نفوسهم، أو يدركهم اليأس والإحباط، إن لم تأت خدمتهم أحيانا بثمر، أو أنت بثمر ضئيل، أو أنت بثمر وسط فى البعض ثم أرتدوا!...

القديس بولس الرسول فى أول خدمته بأثينا، بعد أن بذل كل جهده فى الشرح والإقناع، سمع هذه العبارة المستهزئة "ماذا يريد هذا المهذار أن يقول؟" (أع ١٧ : ١٨). وخرج بثمرة كانت بسيطة وهى "ديونسيوس الأريوباغي، وأمرأة اسمها داموس، وآخرون معها" (أع ١٧ : ٣٤) . ومرة أثمرت خدمته تلميذاً اسمه ديماس خدم معه فترة. ثم ارتد ديماس

وترك بولس، إذ أحب العالم الحاضر (٢تى ٤: ١٠) .

✱ ✱ ✱

والآن فلنأخذ تفاصيل هذا المثل موضوعاً لتأملنا .

الزراع :

من هو الزارع الذى خرج ليزرع ؟ إنه المسيح له المجد .

★ هو الذى خرج من عند الآب وأتى إلى العالم (يو ١٦: ٢٨) .

وقد ألقى بذار الإيمان فى أنواع كثيرة من الأرض. بعضها كانت أرضاً جيدة هي تلاميذه القديسون . هؤلاء الذين التصقوا به، وقالوا له "تركنا كل شئ وتبعناك" (مت ١٩: ٢٧) "كلام الحياة الأبدية هو عندك" (يو ٦: ٦٨). وبالنسبة إلى البعض سقطت البذار على الطريق وخطفها الشيطان. والبعض آمنوا وارتدوا: منه من "رجعوا إلى الوراء، ولم يعودوا يمشون معه" (يو ٦: ٦٦). ومنهم من قالوا لنيبلاطس "اصلبه اصلبه" (لو ٢٣: ٢١) . نعم ، السيد المسيح هو الزارع الذى ألقى بذاره. وحسب نوعيه الأرض، كان هناك المؤمنون والمقاومون والمرتكبون..

✱ ✱ ✱

★ أيضاً كلمة (الزارع) قد تعنى خدام الرب الذين يحملون كلمته:

منهم الرسل والأنبياء والتلاميذ، والمعلمون والكارزون، والرعاة والكهنة والوعاظ، وكل خدام الكلمة. مثلاً قال القديس بولس الرسول "أنا غرمت ، وأبلوس سقى. والله كان يبنى" (١كو ٣: ٦).

هؤلاء كانوا يلقون الكلمة. فهناك من يقبلها ، ومن لا يقبلها .

أيضاً الملائكة كانوا أحياناً يحملون كلمة الله إلى الناس .

والروح القدس يعمل فى الناس ، فهناك من يقبل عمله، ومن لا يقبل. بل يطفئ

الروح ، أو يحزن الروح، أو يقاوم الروح..١

البذار :

هى كلمة الله التى تصل إلى الإنسان : إما فى الكتاب المقدس، أو يسمعها من أحد

الخدام أو المرشدين أو الآباء، أو من أى مصدر، فيشعر إنها رسالة من الله إليه، أو لا

يسمع ، أو لا يقبل .

وقد تكون البذار هي نعمة الله التي تتقدم. فيقبلها أن تصل فيه. مثلما قال القديس بولس الرسول "ولكن لا أنا، بل نعمة الله التي معي" (ولكن بنعمة الله أنا ما أنا" (١كو ١٥: ١٠). وهلاك من يرفض النعمة، كالذي قيل عنه "أزدرى بروح النعمة" (عب ١٠: ٢٩). ألم نقرع النعمة على أبواب البعض فلم يفتحوا؟! (نشر ٥: ٢، ٣) (رو ٣: ٢٠). كم مرة طرقت النعمة قلب بيلاطس، وقلب فرعون، وقلب بلعام؟!

الأرض :

المهم هو نوع الأرض، ومدى علاقتها بالبذرة : هل تبقى البذار في الأرض أم تُخطف ؟ وهل تصنع البذار جنراً ؟ ويمتد الجذر في الأرض، ويصنع ساقاً يصعد إلى فوق، ثم يصنع ثمراً ؟ هل الجذر يكون له عمق أم لا يكون؟ أى هل يكون للكلمة تأثير عميق في القلب، أم يكون تأثيرها سطحياً؟

هذا وقد قسم الرب الأرض إلى أربعة أنواع :

الأرض التي على حافة الطريق ، مدوسة من المارة .

الأرض المحجرة ، التي لها تربة طينية بسيطة ليس لها عمق .

والأرض التي فيها شوك . والأرض الجيدة .

والعجيب أن الله تلقى بذوره على كل أنواع الأرض !!

حتى الأرض المحجرة لم يحرمها من نعمته ! حتى الأرض المملوءة شوكاً!! بدار

الرب وصلت إلى الكل، حتى إلى الطريق !

لأنه "يريد أن الجميع يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون" (١تى ٢: ٤) . ولا يشاء موت الخاطئ ، بل أن يرجع ويحيا (حز ١٨: ٢٣) .

إنه يلقي كلمته إلى الحاطئ، مهما كان قلته قاسياً، كفرعون !

يلقي كلمته إلى بلعام ، وهو يعرف أن بلعام محب للمال .

ألقي كلمته إلى الكتبة والفريسيين والصنوفيين، وإلى الكهنة ورؤساء الشعب .

وأرسل موسى ليلقي كلمته إلى شعب معاند مقاوم (رو ١٠: ٢١)، وإلى فرعون،

والرب يعرف تملأ ما هي طبيعة فرعون .

وأرسل كلمته على لسان لوط إلى أهل سادوم . فكار كمازح وسط أصهاره (تك ١٩) :
(١٤).

✱ ✱ ✱

لا تقل : لم تصل إلى كلمة الله ! لقد وصلت . فما مفعولها فيك ؟

وصلت إليك الكلمة عن طريق الكتاب المقدس الذى تمت طباعته بكل اللغات .
ووصلت إليك عن طريق القراءات فى قداسات الكنيسة وصلواتها .
ووصلت إليك عن طريق العظات والكثير من الكتب الروحية .
ووصلت إليك عن طريق الأحداث التى تمر بك حاملة رسالة :

مثلاً حدث للقديس الأبأ أنطونيوس عند وفاة والده . هذه الوفاة أوصلت إليه رسالة عن
أن العالم زائل ، وأن أباه لم تنفعه ثروته ولا سلطانه ، بل حرج من العالم بغير إرادته .
فاتعظ أنطونيوس وترك العالم بهواه .

إذن أنت بلا عذر أيها الإنسان ، فالبذرة وصلت إليك رسالة .
البذرة بطبيعتها فيها حياة . ولكن إذا لم تستجب لها الأرض ، تبقى تلك الحياة بلا
فاعلية ...

✱ ✱ ✱

فما هى الأرض ؟ وما هى التربة ؟ وكيف تتم الفاعلية ؟

الأرض هى العقل ، والقلب ، والإرادة .

وهذه الثلاثة تتم بها الرغبة فى التنفيذ . إنما يجب على الذين يوصلون كلمة الله ، أن
يوصلوا كلمة الله ذاتها ، وليست كلمة من عندياتهم ، كذلك يوصلونها بطريقة ذات تأثير .

✱ ✱ ✱

ومع أن الله هو الذى ينمى ، إلا أنه تلزم شروط وهى :

أن البذرة تكون حية ، والأرض تقبل البذرة . والزراع يكون عارفاً بمواسم الزراعة ،
ويهتم بالأرض فى ربها وسمادها .

نتحدث الآن عن الأنواع الأربع التى ذكرها الرب .

١- بذار سقطت على الطريق :

أى أنها لم تسقط على الأرض المحروثة المشققة التى تقبل البذرة . إنما إلى جوارها
فى الأرض المدوسة من الناس .

فحفظها الطير ، أى الشيطان ، فلم تأت الكلمة بفائدة .

ليس لأن الكلمة ضعيفة في ذاتها، إنما لعدم قبول السامع .

سقطت على الطريق، أى خارجاً، لم تدخل إلى القلب، إلى تربة الأرض. فحطفتها الشيطان وطار . ذلك لأن الشيطان واقف إلى حوار الحقل يرقب. ففيما يلقي الرارع البذار، ينتهز الشيطان أية فرصة يحطف فيها هذه البذار، ليمنع دخولها إلى الأرض، إلى القلب .



يذكرنا هذا النوع بمقاومي السيد المسيح الذين لم يقبلوا كلامه

مثل الكتنة والفريسيين والصدوقيين والناموسيين، ورؤساء الكهنة، وشيوخ الشعب.. كل هؤلاء الدين رفضوا أن تدخل كلمة الله إلى قلوبهم. لم يكن لهم الإيمان الذى يقبل الكلمة. وحتى عندما كان الرب يشرح لهم، ما كانوا يفهمون، أو ما كانوا يريدون أن يفهموا. وليس فقط لم يقبلوا الكلمة، بل أيضاً المعجزات وما تدل عليها.

كانت معجزات الرب تحمل رسالة وهي أنه الله الظاهر فى الجسد (١٦: ٣). كانت تحمل إليهم معنى لاهوتياً، ولكنهم لم يقبلوه . بل قاوموه ..!

فالسيد المسيح يمنح بصرًا للمولود أعمى، الأمر الذى لم يحدث قط من قبل (يو ٩: ٣٢). ولكنهم يرفضون أن يدخلوا دلالة المعجزة إلى قلوبهم وإلى أفهامهم. بل يرون صانع المعجزة رجلاً خاطئاً، لأنه أجراها فى يوم السبت!! كانت عبارة السبت هى الريح التى تعصف بالبذرة إلى الطريق، خارج الأرض، فلا تدخلها..

ويحاول المولود أعمى أن يقنعهم. ويكون كلامه بدرة أخرى يرفضون قبولها. فستموه، وأخرجوه خارج المجمع، وأخرجوا البذرة أيضاً معه! قالوا له فى استهزاء : "قى الخطايا ولدت بجملتك، وأنت تعلمنا!!" (يو ٩: ٣٤) أى تجرؤ أن تعلمنا! وهكذا رفضوا التعليم، وبقيت البذرة على الطريق يخطفها الطير .

أيضاً السيد المسيح يقيم لعازر من الموت فى اليوم الرابع، فيرفضون المعجزة ودلالاتها بنفس السبب: إنها حدثت فى يوم سبت. ومع أن عدداً كبيراً من الناس آمنوا، لأن البذرة وقعت على أرضهم الطيبة. إلا أن رؤساء الكهنة والفريسيين تشاوروا على السيد منذ ذلك اليوم أن يقتلوه (يو ١١: ٥٣). كان الحقد والحسد وسوء الفهم رياحاً تلقى بالبذرة إلى الطريق خارج الأرض !

والرب أيضاً كان يخرج الشياطين . ولكن هؤلاء القادة العميان (مت ٢٣: ٢٤) قالوا له إنه ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين (مت ١٢: ٢٤). فيشرح الرب لهم استحالة

ذلك، لأن كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب.. ولكنهم لم يقلوا الشرح، ولم يقلوا دلالة المعجزة. كان العباد والإصرار على محاربتة، من الرياح التي أبعدت النذرة عن أروصهم، فخطعها الطير . لم يسمعوا كلام الرب، بل نعضوه عن اذانهم. وكما قال الشاعر

لقد أسمعت لو ناديت حياً
ولكن لا حياة لمن تنادى

❖ ❖ ❖

ومن أمثلة البذار التي وقعت على الطريق أيضاً :

ما حدث لبولس الرسول وهو يشرح رؤياه وإيمانه أمام الملك أعريباس، أن صرح الوالى فستوس بصوت عظيم "أنت تهذى يا بولس. الكتب الكثيرة نحولك إلى الهيان" (أع ٢٦: ٢٤). وبهذا الإدعاء أبعد كرازة بولس عن قلبه فلم تدخل إليه. وتحولت البذار إلى الطريق فخطعها الطير .

نفس الوضع حدث بالنسبة إلى الإندار الذى أندر به لوط البار أهل ساودم "فكان كمارح فى أعين أصهاره" (تك ١٩: ١٤) . وهكذا أبعادوا الكلمة عن اذانهم ، وهلكوا.. بسبب شهوات قلوبهم الفاسدة، الراضية للنصح .

البذار التى وقعت على الطريق ، هى التى لم تدخل الأذان ولا القلوب .

وكان لذلك أسباب كثيرة قد صدتها كما قلنا . أسباب داخل القلب منعها عنه: كالحهل، والعناد، والغيرة، والحدق، والحسد، والإصرار على الرفض، وعدم الإيمان، وشهوة القلب، وغير ذلك من دواعى الرفض .

❖ ❖ ❖

نوع اخر من البذار ، وقعت على أرض محجرة .

٢- بذار على أرض محجرة :

الأرض المحجرة ، أحياناً يوجد بين تشققاتها ، بعض الطين، عبارة عن تربة طينية خفيفة سطحية، لا عمق لها. هذه تسمح بعض الشئ لأن تستقبل بذر تبت فيها قليلاً. وهذا النبات قال عنه الرب "وإذ لم يكن له أصل جف" (مر ٤: ٦) .

إنه نبات يمثل الإيمان السطحي الذى بلا عمق .

متلماً يوجد بعض الطين فوق سطح منزل، تقع عليه بذرة، وبشئ من المطر أو البدى، تنبت. ولكن بلا عمق . ما تلت أن تقع عليها الشمس فتجف.

قال الرب عن هذا النوع إنه "الذى يسمع الكلمة، وحالاً يقبلها بفرح. ولكن ليس له

أصل في ذاته، بل هو إلى حين. فإذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة، فحالا يعثر"
(مت ١٣: ٢٠، ٢١)

✱ ✱ ✱

هذا النوع سطحي في إيمانه، وسطحي في معرفته وفي مشاعره

يقبل الكلمة بسرعة، ويعثر بسرعة. قد يؤمن بسرعة، ويرتد بسرعة. مثل أولئك الذين كانوا من تلاميذ الرب. ومع ذلك لما تحدث عن تناول من حسده ودمه "رجعوا إلى الوراء، ولم يعودوا يمشون معه" (يو ٦: ٦٦).

قد يدعى إنسان إلى الكنيسة، فيقبل ذلك بفرح، ويعمل عضواً في الكنيسة.. ولكن بسبب عثرة من أحد الخدام، أو بانتهاز عنيف من أب كاهن، يترك هذا المؤمن الكنيسة ويترك العمل فيها. ويقول لمن يلصقونه بالرجوع: إن كان الخدام هكذا، والكاهن هكذا. فلماذا أبقى فيها؟!

أو إنسانه كانت بعيدة عن الله، ثم تقبل الكلمة بفرح، وتعيش في الكنيسة فترة. لكنها قد تتقدم في إحدى المرات وهي متزينة بزينة لا يقبلها الكاهن منها، فيوبخها بشدة. فلا ترضى بذلك، وتشعر أنها قد جُرحت في لحظة مقدسة، وتترك الكنيسة إلى غير رجعة معتزة بكرامتها!!

✱ ✱ ✱

إنه إيمان غير ثابت، سهل الإهتزاز، سريع الارتداد.

ليس له عمق في الأرض. فرق بين هذا النبات، وبين شجرة بلوط ضخمة، أو شجرة أرز، تعصف بها الرياح فلا تهتز، بينما هذا النوع الضعيف الذي تهزه أية عثرة أو أية ضيقة، ذكرني بقول الشاعر:

أد يا نجم ضعيفاً خائراً	إن أولى الناس بالعطف أنا
أنا طفل في حياة الروح لم	يغتر القلب ولا العقل يعتسى
أنا في الصحراء نبت واهن	كلما مرت به الريح إنثنى

ومثال ذلك أيضاً: إنسان يصلى ويصوم لأجل أمر ما، ويشعر أن صلاته وصومه لم تكن لهما استجابة، فيضعف إيمانه بالصوم والصلاة، ويقرر إبطالهما، وكذلك يفعل بالدور والاستشفاع بالقدسين. إنه عنصر غير ثابت، ليس له عمق. يلزمه التدريب على قول الرسول "كوبوا راسحين غير مترعزين، مكثرين في عمل الرب كل حين، عالمين

أَنْ تَعْبَكُمْ لَيْسَ بِأَطْلًا فِي الرَّبِّ" (١كو ١٥: ٥٨).

✱ ✱ ✱

هكذا يحب أن تكون جذورنا ثابته في الأرض، لا تتأثر بأية متاعب داخلية أو خارجية، شخصية أو عقائدية .

كاتبان يقول إنه مسيحي وأرثوذكسي ، ثم يتعرض بعض الوقت إلى شكوك من طوائف كشهود يهوه أو السبتيين، فيهتز إيمانه أو يرتد .

إيمانه إيمان سطحي ، أو إيمان مؤقت ، كنبات نبت في أرض محجرة ...

نذكر كمثال له في الكتاب : ديماس تلميذ بولس الرسول (٢تى ٤: ٩) وآخرين قال عنهم "كنت أذكرهم لكم مراراً. والآن أذكرهم باكياً، وقد صاروا أعداء صليب المسيح" (فى ٣: ١٨). إما لأسباب شخصية أو عقيدية. فديماس "أحب العالم الحاضر". والذين ذكرهم القديس بولس باكياً قال عنهم "الذين إليهم بطنهم، ومجدهم في خزيهم، الذين مفكرين في الأرضيات" (فى ٣: ١٩) .

✱ ✱ ✱

لذلك فأصحاب العلاقة الشخصية مع الله ، قد تكون سبب لارتدادهم هو محبة للعالم وشهواته .

مثل هؤلاء الذين ذكرناهم ، ومثل بلعام "الذى أحب أجره الإثم" (٢بط ٢: ١٥)، ومثل يهوذا الإسخريوطى (يو ١٢: ٦) . لذلك ينبغي أن يكون الإنسان مبنياً على أسس روحية عميقة. وإلا فإنه يشبه البذار التى تنبت فى تربة حجرية .

✱ ✱ ✱

ننتقل إلى النوع الثالث الذى سقط وسط الشوك .

٣- بذار وسط شوك :

قال عنه الرب أن "الشوك طلع وخنقه" (مر ٤: ٧) أما الشوك فقال إنه "هموم الحياة وعاهها ولذاتها" (لو ٨: ١٤). مع أنه من الذين "يسمعون الكلمة" (مت ١٣: ٢٢) فى بلاد الأمر . لذلك فإنه ينبت أولاً ثم يختنق .

المشغوليات والاهتمامات الدنيوية تضغط عليه، فتتسبب العمل الصالح، أو تضع ما بدأ به ، أو تفقده أمانته من نحو الله .

مثلاً كاد يهلك سليمان بسبب الملاذ الكثيرة التى أحاطت به (جا ٢)، ونسلوه أيضاً

أبعدنه عن الله و"أملن قلبه وراء آلهة أخرى. ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه" (١مل ١١: ٤). غير أن الله أخرجه من بين الشوك، كما وعد من قبل أن يؤدبه بقضيب الناس، وبضربات بى الدم، ولكن لا ينزع رحمته منه" (٢صم ٧: ١٤، ١٥) .

✱ ✱ ✱

أو أن خطية محبوبة داخل قلب الإنسان يمكن أن تخنق الكلمة داخله، وتفقده عمل النعمة فيه، وليس من الضروري أن تكون هذه الخطية شهوة جسدية. ربما تكون مثلاً شهوة مناصب، أو شهوة الشهرة، أو محبة جمع المال وتخزينه. كما قال ذلك الغنى الغبى: "أهدم مخازنى، وأبنى أعظم منها. وأجمع هناك جميع غلاتى وخيراتى وأقول لنفسى: يا نفس لك خيرات كثيرة موضوعة لمنين عديدة. أستريحى وكلى واشربى وافرحى" (لو ١٢: ١٨، ١٩) .

✱ ✱ ✱

وهكذا المشغوليات لا تعطيه وقتاً للتفكير فى روحياته، فتذبل وتختنق .

★ أو كإنسان فى البحث عن وظيفة، أو للنجاح فى انتخابات، أو لنشر فكره الخاطى، أو لتحدى سلطة أو رئاسة، أو لمحبة الظهور، أو ما أشبه، يضيق كل طاقته ووقته وكل ما كان عنده من شعور دىنى. فيختنق كل ذلك داخله، وينتهى..

★ إن السيد الرب قد حذر مرثا من هذا الاهتمام الذى يمتص الروحيات. فقال لها "أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة. ولكن الحاجة إلى واحد..". (لو ١٠: ٤١، ٤٢) .

✱ ✱ ✱

★ أو قد يترك البعض كل وسائل النعمة. ويصبح كل تفكيره وسعيه فى أمور العالم. وليس أمامه سوى : ماذا سأكون؟ وكيف أصل؟ ومتى أصل؟ وما هى العوائق؟ وكيف أذللها؟ وقد تكون تلك العوائق هى وصايا الله ! أو هى الإيمان !!

وهكذا تختنق كل صلته بالله ويهلك !!

حقاً إن "محبة العالم هى عداوة لله" (يع ٤: ٤) و"إن أحب أحد العالم، فليست فيه محبة الآب" (١يو ٢: ١٥). وتكون محبة العالم هى الشوك الذى يخنق كل ررع حى...

ومحبة العالم - كما قال الرسول تشمل "شهوة الجسد، وشهوة العين، وتعظم المعيشة" و"هذا العالم يبيد وشهوته معه" (١يو ٢: ١٦، ١٧) .

✱ ✱ ✱

عجيب أن الشوك أقوى من النباتات، ويستطيع أن يخنقه !

فقد تكون للعثرات أقوى من الروحيات . لذلك أمرنا الكتاب أن نبعد عنها- وقيل لنا إن "المعاشرات الردية تصمد الأخلاق الجيدة" (١كو١٥ : ٣٣). وقد حذرنا المزمور الأول من هذه المعاشرات الردية. فقيل لنا "طوبى للإنسان الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار، وفى طريق الخطاة لم يقف، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس" (مز ١ : ١) .

إن أنشئى وأقوى الأطعمة ، يمكن لقطرة سم أن تصدها .
يمكن أن يتوب الإنسان ويتناول ويقضى يوماً روحياً جميلاً. ثم تصدمه عثرة قوية، فتضيع التأثير الروحي العميق الذى تمتع به!



لذلك علينا بكل قوتنا أن نهرب من الشوك، وننقى حقولنا منه.

فلا يستطيع إنسان أن يعبد ربين أو يكرم سيدين (مت ٦ : ٢٤) أو أن يجمع بين محبة الله ومحبة للعالم! فإما الله ، وإما العالم، لأنه لا شركة بين النور والظلمة (٢كو ٦ : ١٤). والعالم هو الشوك..



ننتقل إلى النوع الرابع ، وهو الأرض الجيدة :

٤- الأرض الجيدة :

يقول الرب إن البذار التى وقعت على الأرض الجيدة أعطت ثمراً البعض أعطى منه، والبعض ستين والبعض ثلاثين (مت ١٣ : ٨) .

فما هى الأرض الجيدة ؟

هى الأرض المستعدة لقبول البذار ، التى ترثل مع المزمور : "مستعد قلبي يا الله، مستعد قلبي" (مز ٥٧ : ٧). ترحب بكلمة الله وتفرح بها كمن وجد غنائم كثيرة (مز ١١٩).
هى الأرض الخالية من الشوك. وإن لاحظت شوكاً يزحف إليها، تستأصله بسرعة.
فلا يكون مجال لأن يخلق الشوك زرعها.

وهى الأرض ذات التربة العميقة التى تستطيع فيها الجذور أن تتعمق. وهكذا فإن كلمة الله يكون لها عمق فى داخلها. بل تستطيع جذورها أن تمتد وتقوى وتحمل أشجارها قوية لا تعصف بها ريح.

هذه الأرض تكون لها استجابة لعمل النعمة فيها. تكون لها شركة مع الروح القدس. ولا تكون فيها عوائق تعطل عمل النعمة.



ومع ذلك ، فحتى هذه الأرض الجيدة على درجات في إثمارها.

ليست كلها تعطى مئة، بل منها ما يعطى ستين، وما يعطى ثلاثين .

كل منها حسب ظروفه، وحسب استعداداته، وحسب نوع الموهبة أو مقدار النعمة المعطاة له. وأيضا حسب نوعية الحروب التي يتعرض لها، ومدى شدتها وطول مدتها .
عجيب هو الرب في محبته وحنانه ، إذ وصف الأرض التي تعطى ثلاثين فقط، بأنها أرض جيدة .

✱ ✱ ✱

على أنه يحسن بنا أن نتأمل في نوعيات هذه الأرض الجيدة :

★ربما الذى يثمر. ثلاثين فقط هو المنتدى في حياة الإيمان. والذى يثمر ستين هو النامى في حياة النعمة، السائر في الطريق. أما الذى يثمر مئة فهو الذى وصل إلى الكمال.

★ربما الذى يثمر ثلاثين هو المؤمن ابعادى، والذى يثمر ستين هو المؤمن الخادم. والذى يثمر مائة هو الكارر الواسع العمل في كراته مثل القديس بولس الرسول. أو هو المؤمن الذى فى موضع قيادى كبير فى الخدمة، يدير خدمات عديدة لها ثمار كثيرة .

★وقد يكون تنوع الخدمات من مئة إلى ستين إلى ثلاثين، هو بحسب الوراثة المعطاة لكل مؤمن (مت ٢٥). أو حسب المسؤوليات، التى يعهد بها الله ونوعها فى الحظورة (أب ٤ : ١١).

شكر الله أن الجميع من الأراضى الحيدة .

✱ ✱ ✱

والأرض الجيدة هى أيضاً تتميز بميزات جوهرية .

فهى ترمز إلى المؤمن الحقيقى، الذى يحب الله من كل قلده (مت ٦ : ٥). ويبعد عن محبة العالميات، ويسلك حسب الروح وليس حسب الجسد (رو ٨ : ١) ، وينصف بالإيمان ، وبالبغيرة، ويكون مثمراً فى إيمانه بثمار الروح (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣). ويسعى نحو الكمال (فى ٣ : ١٢ ، ١٣) .

ولنكتف بهذا، لأن صفات الأرض الجيدة، من الصعب أن تتسع لها هذه الصفحات .

٢- مَثَلُ الْحِنْطَةِ وَالزَّوَانِ

(مت ١٣ : ٢٤ - ٣٠) (مت ١٣ : ٢٧ - ٤٣)

ورد هذا المثل في الإنجيل هكذا "فتم لهم مثلاً آخر قَلْباً: يشبه ملكوت السموات إيماناً زرع زرعاً جيداً في حقله. وفيما الناس نيام، جاء عدوه وزرع زواناً في وسط الحنطة ومضى. فلما طلع النبات وصنع ثمرأ، حينئذ ظهر الزوان أيضاً. فجاء عبيد رب البيت وقالوا له: يا سيد، أليس زرعاً جيداً زرعت في حقلك، فمن أين له الزوان؟! فقال إيمان عدو فعل هذا. فقال له العبيد: أتريد أن نجمع الزوان؟ فقال لا. لئلا نقتلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعوه. دعوها ينميان كلاهما معاً إلى يوم الحصاد. وفي وقت الحصاد أقول للحصادين: أجمعوا أولاً الزوان وأحزموه حرمأ ليحرق. وأما الحنطة فاجمعوها إلى مخازني" (مت ١٣).

* * *

في الحقيقة هناك أمثلة كثيرة قالها الرب عن الزرع :

فقال مثل "خرج الزارع ليزرع.. عن نوع الأرض التي تقع البذور فيها: هل هي أرض جيدة؟ أم أرض محجرة؟ أم أرض فيها شوك؟ أم أرض ليس لها عمق؟ (مت ١٣ : ٣-٩). وفي (مر ٤ : ٢٦ - ٢٩) ضرب مثلاً عن نمو الزرع "أولاً نباتاً، ثم سنبلأ، ثم قمحاً ملأً في السنبل". وفي هذا المثل يتحدث عن الزرع الجيد، والمشاكل التي يفرسها عدو الخير ...

* * *

إِنَّ اللَّهَ يَا أَخَوَتِي هُوَ أَوَّلُ زَارِعٍ زَرَعَ فِي الْأَرْضِ .

وأول زرع له هو الجنة التي وضع آدم فيها. وادم نفسه كان زرعاً جيداً حينما خلقه الله، قبل أن يلقي الشيطان فيه زواناً .

والحق في هذا المثل يرمز إلى العالم أو إلى الكنيسة .

الله دائماً يزرع زرعاً جيداً . وأول زرع له في الكنيسة كان الآباء للرسل ، وجميع تلاميذه القديسين ، والكنيسة الأولى التي كانت مملوءة من الإيمان وعمل الروح القدس ، وكان الزرع بامياً بقوة ، فانتشر الإيمان في العالم كله ...

ثم دخل الروان وسط الحنطة ، وظهر أولاً في يهوذا .

✱ ✱ ✱

إن الزرع الجيد هو الأصل . والنشر دخیل على العالم .

الله لا يزرع إلا الزرع الحيد . وهكذا يروى سفر التكوين عن قصة الخليفة : "ورأى

الله كل ما عمله ، فإذا هو حسناً جداً" (تك ١ : ٣١) .

فما هي إذن قصة الزوان؟ وكيف بدأ ؟

الزوان :

بدأ الزوان في البشرية ، حينما ألقى الشيطان في أبونا الأولين فكرة رديئة . قال لهما : لن تموتا . بل الله عالم أنكما يوم تأكلان من الشجرة ، تصيران مثل الله.. " (تك ٣ : ٤ ، ٥) . وهكذا دخلت الخطيئة إلى العالم ، وتوارثا الخطيئة ، وبالخطيئة الموت .

رأينا أيضاً كيف دخل الروان في قلب قاييس . فقتل أخاه (تك ٤) . وكيف أنتشر الروان بين أولاد الله حين رأوا بنات الناس أبهن حسنات (تك ٦ : ٢) .

على أني أريد أن أقول إن الزوان إن كان قد بدأ على الأرض في الجنة ، فقد بدأ قبل ذلك في السماء .

✱ ✱ ✱

بدأ الزوان في السماء بسقوط الشيطان .

كان الله قد خلقه كاروباً "ملائكة حكمة وكامل الحمال" (حر ٢٨ : ١٤ ، ١٢) . فكيف دخل الروان إليه؟ كان ذلك حين قال في قلبه "أصعد إلى السموات . أرفع كرسيّ فوق كواكب الله.. أصير مثل العليّ" (أش ١٤ : ١٤ ، ١٣) .. وهكذا كانت الكبرياء أول زوان عرفته الخليفة ...

ولما سقط الشيطان ، أسقط معه كثيراً من القوات السماوية ، فانتشر الروان . هناك طغمتان من الملائكة ، لم يذكر الكتاب دخول الزوان في إحداهما . طغمة اسارافيم التي تمثل التسبيح قائلة لله "قدوس قدوس قدوس.." (أش ٦ : ٣) . وأيضاً طغمة الكراسي

(العروش) التي تمثل الحلول الإلهي ...

هذا هو بدء تاريخ الزوان ، منذ بدأ في السماء وعلى الأرض.

✱ ✱ ✱

والزوان عشب يشبه الحنطة تماماً ، بحيث يصعب التفريق بينهما في بادئ الأمر ، ولكنه عشب ضار . ولعل هذا يذكرنا بقول الرسول إن "الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور . فليس عظيماً إن كان خذامه أيضاً يغيرون شكلهم كخدام للبر" (٢كو ١١ : ١٤ ، ١٥) .
لذلك ينحدر العصر بالزوان ، فيظنونه حنطة . أو فيما هم يحلونه من الأرض ، يخلعون الحنطة معه ، بسبب التشابه .

✱ ✱ ✱

المشكلة هي وجود الزوان وسط الحنطة ، أي داخل الكنيسة !

كما كان يهوذا وسط الرسل الإثني عشر ، لا يفرقه أحد عن بطرس ويعقوب ويوحنا ! بل كان الصندوق معه .

كذلك نيقولاوس أحد الشمامسة السبعة (أع ٦ : ٥) . أكان أحد يستطيع أن يفرقه عن باقي زملائه الشمامسة المملوئين من الروح القدس والحكمة !؟ (أع ٦ : ٣) . ولكنه فيما بعد صار من الهرطقة . وعن انحرافات العقائدية ، قال السيد الرب في سفر الرؤيا لملاك كنيسة برغاموس "هكذا عندك أنت أيضاً قوم متمسكون بتعاليم النيقولاويين الذي أبغضه" (رؤ ٢ : ١٥) (رؤ ٢ : ٦) .

✱ ✱ ✱

الزوان يبدأ بشكل الحنطة ، ولا يفترق عنها إلا وقت النضوج .

فتظهر الحنطة بسنابل مملوءة بالقمح ، ولا يكون الزوان كذلك . لذلك قال الرب : اتركوهما يلميان معاً إلى يوم الحصاد ، أي إلى نهاية العالم كما شرح (مت ١٣ : ٣٩) .
والزوان الذي داخل الكنيسة ، قال عنه الرسول "أخوة كذبة" (٢كو ١١ : ٢٦) . وتحدث الكتاب أيضاً عن "أنبياء كذبة" . وقال الرب لملاك كنيسة أفسس "جربت القائلين إنهم رسل وليسوا رسلاً ، فوجدتهم كاذبين" (رؤ ٢ : ٢) .

✱ ✱ ✱

لاشك أن الأخوة الكذبة يظهرون كأنهم أعضاء حقيقيون في الكنيسة .

وتقاسى الكنيسة منهم . قال القديس بولس عن بعضهم "هؤلاء هم رسل كذبة ، فعلة ماكرون ، يغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح" (٢كو ١١ : ١٣) .
وفي كتاب بستان الرهبان قصص كثيرة عن ظهور شياطين بهيئة ملائكة ! وعن رؤى

كاذبة وأحلام مضللة. كلها زوان يلقيه الشيطان.

والأخوة الكذبة قد يظهرون وعليهم مسحة من القداسة "بأتون بثياب الحملان وهم دناب خاطعة" (مت ٧: ١٥) . وقد تبدو عليهم غيرة مقدسة لأجل الحق ، كما كان يظهر الفريسيون مدققين في تنفيذ الشريعة وحريصين على حفظ السبت! يحلسون على كرسي موسى مفسرين الشريعة، ولعله يطيلون صلواتهم (مت ٢٣: ١) .

✱ ✱ ✱

إن كان الزوان هكذا ، فما هي الحنطة إذن ؟

الحنطة :

الحنطة هي الذرع الإلهي . هي القمح ، ومنها الخبز الذي هو لازم للحياة .

ترمز إلى السيد الرب الذي قال "أنا هو خبز الحياة" (يو ٦: ٤٨) .

في اللغة العربية نسميه (العيش)، ومنه كلمة يعيش .

وقد شبه السيد نفسه بحبة الحنطة ، فقال عن موته وفدائه للناس: "الحق الحق أقول لكم: إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت، فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت، تأتي بثمر كثير" (يو ١٢: ٢٤) .

وفي الإصحاح الثاني من سفر اللاويين كانت مقدمة الدقيق ترمز إلى تجسد السيد المسيح، سواء إن قُدمت فريكاً (وهو حبات من الحنطة) ، أو دقيقاً وهو حنطة ولكن مسحوق لأجل أماننا" (أش ٥٣: ٥) .

✱ ✱ ✱

حبة الحنطة بيضاء من الداخل تمثل النقاوة الداخلية .

ونبات الحنطة يتغير شكله من الخارج كلما ينمو ويلبض. ففي بدايته يكون نباتاً أخضر، ثم يصفر كالذهب ويبيض بنضوجه. كما قال الرب "ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول: إنها إبيضت للحصاد" (يو ٤: ٣٥) . ولعل هذا التغيير في اللون يذكرنا بقول الرسول "تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم" (رو ١٢: ٢) .

★ أيضاً حينما تمتلئ السنابل قمحاً، فإنها تتحنى، رمزاً إلى تواضع الشخص الروحي كلما يمتلئ من النعمة وحمل العزيمة .

★ ولكي تصير الحنطة خبزاً وطعاماً لتغذية الناس، فإنها تُطحن وتُسحق وتغربل وتتحل، رمزاً للآلام التي يتحملها المؤمن في عمله الروحي .

★ لا ننسى أيضاً أن الحنطة تزرع في الشتاء ، وتحتل برده ومطره، إلى أن تتضج في أوائل الربيع، رمزاً أيضاً لتحمل الألم في الطريق إلى النمو .
في وسط هذه الحنطة زرع العدو زواتاً، والناس نيام .

والناس نيام :

قال الرب في مثله "وفيما الناس نيام، جاء العدو وزرع زواتاً في وسط الحنطة ومضى"
(مت ١٣: ٢٥) .

فعل العدو ذلك ، في الخفاء ، في الظلمة، أثناء نوم الناس. وهذا يرينا أن أعمال الشر تعمل دائماً خفية في الظلام . وهكذا قيل عن الأشرار إنهم "أحبوا الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة" (يو ٣: ١٩) ليست لهم جرأة على العمل في النور والصحو. أما الرب في زرعه للحنطة ، فإنه زرعا علانية وفي النهار .

للسيطان زرع الزوان والناس نيام، أي في غفلة منهم. وهذا بلا شك درس لنا ، لكي نكون باستمرار في سهر وصحو .

ينكرنا هذا بما ورد في قصة الميلاد عن الرعاة الذين ظهر لهم الملائكة. إن هؤلاء الرعاة كانوا "يحرسون حراسات الليل على رعيتهم" (لو ٢: ٨) حرصاً عليها من عدو يفتريها. وفي ذلك قال الشاعر :

ومن رعى غنماً في أرض مأسدة
وطبعاً (برعاها) في جوفه..! إذن لا بد من السهر .

لذلك ما أجمل أن نقرأ في سفر النشيد "تخت سليمان حوله ستون جباراً من جبابرة إسرائيل. كلهم قابضون سيوفاً ومتعلمون الحرب. كل رجل سيفه على فخذه من هول الليل" (نش ٣: ٧، ٨).

ونسمع عن تحميا في بناء سور أورشليم، إنه رتب حراسات لليل" (نح ٤: ٢٢، ٢٣) .
هنا حراس لليل، لئلا يأتي العدو "والناس نيام" .



ما أسهل أن يحاربك عدو الخير، وأنت في غفلة ، أو في سهو، لأنه اعتاد أن يعمل "والناس نيام" ، فيزرع وسطهم زواتاً.

لذلك اهتم دائماً بالسهر الروحي . نقول هذا للفرد وللكنيسة .

لقد جربنا كيف أن بعض المناطق العشوائية التي لم نلتفت إليها، كان يأتي "إنسان عدو" ويعيش فيها "والناس نيام". لذلك وجدنا من الضرورة رعايتها، حتى بدون وجود كنيسة فيها، إلى أن توجد .

عدو زرع ومضى :

العدو الذى زرع الزوان هو الشيطان، وله أعوان .

لهذا فإن للقديس أغناطيوس فى جهاده ضد الأريوسية قال "إن عدونا ليس هو أريوس والأريوسيين، إنما هو الشيطان". ذلك لأنه العدو الذى يحرك أريوس واتباعه. وقد وصفه القديس بطرس للرسول أيضاً بأنه عدو . وذلك بقوله "اصحوا واسهروا، لأن ابليس خصمكم (عدوكم) يجول كأمد يزأر، ملتصقاً من يبتلعه هو" (١بط ٥: ٨). وعجالة "اصحوا واسهروا" تذكرنا بأن هذا العدو يعمل "والناس نيام" ...

أما قول الكتاب إنه زرع للزوان ومضى، فليس معناها أنه انتهى من عمله. بل أنه مضى ليكمل شراً آخر، فى مكان آخر .

أو إنه مضى ليأتى بعد حين. وهكذا قيل فى آخر التجربة على الجبل "ولما أكمل ابليس كل تجربة، فارقه إلى حين" (لو ٤: ١٣) .

الشيطان دائم العمل، لا يهدأ . جعبته مملوءة زواناً، يحمله من مكان إلى آخر، ومن شخص إلى آخر. يلقي روائه باستمرار وسط الحنطة. ويمضى لكى لا يظهر واضحاً. قد لا نراه وهو يعمل، ولكن نرى نتائج عمله.. مثل ميكروب لا نراه وهو يدخل الجسم، ولكننا ندرك مقدار الضرر الذى يحدثه .

إنه يزرع زواناً ، يشبه شكل الحنطة ، فيلتبس الأمر علينا .

كمعاملة تأخذ شكل الحزم وهى قسوة، أو معاملة تأخذ شكل الحب وهى شهوة. إنها كذئاب تلبس ثياب الحملان. تبدو كحنطة وهى زوان!! يحتاج الإنسان فى التعامل معها إلى حكمة وتمييز وافرار ...

للشيطان - وهو عدو - قد يتكلم من فم صديق !

مثلاً فعل مع القديس بطرس الرسول . وذلك حينما أظهر الرب لتلاميذه "أنه ينبغي أن

يذهب إلى اورشليم، ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتل وفي اليوم الثالث يقوم" فأخذه بطرس إليه، وابتداً ينتهره قائلاً : حاشاك يارب . لا يكون لك هذا" (مت ١٦: ٢١، ٢٢) . وكأنه يمنعه عن طريق الصليب والفداء وخلص للبشرية!! وهذه فكرة شيطانية قالها ولا يفهم معناها. لذلك قال له الرب "اذهب عنى يا شيطان. أنت معثرة لى. لأنك لا تهتم بما لله، لكن بما للناس" (مت ١٦: ٢٣) .

محبة بطرس التى هى حنطة، ألقى الشيطان فيها زواناً، بفكرة تأخذ مظهر الحب والحرص على حياة المعلم، بينما هى زوان يحمل منعه عن عمل الفداء والخلص ! عجيب هو الشيطان، حريء ولا يحجل . يلقي زواناً حتى فى محبة رسول عظيم كبطرس!

الشكوى من الزوان :

أتى خدام زارع الحنطة يشكون إليه من وجود الزوان، ويقترحون نزعها من الأرض (مت ١٣: ٢٧، ٢٨) .

وفي الواقع أن الشكوى من الزوان، شكوى تكررت عبر الأزمان :

هوذا إرميا النبي يقول "إبرّ أنت يارب من أن أخاصمك، ولكنى أكلّمك من جهة أحكامك: لماذا تتجح طريق الأشرار؟ اطمأن كل الغادرين غداً" (أر ١٢: ١) . لماذا الزوان فى الأرض؟ ولماذا يوجد إلى جوار الحنطة؟ ولماذا ينجح وينمو؟ ويكمل أرميا كلامه فيقول "أصلوا ، نموا، واثمروا ثمرأ، أنت (يارب) قريب من فهم ، وبعيد عن كلامهم" (أر ١٢: ٢) .

تماماً كما قال الرب عنهم "هذا الشعب يكرمنى بشعته ، وقلبه منتعد عنى بعيداً" (مت ١٥: ٨) (أش ٢٩: ١٣) . هم من الخارج يظهرون كأنهم حنطة، بينما هم زوان ...!

ابشالوم بن داود، كان يبدو من الخارج حنطة! إنه ابن ملك ونبي، وكان جميلاً وجذاباً للناس. وفى حقيقته كان زواناً، خال أباه، وحاربه بجيش ليقضى عليه ويحكم بدلاً منه. إنه زوان وسط الحنطة، وسط أولاد داود ...

غيرة خاطئة :

فى عيرة صادقة ، قال عبيد زارع الحنطة : أتريد أن نذهب وجمع الزوان؟ أى ننزعه من الأرض (مت ١٣: ٨) . فقال لهم لا، لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وانتهم تجمعونه! هؤلاء الخدام يذكرونا بقول القديس بولس الرسول "اشهد أن لهم غيرة لله، ولكن ليس حسب المعرفة" (رو ١٠: ٢) .

حقاً، إن بعض الخدام فيما يخلعون الزوان، خلعوا الحنطة معه

✱ ✱ ✱

والبعض فيما يخلعون الزوان، أو ما يظنونه زواناً، صاروا هم زواناً!

البعض فى غيرتهم (للاصلاح!)، يتهمون غيرهم ، وقد يدينون ويشهرون ويملكون الدنيا صباحاً، قائلين : الزوان الزوان، هلمّ نتحد لقطع الزوان معاً! وفى كل هذا ربما يعثرون الأبرياء والبسطاء. وهم أنفسهم يفقدون نقاوة قلوبهم، وقد تمتلئ مشاعرهم بالكبرياء والحقء... وفى كل هذا يشبهون الزوان تماماً! أليست هذه هى أوصافه؟! ويكونون فى خطر من جهة أديبتهم ..

✱ ✱ ✱

واجبكم أيها الأخوة : ليس هو أن تخلعوا الزوان، إنما أن تتموا كحنطة .

وفى يوم الحصاد العظيم ، عندما يرسل الرب حصاديه من الملائكة، يجد سنابلهم مملوءة قمحاً، فيأخذها وتمتلئ أهداؤه حنطة .

حقاً ما أكثر الذين يتحمسون لنزع الزوان أكثر من الرب نفسه!

وما أكثر القديسين الذين أخطأوا فى غيرتهم المقدسة لنزع الزوان!

نضرب مثلاً لذلك القديس يوحنا الحبيب وأخاه يعقوب بن زبدي، اللذين من شدة حماسها فى ذلك الوقت، كان الرب يلقبهما بواجرس أى ابنى الرعد. حدث لما أغلقت إحدى قرى السامريين أبوابها فى وجهه إذ كان متجهاً إلى أورشليم، أن تحمس يعقوب ويوحنا وقالوا له "أتريد يارب أن تنزل ناراً من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضاً؟" (لو ٩: ٥٤). وكانت هذه عيرة خاطئة منهما لنزع الزوان فالتفت الرب وانتهرهما قائلاً "لستم تعلمان من أى روح أنتم! لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص" (لو ٩: ٥٥، ٥٦).

✱ ✱ ✱

يشوع بن نون أيضاً أخطأ في غيرته في (الدفاع) عن موسى النبي .

حدث عندما حل الروح القدس على السبعين شيخاً مساعدى موسى وتتناوا، أن بقى رحلان في المحلة هما ألداد وميداد، فحلّ عليهما الروح فتنا . فتحمس يشوع وقال لموسى النبي : هل أردعهما يا سبدي؟ فأجابه موسى النبي قائلاً: "هل تعار أنت لى؟! يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء، إذا جعل الرب روحه عليهم" (عدا ١١: ٢٦-٢٩). يشوع - لحدائقه - ظن هذين الرجلين زواناً وسط الجماعة - ينافسان معلمه! وما كانا كذلك وأراد ردعهما وأخطأ ...

ربما بعض التلاميذ كانوا يتمنون التخلص من شاول الطرسموسى لاضطهاده الكنيسة، وجره رجالاً ونساء إلى السجن (أع ٩: ١، ٢)

أما الرب فما كان يراه زواناً ينغى خلعه. إذ كان يفعل كل ذلك بجهل في عدم إيمان (١تى ١: ١٣). بل كان يراه يصلح أن يكون بلاء مختاراً يحمل اسمه (أع ٩: ١٥). وهكذا احتاره فيما بعد ليكون رسولاً للأمم، وليشهد له في أورشليم وفي رومية أيضاً (أع ٢٣: ١١). ومنحه اسم بولس، وجعله أكثر سبلة في المسيحية تحمل قمحاً...

❖ ❖ ❖

إن القديس يعقوب الرسول يقدم لنا مثلاً للغيرة الخاطئة فيقول:

إن كان لكم عيرة مرة وتحزب في قلوبكم، فلا تغفروا وتكذبوا على الحق. ليست هذه الحكمة نازلة من فوق، بل هي أرضية نفسانية شيطانية. لأنه حيث الغيرة والتحرب، هناك التشويش وكل أمر ردى. أما الحكمة التى من فوق، فهي أولاً طاهرة، ثم مسالمة مترفقة، مدعنة مملوءة رحمة وأثماراً صالحة.. وثمر البر يزرع في السلام من الذين يفعلون السلام" (يع ٣: ١٤-١٨) .

ها في موضوع الرواى والغيرة لخلعه، يواجهنا سؤال هام :

لماذا يسمح الرب بوجود الزوان، ووجود الشر والأشرار ؟

أولاً: بالنسبة إلى البشر، بسبب منحهم حرية الإرادة. لقد منحهم الله هذه الحرية، إذ خلقهم على صورته. لكنهم اساءوا استخدامها!

ثانياً: بالنسبة إلى الشيطان، بسبب مبدأ تكافؤ الفرص. لكى لا يحتج بأنه لو كانت له فرصة، لكان يفعل ويفعل.. وهكذا كمثال سمح له الرب أن يجرب أيوب الصديق (أى ١، ٢).

ثالثاً : بترك الزوان فى الأرض، ظهرت فضائل الأبرار : فصانلهم فى مقاومة الخطية والصمود ضد الشيطان. وفضيلتهم فى الصبر وانتظار الرب، وفى الإيمان بعمل الرب وتدخله .

كنلك اعطاء الأبرار فرصة لنوال الأكائيل عن استحقاق . لأنه لا يكمل إلا الذى انتصر . ولا ينتصر إلا الذى يحارب ، وله عدو .

رابعاً : مع وجود الشر، ووجود الزوان، توجد أيضاً نعمة الله العاملة فى أحبائه، والتى بها قال القديس بولس الرسول "استطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى" (فى ٤ : ١٣).

والاضطهادات التى تحملها الأبرار من الأشرار كانت سبب بركة لهم. وفى هذا قال القديس يعقوب الرسول "احسبوه كل فرح يا أخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة..". (يع ١ : ٢) .

لهذا سمح الرب بوجود الزوان فى وسط الحنطة. وقال لخدامه: "أتركوهما ينميان كلاهما معاً إلى يوم الحصاد" (مت ١٣ : ٣٠) .

ينميان معاً :

لعل البعض يسأل : أيهما ينمو فى العالم الخير أم الشر ؟ والجواب أنهما كليهما ينميان معاً .

الخبر فى العالم يزيد، سواء من الناحية الروحية أو العالمية .

من الناحية الروحية : التكريس يزيد ، خدمة مدارس الأحد والشباب تزيد. القداسات تزيد مع حضورها. العمل المسكونى يزيد ومعه مؤتمرات الخدمة، ومؤتمرات الوحدة الكنسية. والمؤلفات الدينية تزيد، والمساعدات الإجتماعية تزيد فى المساعدات التى تقدم للدول الفقيرة أو المنكوبة بالسيول وبالألزال، مع عمل الصليب الأحمر والهلال الأحمر وجمعيات الاسعاف ...

* * *

والشر أيضاً يزيد فى العالم ...

من جهة استخدام العلم فى كوارث الحروب، وفى التصرف فى الخليقة والنسل، كمشاكل الهندسة الوراثية والاستنساخ وما أشبه . والشر أيضاً يزيد فى ظهور كثير من البدع والهرطقات ، وانتشار الإتحال الخلقى والفكرى، والإلحاد وكثرة الشكوك فى

الأمر الدينية، والأمراض البشعة كالإيدز، وأيضاً انتشار الإرهاب والتطرف والجريمة
بشتى أنواعها.. إلخ .

وسيطل الشر والخير يزيدان وينميان إلى يوم الحصاد، مع استخدام العلم بتزايد في
الخير وفي الشر كليهما .. إلى يوم الحصاد .

يوم الحصاد :

هو - كما قال الرب - نهاية العالم الحاضر. وفيه ينتهى الشر بأن يلقى الشيطان في
بحيرة النار والكبريت (رؤ ٢٠: ١٠) في العذاب الأبدى المعد له وللأشرار وكل جنوده
(مت ٢٥: ٤١، ٤٦). ولا تكون خطية فيما بعد ولا موت فيما بعد .

للملائكة يحزمون الأشرار حزمًا ويلقونهم في النار (مت ١٣) .
حزمة للملحنين ، وحزمة للفاستدين ، وحزمة للمضطهدين، وحزمة لكل نوع من أنواع
الأشرار .

أما الأبرار فيضيئون كالشمس في ملكوت أبيهم (مت ١٣: ٤٣)
في أورشليم السمائية ، مسكن الله مع الناس (رؤ ٢١) يتمتعون بما لم تره عين، ولم
تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر (١كو ٢: ٩) .

٣- مَثَلُ الْبَيْتَيْنِ

(مت ٧ : ٢٤ - ٢٨)

قال السيد الرب في آخر عظته على الجبل :

"كل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها، أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر. فنزل المطر، وجاءت الأنهار، وهبت الرياح، ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط، لأنه كان مؤسساً على الصخر".

"وكل من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها، يُشبهه برجل جاهل بنى بيته على الرمل. فنزل المطر، وجاءت الأنهار، وهبت الرياح، وصدمت ذلك البيت فسقط، وكان سقوطه عظيماً".

أنواع من الأذان :

يذكرنا هذا المثل بأنواع من الأذان تواجه كلمة الرب .

أ - أذان لا تسمع . مغلفة أمام كلمة الرب . لا تحب أن تسمع.

ب- أذان أخرى تسمع ولا تتأثر أو لا تفهم . أو تتأثر تأثيراً سلبياً . مثل الشاب الغنى الذى سمع وصية من الرب "قمضى حزينا، لأنه كان ذا أموال كثيرة" (مت ١٩ : ٢٢).

ج - نوع ثالث : يتأثر ولا يعمل . يكتفون بالإعجاب بالكلمة . كأولئك الذين بهتوا من تعليم الرب (مت ٧ : ٢٨). ولا نضمن من منهم قد تبعوه!

د - نوع رابع : يسمع فيتأثر ويعمل، كالذين تبعوا الرب وصاروا تلاميذ له، لمجرد كلمة إتبعنى (مت ٩ : ٩) أو هلم ورائى (مت ٤ : ٢٩، ٢٠) .

هـ - نوع خامس : يتأثر ويعمل، ولكن لا يستمر. كالزرع الذى نما قليلاً ثم خنقه الشوك. كالذين تبعوا الرب ثم أرتدوا ورجعوا إلى الوراء (يو ٦ : ٦٦) .

و - نوع سادس : يسمع ويعمل، ويعلم آخرين أيضاً. وعنه قال الرب : "وأما من عمل وعلم، فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت السموات" (مت ٥ : ١٩) .

هناك أنواع أخرى ، نسمع فتأخذ موقفاً سلبياً أو مضاداً .

مثل الكتبة والفريسيين : الذين كانوا يسمعون الرب، فيشكون أو يعثرون، وينتقنون ويجادلون، ويتهمون به بإتهامات كثيرة..

ومثل قيافا رئيس الكهنة الذي لما سمع من الرب إجابة عن سؤاله، مرق ثيابه وقال "قد جئف . ما حاجتنا بعد إلى شهود؟" (مت ٢٦ : ٦٥) .

بولس الرسول أيضاً : كثيرون سمعوا منه ، فهزأوا به أو قالموه.

تكلم هذا القديس في أثينا، فقال قوم من الفلاسفة "تري ماذا يريد هذا المهذار أن يقول؟" (أع ١٧ : ١٨). ولما أتى بذكر القيامة من الأموات، استهزأ به البعض قائلين "سنسمع منك عن هذا أيضاً!!" (أع ١٧ : ٣٢). ولما تكلم أمام الملك أغريباس، صاح فسقوس الوالي بصوت عظيم "أنت تهذى يا بولس. الكتب الكثيرة تحولك إلى الهذيان!!" (أع ٢٦ : ٢٤) .. كانوا كلهم أصحاب آذان لا تسمع، أو من النوع الذي يسمع ويستهزئ. والبعض حاولوا قتله. فصاح جمهور اليهود لما سمعوه صارخين إنه ينبغي ألا يعيش بعد" (أع ٢٥ : ٢٤) . ولهذا يصلى الأب الكاهن في أوشية الإنجيل قائلاً :

"فلنستحق أن نسمع ونعمل بأناجيلك المقدسة، بطلبات قدسيك"

"نسمع ونعمل". لأن السماع وحده لا يخلصنا، إن لم نعمل به. فالسيد الرب قد قال "الكلام الذي أكلمكم به، هو روح وحياة" (يو ٦ : ٦٣). أى تتركون الروح الذي فيه، روح الوصية، وتحولون ما تسمعون به إلى حياة فيكم، يوصلكم إلى الحياة الأبدية. وهكذا قال القديس بطرس الرسول للرب "إلى من نذهب؟! كلام الحياة الأبدية هو عندك" (يو ٦ : ٦٨).

السماع مسئولية :

يأمرنا الرب أن نعمل بما نسمعه ، ونحوه إلى حياة .

لأن سماع الكلمة هو مسئولية. فالسماع يقود إلى المعرفة والذي يعرف أكثر يطلب بأكثر ... "كل من أعطى كثيراً، يطلب منه كثير. ومن يودعونه كثيراً يطلبونه بأكثر" (لو ١٢ : ٤٨) .

ولعل البعض هنا يتساءل : مادام الأمر هكذا ، فمن الخير لى أن لا أعرف، حتى لا أطلب بأكثر!! مادامت المعرفة مسئولية. ويجيب القديس أوغسطينوس عن هذا الأمر فيقول "هناك فرق كبير بين الجهل، ورفض المعرفة. فالذى يرفض المعرفة، يُدان على

رفضه.. "إذن ينبغي أن نسعى إلى المعرفة، ونعمل بها .

فالمعرفة وحدها لا تكفى ولا تخلص، بدون عمل ...

حتى لو إقتنينا المعرفة من أعظم المعلمين ، ولم نعمل بها !

فالشياطين أيضاً تعرف، بل تؤمن وتتشعر (يع: ٢: ١٩) . والإيمان بدون أعمال ميت. لا يقدر أن يخلص (يع: ٢: ١٤ ، ١٧ ، ٢٠) . مجرد معرفة الدين والإيمان والوصية، ليست صماماً لأبدیتنا، بل هى مسئولية. لأننا مع ذلك لو أخطأنا، لا تكون خطيتنا وقتذاك خطية جهل، بل عن معرفة" .. كما أن العلم وحده قد ينفخ" (١كو ٨: ١) .

✱ ✱ ✱

إن السماع - بتوسط العقل - يعطى علماً ومعرفة .

ولكن العمل - بتوسط النعمة - يعطى خبرة وحياة .

ولهذا يلزمنا أن ندرب أنفسنا على أن نعمل بما نعرفه من تعليم الرب ووصاياه. والتدريب يحول المعرفة إلى حياة .

قدمت لنا سير القديسين قصة راهب مبتدئ ذهب إلى أب شيخ يسأله المشورة فى حياته الرهبانية . فقدم له الشيخ بعض الوصايا التى يسير بها فى حياته ، وطلب إليه أن يداوم الحضور إليه ليتلمذ أكثر. ولكن مرّ شهران وثلاثة ولم يحضر إليه الراهب. فلما إلتقى به الشيخ فى البرية، سأله قائلاً "لماذا لم تأت يا ابنى، لتسمع مزيداً من المشورة؟" فأجابه الراهب: "إن النصائح التى سمعتها منك يا أبى، مازلت أدرب نفسى عليها. ولم أتقنها بعد، حتى أخذ المزيد.." . فعرف الشيخ أنه راهب عمال . فباركه وأطلقه بسلام .

إنه مثال عملى، يذكرنا أننا لا نكتفى بالسماع، بل نعمل بما نسمع

لهذا كله ذكر الرب مثل البيتين للجماهير التى سمعت كلامه .

مثل البيتين :

إنه مثل عن بيتين قد يبدو شكلهما من الخارج واحداً. ولكن الرب فى هذا المثل ، لم يهتم بشكل البيت الخارجى، ولا بمقدار علوه. إنما الأهمية الكبرى التى ركز الكلام عليها، هى الأساس الذى يبنى البيت عليه: هل هو صخر أم رمل؟

فما المقصود بالبيت فى هذا المثل ؟

البيت هو حياة الإنسان الروحية : شخصيته وصفاته وتكوينه . بل هو حياته كلها،

نفساً وجسداً وعقلاً وروحاً، التى يتوقف عليها مصيره الأبدى. فما هو الأساس الذى يبنى عليه هذه الحياة .

والناس فى هذا البناء نوعان : ما بين عاقل وجاهل .

وليس المقصود بالجاهل هنا عديم الثقافة والمعرفة، وإنما المقصود عديم الحكمة فى التصرف. ولذلك تترجم كلمة (جاهل) فى بعض الترجمات الإنجليزية لهذا المثل بعبارة (Foolish) أى غبى أو أحمق، لا يسلك بحكمة.. تماماً كما ورد فى مثل العذارى؟ (مت ٢٥ : ١ - ١٣). عبارة : حكيما، وجاهلات .

فالعاقل أو الحكيم ، بنى بيته على الصخر. والجاهل أو الغبى ، بنى بيته على الرمل. فما معنى الصخر ؟ وما معنى الرمل؟ فى هذا المثل .

الصخر :

الصخرة التى نبنى عليها حياتنا الروحية هى الله نفسه .

وما أكثر الأمثلة فى الكتاب على ذلك .

فألرب قد وصف فى سفر أشعيا النبى بأنه صخر الدهور. فقال "توكلوا على الرب.. لأن الرب صخر الدهور" (اش ٢٦ : ٤).. والذى يتوكل عليه، يحفظه سالماً...

وبه فرحت حنة أم صموئيل، لما إتكلت عليه فمنحها إبناً، فقالت:

"ليس قدوس مثل الرب . لأنه ليس غيرك. وليس صخرة مثل إلهنا" (١صم ٢ : ٢).

ونفس الكلام قاله داود النبى فى نشيده "من هو إله غير الرب؟ ومن هو صخرة غير إلهنا، الذى يعززنى بالقوة، ويصير طريقى كاملاً" (٢صم ٢٢ : ٣١ - ٣٣) . ويقول أيضاً

فى نفس النشيد "الرب صخرتى وحصنى ومنقذى.. به أحتمى" (٢صم ٢٢ : ٢، ٣) .

ويرتل هذا النبى العظيم فى مزاميره ويقول :

(مز ١٨ : ٢، ٤٦) "الرب صخرتى وحصنى ومنقذى. إلهى صخرتى به أحتمى".

(مز ١٩ : ١٤) "لنكن أقوال فمى وفكر قلبى مرصية أمامك ، يارب صخرتى وولى".

(مز ٢٨ : ١) "إليك يارب أصرخ يا صخرتى..".

(مز ٦٢ : ١، ٢) "إنما لله انتظرت نفسى ... إنما هو صخرتى وخلصى..".

(مز ٧١ : ٣) "كن لى صخرة ملحاً أدخله دائماً. أمرت بخلصى، لأنك صخرتى

وحصنى..". أنظر أيضاً (مز ٨٩ : ٢٦) (مز ٩٤ : ٢٢) (مز ٩٥ : ١).

أمثلة أخرى تدل على أن الرب هو الصخرة :

(تث ٣٢: ٣) "أعطوا عظمة لإلهنا . هو الصخر" .

(١كو ١٠: ٤) "كانوا يشربون من صخرة روحية تأنعهم . والصخرة كانت المسيح" .

والدليل على أن الأساس الصخر هو المسيح: قول القديس بولس الرسول "فإنه لا

يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذى وُضع، الذى هو يسوع المسيح" (١كو ٣: ١١)

✱ ✱ ✱

ما معنى أن المسيح يكون الأساس الصخرى لحياتك ؟

★تؤسس بيتك الروحى على السيد المسيح بمعنى إيمانك به . وهذا يشمل الإيمان
بلاهوته، والإيمان بخلاصه العجيب، وفدائه لك .

فمن جهة لاهوته : لما ذكر القديس بطرس أن يسوع هو المسيح ابن الله، قال الرب
"على هذه الصخرة أبني كنيتى، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها" (مت ١٦: ١٦، ١٨) .

أساس حياتك الروحية هو دم المسيح الذى يظهره من كل حطية (١يو ١: ٧) . وهو
الذى أحببك وغسلك من خطاياك بدمه (رو ١: ٥) .

الأساس الذى تبنى عليه بيتك الروحى، هو أن تثبت فى المسيح، وهو يثبت فيك، كما
يثبت الفصن فى الكرمة . وبهذا تأتى بثمر كثير (يو ١٥: ٥) . وتثبت فى المسيح يعنى أن
تثبت فى محبته (يو ١٥: ٩) . هذا هو الأساس الصخرى، لأنك بدونك لا تقدر أن تعمل
شيئاً (يو ١٥: ٥) .

✱ ✱ ✱

الأساس الذى تبنى عليه حياتك الروحية ، هو أن تدعوالمسيح ليحيا فيك، كما قال
بولس الرسول "..لكى أحيا - لا أنا - بل المسيح يحيا فى" (غل ٢: ٢٠)، وقوله أيضاً لى
الحياة هى المسيح.." (فى ١: ٢١) .

✱ ✱ ✱

الصخرة الحقيقية التى تبنى عليها روحياتك هى التلمذة الحقيقية للمسيح فى طاعة
كاملة له . فهو القائل "إن حفظتم وصاياى، تثبتون فى محبتى" (يو ١٥: ١٠) . وبهذا تحيا
فى القداسة التى توحذك معه فى المشيئة وفى العمل .

الأساس الروحى الذى تبنى عليه روحياتك، أن نعتمد على الرب فى كل شئ، "وعلى
فهمك لا نعتمد" (أم ٣: ٥) . تثق بالله كل الثقة، وتعتمد عليه فى كل تدابيرك . وتؤمن أن
"اسم الرب برج حصين، يركض إليه الصديق ويتمتع" (أم ١٨: ١٠) .

فالرب تبدأ حياتك به، وتستمر به، وتختتم حياتك به .

هو الأساس الصخر الذى تبنى عليه حياتك .

وكل أساس غير المسيح هو رمل ...

✱ ✱ ✱

ولعلك تسأل : بماذا يتميز الصخر كأساس ؟

الصخر يتميز بالصلابة والقوة والمتانة . وبالصمان والأمر فى تحمل الأساس للمبنى .

فالبنيان الذى يبنى عليه، لا يسقط .

ويتميز أيضاً بالعمق ، كما ذكر القديس لوقا الإنجيلي فى حديث الرب عن هذين

البيتين " . يشبه إنساناً بنى بيتاً، وحفر وعمق، ووضع الأساس على الصخر " (لو ٦ : ٤٨) .

وهكذا يفعل من يبنى بيته الروحي على ما ذكره السيد المسيح من قيم ومثل، وضحتها

الرب فى العظة على الحبل قبل ذكر مثل البيتين .

الرمل :

الذى يبنى على الرمل هو إسان جاهل يبنى بيتاً بغير أساس . وفى ذلك ورد عنه فى

إنجيل معلمنا القديس لوقا إنه "بنى بيته على الأرض من دون أساس" (لو ٦ : ٤٩) . فأصبح

بلا مقاومة .

فالرمل تربة مفتتة متحركة ، تتأثر وتتغير، وتنجرف وتتحرف .

لا عمق لها ولا ثبات . وليست مثل الصخر الثابت فى مكانه ..

إنها لا تستطيع أن تحمل البناء الروحي، كما يحمله "صخر الدهور" .

يذكرنى بذلك الزرع الذى قال الرب عنه إنه "إذ لم يكن له أصل جف" (مت ١٣ : ٦) .

✱ ✱ ✱

بماذا نشبه من يبنى على الرمل الذى بلا صلابة ولا عمق؟

مثل الذى يبنى حياته على براه الذاتى، بدون عمل الله معه . أو يبنى روحياته على

التدين الخارجى، أو العبادة المظهرية بدون مشاعر القلب الحقيقية! أو الذى يمارس

(فضائل) ليس لها جذور فى أعماقه، بل هى ممارسات بلا روح! أو الذى يعمل أعمالاً

حسنة على أساس من حب المديح والكرامة، أو فى رياء ليراه الناس!

أو الذى فى جهاده يعتمد على وسائل عالمية، أو على ذراع بشرى! أو الذى يثق بنفسه

أكثر من حقيقته، ويرتنى فوق ما ينبغى له أن يرتنى (رو ١٢ : ٣) .

كل هذا يعرض بنيانه الروحي للإنهيار والسقوط فى أى وقت. وكيف ذلك؟

الأَمطار والأَنهار والرياح :

قد تمرّ على البيتين فترة هدوء، ولكن الجو الهادئ لا يستمر. وفى ذلك يقول الرب
"نزل للمطر، وجاءت الأنهار، وهبّت الرياح. وصدمت كلاً من البيتين" (مت ٧: ٢٥، ٢٧)
حلت ساعة الاختبار لتكشف صلابة كل من البيتين :
المطر من فوق ، والأنهار أو السيول من تحت، والرياح من الجانب. أى جاء الاختبار
من كل جانب .

قد تكون هذه التى صدمت البناء الروحي: تجارب أو ضيقات، أو إغراءات أو
عثرات، أو عنف أو اضطهاد، أو حروب من الشيطان أو من الجسد أو العالم..
كل هذه صدمت البناء الروحي ...

فماذا كانت النتيجة بالنسبة إلى كل من البيتين ؟

البيت المبنى على الصخر ثبت، كالجنادل الممتدة التى تعترض نهر النيل.. أو قل
كالشهداء والمعتقرين وسط كل العذابات التى أصابتهم من المضطهدين، أو كالمسوح
والمتوحدين فى كل ما تعرضوا له من حروب الشياطين . أو كأبطال الإيمان الذين
صمدوا أمام كل شكوك وأفكار الهرطقة والمبتدعين.

كل أولئك انتصروا لأن إيمانهم كان مبنياً على الصخر ..

بعكس البيت المبنى على الرمل الذى سقط وكان سقوطه عظيماً .



إن الاختبار الأول للبيتين سيكون بالتجارب ههنا فى العالم. أما الاختبار الثانى فسيكون
ساعة الموت، وهل ستكون ساعة خوف أم إطمئنان. والاختبار سيكون يوم الدينونة
العظيم. ليتنا من الآن نفحص أساس حياتنا وروحياتنا، ونتأكد أنه أساس من الصخر ...

٤- مثل الغنى ولعازر

(لو ١٦ : ١٩ - ٣١)

مقدمة

١ - تصاعل بعض علماء الكتاب هل هو مثل أم قصة حقيقية.
وقالوا فى ذلك أن السيد المسيح لم يتعود فى أمثاله أن يذكر أسماء أشخاص.. وفى هذا المثل ذكر اسم لعازر المسكين، وأبينا إبراهيم، وموسى النبى.. ولا مانع أن يكون لعازر شخصاً عاش فى تلك الفترة وراه السيد المسيح ...
ونحن نفضل أن تكون هذه القصة مثلاً، لأنه لو كان لعازر شخصاً راه المسيح، ما كان قد تركه هكذا فى بؤسه، وهو الذى ذكر قصة السامرى الصالح وكيف أشفق على جريح ملقى فى الطريق، ولم يتركه هكذا، بل أعتنى به (لو ١٠ : ٣٤) .

٢ - نقطة أخرى . وهى لماذا ذكر الرب هذا المثل؟ وما مناسبته ...

★ فى الواقع إنه كان قبل ذكره (فى نفس الإصحاح) قد ذكر مثل وكيل الظلم. وقال فى اخره "أصعوا لكم أصدقاء من مال الظلم.. إن لم تكونوا أمناء فى مال الظلم، فمن يأتىكم على الحق لا يقدر خادم أن يخدم سيدين.. لا تقدرون أن أن تخدموا الله والمال" (لو ١٦ : ٩ - ١٣). بعد ذلك "كان الفريسيون أيضاً يسمعون هذا كله وهم محبون للمال - فاستهزأوا به" (لو ١٦ : ١٤) .

فذكر الرب هذا المثل موبخاً الفريسيين المحبين للمال .

★ وأيضاً ليقارن بين غنى لعازر الذى لم يفكر فى مستقبله بعد الموت، ووكيل الظلم الذى عمل لمستقبله .

★ أيضاً كان فى (لو ١٥) قد ذكر أمثلة للتائبين المقبولين وبحث الرب عن الضالين، فكان من المناسب فى (لو ١٦) أن يذكر مثلاً عن عاقبة الذين ماتوا فى خطيتهم بدون

توبة، لكي يقيم توازناً بين الحالتين .

❖ ❖ ❖

٣- هذا المثل أيضاً هو درس في الإهتمام بالفقراء والمساكين

★ وقد تكلم الرب عن خطورة هذا الأمر في حديثه عما يحدث في مجيئه الثاني، وفرزه للأبرار عن يمينه، وللأشرار عن يساره. وقوله للذين على يساره "اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار المعدة لإبليس وملأكته. لأنني جعت فلم تطعموني . عطشت فلم تسقوني. كنت غريباً فلم تأوؤني. عرياناً فلم تكسوني..". فلما سألوه "متى رأيناك؟!" أجابهم "الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوا بأحد هؤلاء الأصغار، فبى لم تفعلوا، فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدي" (مت ٢٥: ٤١ - ٤٦) .

❖ ❖ ❖

وغنى لعازر لم يضع في ذهنه الآيات التي وردت في العهد القديم عن الإهتمام بالمساكين، فلم يصنع له أصدقاء من مال الظلم:

فقد ورد في (أم ٢١: ١٣) "من يسد أذنيه عن صراخ المسكين، فهو أيضاً يصرخ ولا يستجاب". كما ورد في (أم ٣: ٢٧) "لا تمنع الخير عن أهله، حين يكون في طاقة يدك أن تفعله" وقيل أيضاً "من يرحم الفقير، يقرص الرب. وعن معروفه يجازيه" (أم ١٩: ١٧). أى يعطى قرصاً للرب، يوفيه له هنا أو في العالم الآخر أو في كليهما.

❖ ❖ ❖

٤ - ونحن نذكر هذا المثل في الصوم الكبير، لإرتباط الصوم بالصدقة، كما في قراءات الصوم وبعض تراتيله .

ولا ننسى الترتيلة المشهورة التي نقولها في الصوم الكبير

"طوبى للرحمى على المساكين
فإن الرحمة تحل عليهم"

ولا ننسى أيضاً ما ورد في رسالة يعقوب الرسول "الديانة الطاهرة النقية عند الله الأب هي هذه: افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم" (يع ١: ٢٧) .

والآن فلندخل في تفاصيل مثل (الغنى ولعازر المسكين) :

عنى وفقير

★ المثل يقدم لنا شخصين : أحدهما غنى في قمة الغنى، يلبس الأرجوان والحريز،

ويعيش متنعماً. والفقير يعيش فى عمق الفقر حتى دُعى بالمسكين . ويبدو أنه كان أحد المتسولين، وقد طُرح عند باب الغنى. وكان يشتهى الفتات الساقط من مائدته. وبالإضافة إلى جوعه وفقره، كان مضروباً بالقروح. وكانت الكلاب تلتى وتلصق قروحه (لو ١٦: ١٩-٢١).

* * *

★ وهنا لعل البعض يسأل : لماذا هذا التمييز فى الغنى والفقر؟ ولماذا سمح الله به؟ سمح الله لاختبار. ماذا يكون شعور الغنى فى غناه؟ هل يقوده الغنى إلى الخطية أو إلى الترف والبعد عن الله، أو إلى العظمة والكبرياء، أم يقوده الغنى إلى العطف على المساكين وإلى فعل الخير بما يملك من مال . كذلك ما شعور الفقير فى فقره؟ هل يسلخ ويتنمر؟ هل يلجأ إلى طرق غير شرعية لتغطية حاجته بالكذب والتحليل؟

* * *

وعلى الرغم مما يقمه هذا المثل عن مصير غنى لعازر، نقول:
★ ليس كل الأغنياء خطاة، فقد يوجد منهم أبرار وقديسون . وليس كل الفقراء أبراراً مثل لعازر للمسكين، فمنهم أيضاً خطاة.
يذكر لنا الكتاب أن إبراهيم أباً الآباء كان غنياً جداً (تك ١٣: ٦). ومع ذلك كان باراً ومضيفاً للغرباء (تك ١٨: ٦-٨).

وكان أيوب الصديق أغنى كل بنى المشرق (أى ١: ٣). ومع ذلك شهد له الرب أنه ليس مثله فى الأرض. رجل كامل مستقيم.. يتقى الله ويحيد عن الشر" (أى ١: ٨) .
ويوسف الرامى الذى كَفَنَ جسد المسيح كان رجلاً غنياً، وفى نفس الوقت كان تلميذاً للرب يسوع (مت ٢٧: ٥٧) (مر ١٥: ٤٣) .

وفى القرن التاسع عشر نسمع عن إبراهيم الجوهري ، أحد عظماء الأقباط. وكان غنياً جداً، محسناً جداً، ومهتماً بتعمير الكنائس والأديرة .

* * *

★ والغنى فى قصة لعازر المسكين، لم يذهب إلى الجحيم بسبب غناه! كلا. وإنما على الرغم من تنعمه ورفاهيته ، كان أنانياً محباً لذاته. ينفق الكثير على نفسه. وقلبه حال من الرحمة لا يعطف على المسكين. وعاش لحاصره فقط، ولم يهتم لأدبيته ولم يستعد لها، على الأقل بعمل الرحمة !

وكانت أمامه فرصة أن يكسب الملكوت بالشفقة على المسكين (مت ٢٥ : ٣٤ - ٣٩). ولكنه لم يفعل .

✱ ✱ ✱

★ على الرغم من أن حالة لعازر المسكين تذيب أى قلب مشفق، وتثير الشفقة، بسبب جوعه وقروح، وكونه بلا مأوى .

★ كما كان هذا المسكين قريباً منه ، على بابه (لو ١٦ : ٢٠). ولعل العنى كان يمر عليه كل يوم ولا يأنه أو يعيره أى التفات! يذكرنا بما قيل فى قصة السامرى الصالح، أن الكاهن واللاوى كليهما مرّا على الجريح المطروح بين حى وميت، "وجازا مقابله" (لو ١٠ : ٣٠ - ٣٢) .

★ كذلك فإن ذلك المسكين ما كان يطلب من ذلك الغنى شيئاً كثيراً أو يرهقه بعباءة زائدة، بل كان يشتهى مجرد "الفتات الساقط من مائدته" (لو ١٦ : ٢١) .

✱ ✱ ✱

من جانب آخر لم يذهب لعازر إلى حضن ابراهيم، بسبب فقره!

بل بسبب فضائل أخرى. فهو كان قنوعاً ، يكفيه الفتات الساقط. وكان محتماً لحالته. ولم يقل الكتاب عنه إنه قد تضرع بسبب حالته! أو حسد الغنى، أو أدانه ولو فى فكره! حتى عندما ذهب إلى حضن أبينا ابراهيم، بقى صامتاً. لم يتكلم، بل تكلم ابراهيم نيابة عنه - وهو لم يشمت فى حالة الغنى بعد الموت .

✱ ✱ ✱

ذكر الكتاب اسم المسكين، ولم يذكر اسم الغنى .

كان اسمه لعازر، ومعناه "الله هو عونى" . وربما ذكر الرب له هذا الاسم، لأنه لم يكن له عون من البشر، ولم يعتمد على ذراع بشر، بل كان عونه من عند الرب (مز ١١٨ : ٧) (مز ١٢١ : ٢) . وقد منحه الرب المعونة التى احتمل بها البؤس الذى عاش فيه...

أما الغنى فلم يذكر له اسم ربما لأنه لا يستحق ذلك !

✱ ✱ ✱

المهم أن نذكر هنا : أن غنى ذلك الغنى لم يكن دليلاً على رضى الله عليه، ولا فقر المسكين كان دليلاً على عدم رضى الله!

بل الغنى أو الفقر ليس دليلاً على رضى الله أو عدم رصاه.. على أن كليهما عاشا هكذا على الأرض. ثم جاء الموت، فاحتلقت حالة كل منهما تماماً ...

موت كليهما

★ مات الغنى. وغناه لم يمنع عنه الموت. وكذلك مات المسكين.

واختلف الإثنين فى موتتهما . وفى ما بعد الموت !

مات الغنى وذُنْ (لو ١٦ : ٢٢). ولعل العظمة العالمية قد أحاطت بموته. ولعله قد ذُنْ فى مقبرة فاخرة تليق بعناؤه. ولعل كثيرين قد رثوه وأبتهوه، وتكلموا فى مدحه وأن موته خسارة للمجتمع!

أما المسكين ، فلم يقل الكتاب أنه ذُنْ - مثل ذلك المسكين الذى تلص الكلاب فروجه، لا يهتم أحد بموته ولا بدفنه! ربما ألقوا جثته فى مكان مهمل. ولم يكن له قبر .

✱ ✱ ✱

★ وهذا الذى لم يهتم أحد بدفنه ، اهتمت به الملائكة .

وقال عنه الرب فى المثل "مات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن ابراهيم" (لو ١٦ : ٢٢). فالملائكة تحمل أرواح الأبرار، وليس الكل.. أما الأشرار، فغالباً تأتى الشياطين وتسحب أرواحهم معها إلى الهاوية. فهؤلاء الأشرار كانوا من أتباع الشياطين: تبعوهم فى حياتهم، ويتبعونهم أيضاً بعد الموت ...

وحضن ابراهيم يعنى كورة الأحياء وعشرة القديسين .

✱ ✱ ✱

★ كل من الغنى ولعازر وجد نفسه حياً بعد الموت .

فالموت ليس نهاية كاملة للحياة. بل الموت هو مجرد انتقال إلى حياة تبدأ ولا تنتهى... وحياتنا على الأرض هى مجرد فترة مؤقتة، ستعد فيها للحياة الأخرى التى لا تنتهى. وسعيد وحكيم من يستعد لها ...

لذلك فالكنيسة تذكرك فى كل ليلة بالإستعداد للموت والدينونة:

وبخاصة فى صلاة النوم وصلاة نصف الليل ...

فيقول المصلى "هوذا أنا عتيد أن أقف أمام النديان العادل مرعوب ومرتعِد من أجل كثرة ذنوبي..". "لكن توبى يا نفسى مادمت فى الأرض ساكنة. لأن التراب فى القبر لا يسبج . ليس فى الموتى من ينكر، ولا فى الجحيم من يشكر" .. ونقول فى نصف الليل "تفهمى يا نفسى ذلك اليوم الرهيب واستيقظى" .

✱ ✱ ✱

الغنى وجد نفسه فى الجحيم، ونسى أنه كان مجرد وكيل على ماله . فتنمته الله عليه
ليستخذه فى الخير ...

نعم يا أخوتى ، ليست العصور فقط هى نصيب الله فى كل أموالنا. بل أننا سنعطى
حسباً عن كل ما نملكه، وكيف استخدمناه. وكيف نكر الرب عارة (وكيل) فى كثير من
أمثاله وأحاديثه ..

ليت الغنى الذى عاصر لعازر صنع صداقة مع ذلك المسكين، بعالم الظلم.. إذن لكان
يذكره وهو فى حضن إبراهيم ...

ما بعد الموت

للغنى اهتم بجسده فى حياته فى تنعمه ، واهتمت أسرته بجسده بعد الموت بدفنه. أما
بروحه فما كان أحد يهتم، لذلك ذهب إلى الجحيم. أما لعازر فعلى العكس، ما كان هناك
اهتمام بجسده. ويبدو أنه لم تكن له أسرة ولا أصدقاء. لم يكن غير الكلاب التى تلحس
قروحه. أما روحه فقد حظيت بعطف الملائكة وعطف أبينا إبراهيم.

قبل صلب المسيح، كانت كل الأرواح تذهب إلى الهاوية. ولكن كان هناك فارق بين
الأبرار والأشرار .

كان الأبرار راقدين على رجاء، وقد تحقق هذا الرجاء بالفداء، إذ نقلهم الرب إلى
الفرديوس بعد صلبه. إذ نزل إلى أقسام الأرض السفلى وأصعدهم منها" (أف: ٤: ٦) وأدخل
معهم اللص اليمين (لو: ٢٣: ٤٣)

أما الغنى فكانت روحه فى طبقة أسفل من الطبقة التى يوجد فيها الأبرار . لذلك رفع
عينيه من الجحيم، ورأى أبانا إبراهيم ولعازر فى حضنه (لو: ١٦: ٢٣) .

أما الهوة العظيمة التى أثبتت بين الأبرار والأشرار، فبالإضافة إلى معناها الحرفى،
يبين أنها "هوة اليأس" إذ لا رجاء لهم .

لذلك يقول الرسول من جهة الدين رقدوا "لا تحزبوا كالباقين الذين لا رجاء لهم"
(١٣: ٤: ١٣) الدين مصيرهم كعنى لعازر ..

الغنى فى حياته الأرضية كان يمتلك كل تنعمات الحسد، ولكنه إذ لم يمتلك الشفقة
والحنان، فقد كل شئ .

وإذا بالغنى ولعازر - بعد الموت - تبادلا كل الأوضاع .

لعارر قتل الموت كان مطروحاً عند باب العنى . فإذا بالغنى بعد الموت لم يصل إلى المستوى الذى يطرح فيه عدد باب لعازر !! بل كان ينظر من أسفل، ويرفع عينيه ليراه .
★ لعازر قبل الموت كان يشتهي الغلات الساقط من مائدة العنى . فإذا بالغنى بعد الموت يشهى أن يبل لعازر طرف أصبعه (وليس أصبعه كله) لكي يترد لسانه من اللهب (لو ١٦ : ٢٤) .

★ لعازر كان يتعذب والآن يتنعم . والعنى كان مرفهاً والآن يتعذب .

★ لعازر كان يتسول . والآن العنى هو الذى يتسول ولو قطرة ماء . وأيضاً يتسول عطف أبينا ابراهيم .

★ لعازر فى الحياة الأرضية، كان يرى سعادة الغنى وهو محروم . أما الآن فالغنى يرى سعادة لعازر وهو محروم، بل معذب .

★ الآن الغنى أصبح هو المسكين . وليس المسكين لعازر !

حال الإثنين قد تغير إلى العكس، لإيجاد توازن بين الحياة على الأرض والحياة فى السماء .

تأملات فى القصة

١ - الحياة الروحية ليست مجرد سلبيات : لا تقتل، لا تزنى، لا تسرق.. بل لها إيجابيات . كما قيل عن أيوب الصديق "كامل ومستقيم، ويحيد عن الشر" (أى ٢ : ٣) . وكما قال الكتاب :

"من يعرف أن يعمل حسناً، ولا يفعل، فتلك خطية له" (يع ٤ : ١٧) .

١- وكلة غنى لعازر، ليس إنه فعل شراً، بل أنه لم يفعل خيراً

٢ - الله منحنا الخيرات ، لكي نسعد بها غيرنا، وليس لمجرد تمتعنا .

٣- الروح فى السماء تتسع معرفتها، وتعرف ما على الأرض .

فأبونا ابراهيم عرف أن هذا لعازر، وأن الآخر هو الغنى ...

كما عرف أنه قد أتى بعده موسى والأنبياء لهداية الناس .

٤ - الأصوات أيضاً كانت تصل من طبقة إلى طبقة فى مكان الإنتظار .

٥ - كل تعب على الأرض من أجل الرب له مكافأته. وقد قال الرسول "كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبهِ" (١كو ٣: ٨). ومع أن لعازر تعب بغير إرادته، إلا أنه كوفئ! يكفي أنه احتفل في صبر، ولم يندمر على وصعه، ولم يجدف ...

٦ - ليس الغنى فقط نستخدمه في الخير، بل أيضاً كل المواهب والقدرات .
منحك الله دكاء، استخدمه للخير . منحك سلطة، استخدمها لأجل سعادة الآخر . منحك صحة، منحك وقتاً، استخدم لكل للخير . قل لله في كل إمكانياتك "كل ما لي، فهو لك" .

٧ - طلب الغنى من أبينا إبراهيم ثلاث طلبات ولم تتحقق :
الطلبية الأولى يا أبى إبراهيم ارحمنى . والثانية "أرسل لعازر ليبل صرف أصبعه بماء.." والثالثة أرسله إلى أحوتى (لو ١٦ : ٢٤ ، ٢٧) .

حاعت الطلبتان الأولى والثالثة متأخرتين بعد فوات الوقت .
لو كان لا يزال في العالم قبل موته، لتشفيع فيه إبراهيم .
أما الآن فإنه يذكرنا بالعداوى الجاهلات اللاتى أتير بعد أن أعلق الباب (مت ٢٥ : ١٠ ، ١١) . بعد الموت لا تقبل شفاعة: لا من إبراهيم ولا من لعازر . فلا تقف أمام الإنسان سوى أعماله .

هذا يذكرنا بأنه لا توجد توبة بعد الموت ...
بيننا وبينكم هوة عظيمة .. لا تستطيعون أن تحتازوا إلينا (لو ١٦ : ٢٦) .
أما أحوة الغنى فقال عنهم أنونا إبراهيم: عندهم موسى والأنبياء .
ومن جهة حال العنى ، قال له أنو الآباء "تذكر يا بنى، أنك قد استوفيت حيرتك على الأرض". ولم نهتم بحير السماء !

تذكر يا بنى

تذكر أن حياة الإنسان على الأرض، هى التى تحدد مصيره بعد الموت، وتحدد درجة مصيره . لأن نحمأ يعوق نجمأ فى الرفعة (١كو ١٥ : ٤١) وفى العقوبة هناك حالات أكثر احتمالاً من غيرها (مت ١١ : ٢٢ ، ٢٤) .

تذكر يا بنى ، وثق أنك ستذكر شئت أو لم تشأ !!
فأول جحيم سيجتازه الإنسان بعد الموت هو الذاكرة .

حينما يتذكر كل خطاياه وسقطاته ونحاساته وضعفاته، الكل معا! ومهما حاول أن يمحوها فلا يستطيع. الكل أممه بالصوت والصورة، مند ولادته حتى موته. لا يحتفى منه شئ. وتضغط عليه ذكرى نحاساته فيصرخ "دبى أعظم من أن يُحتمل" (تك: ٤: ١٣) .

الذاكرة بعد الموت سريعة، وشاملة، وغير إرادية، ودائمة .

ومؤلمة ، كجحيم قبل أن يدخل الجحيم. كما قال الشاعر :

كجحيم ذلك الماضى ، كشیطانٍ مريع

قائم صدى فى صحوى وأيصاً فى هجو عى

فيتذكر بعد الموت خطاياه التى كان يتلذذ بها، فأولاً لا يحدها . وثانياً لا يتلذذ بها، بل يتعذب بتذكرها!

ويصرخ أين أهرب من هذا الجحيم الذى فى داخلى، فى ذاكرتى؟! حيث أتذكر كل ما يعذبنى. ولا أستطيع الامتناع عن تذكره .

حقاً إن كل ما نعمله. وما نفكر فيه، يُحمر وينطبع فى ذاكرتنا. وإن سببه الحطاة على الأرض ، فلن ينسوه بعد الموت . ومهما تعدوا به، يقولون "تحر بعدل حوريا" (لو ٢٣: ٤١) .

وهكذا كان القنى المعاصر للعازر فى عذاب :

عذاب من تعب نفسه ، ومن تعب ما يتذكره .

عذاب فى المقاربة بين حياته فى العالم وحياته الان .

عذاب فى المقاربة بينه وبين لعازر المسكين .

عذاب من جهة أحوته الذين فى العالم .

عذاب من جهة إحساسه بعضب الله عليه .

عذاب من جهة عدم استجابة أبينا ابراهيم لطلب من طلباته .

عذاب لأنه بدأ يحصد ثمار ما قد زرعه .

عذاب إذ ليس له رجاء، إذ يرى عذابه لا ينتهى.

٥- مَثَل الْفَرِيسِيِّ وَالْعَشَّارِ

(لو ١٨ : ٩-١٤)

إِثْنَانِ صَعِدَا إِلَى الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا . أَحَدُهُمَا فَرِيسِيٌّ وَالْآخَرُ عَشَّارٌ .
حُكِمَ النَّاسُ عَلَى كُلِّ مِنْهُمَا ، عَكْسَ حُكْمِ اللَّهِ تَمَامًا .

★ كَانَ الْفَرِيسِيُّ مِنْ طَبَقَةِ مُحْتَرَمَةِ مِنَ النَّاسِ ، يَدْعُونَهُمْ قَاتِلِينَ : سِبْدَى سِبْدَى (مت ٢٣ : ٧) . وَكَانُوا مُنْطَفِقِينَ جَدًّا فِي تَعَزُّزِ الشَّرِيعَةِ ، يَضَيِّقُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فِي الصُّومِ وَفِي حِفْظِ الْعَصَبِ وَفِي دَفْعِ الْعَشُورِ . حَتَّى أَنَّ بُولُسَ الرُّسُولِ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ "إِنِّي حَسَبَ مَذْهَبِ دِيَانَتِنَا الْأَصْغَى ، عَشْتُ فَرِيسِيًّا" (أع ٢٦ : ٥) .

★ كَانَ مُعَلِّمًا لِلشَّرِيعَةِ "يُجْلِسُ عَلَى كُرْسَى مُوسَى" (مت ٢٣ : ٢) . وَفِي نَظَرِ النَّاسِ ، كَانَ إِتِّصَانًا مَشْهُورًا ، وَكَانَتْ لَهُ "صُورَةُ التَّقْوَى" (٢تى ٣ : ٥) . وَكَانَ يَعْرِفُ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ مُوَضَّعٌ لِحَقَارَةِ النَّاسِ ، وَأَنَّهُ إِنَّمَانٌ مُلْتَزِمٌ . وَقَدْ صَعَدَ إِلَى الْهَيْكَلِ بِهَذَا الشُّعُورِ ...

✽ ✽ ✽

★ أَمَّا الْعَشَّارُ ، فَكَانَ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ طَبَقَةِ يَحْتَقَرُهَا النَّاسُ :

إِذْ كَانَ الْعَشَّارُونَ مَشْهُورِينَ بِالظُّلْمِ وَالنَّهْبِ وَالْقَسْوَةِ . حَتَّى أَنَّ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ حِينَما دَخَلَ بَيْتَ زَكَاءِ الْعَشَّارِ ، تَنَمَّرَ لِلْيَهُودِ لِأَنَّهُ دَخَلَ لِيُبَيِّتَ عِنْدَ رَجُلٍ خَاطِئٍ (لو ١٩ : ٧) . وَقَدْ صَعَدَ الْعَشَّارُ إِلَى الْهَيْكَلِ بِهَذِهِ الرُّوحِ مِنَ الْمَذَلَّةِ ، وَوَقَفَ بِهَا مُنْسَحِقًا أَمَامَ اللَّهِ ...

✽ ✽ ✽

★ الْفَرِيسِيُّ صَلَّى صَلَاةً طَوِيلَةً ، وَلَمْ يَقْبِرْ بِهَا ..!

وَالْعَشَّارُ صَلَّى جَمَلَةً وَاحِدَةً "ارْحَمْنِي يَا رَبُّ فَإِنِّي خَاطِئٌ" . وَخَرَجَ مُبْرَرًا .

الْإِثْنَانِ صَلَّيَا . وَلَعَلَّ صَلَاةَ الْعَشَّارِ وَحْدَهَا هِيَ الَّتِي حُسِبَتْ صَلَاةً ...

لَمْ يَكُنِ الْمِقْيَاسُ أَمَامَ اللَّهِ هُوَ طُولُ الصَّلَاةِ أَوْ قِصَرُهَا . إِنَّمَا مَا كَانَتْ تَتَصَفَّ بِهِيَ الصَّلَاةُ مِنْ إِتِّصَاعٍ وَانْسِحَاقِ قَلْبٍ . وَهَذَا مَا تَمَيَّزَتْ بِهِ صَلَاةُ الْعَشَّارِ . الْمُهْمُ فِي الصَّلَاةِ عَمَقُهَا وَرُوحَانِيَّتُهَا . وَهَذَا مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْكُمَ بِهِ اللَّهُ فَاحْصِ الْقُلُوبَ ...

✽ ✽ ✽

كم من صلاة قصيرة ، كانت - فى عمقها - لها فاعليتها الكبرى .

هكذا كانت أيضاً صلاة اللص اليمين على الصليب "انكرى يارب متى جئت فى ملكوتك" (لو ٢٣: ٤٢). وهذه الكلمات القليلة ، نال الوعد بأن يكون مع الرب فى الفردوس. لأنها كلمات صادرة من القلب، وفيها إيمان وإنسحاق قلب...

وبالمثل ما قيل عن صلاة السائح الروسى "يارب يسوع المسيح ارحمنى" ..

✱ ✱ ✱

ونحن نصلى قائلين "يارب ارحم" الاف المرات. ولكن هل واحدة منها، فيها روح وعمق عبارة "ارحمنى" التى قالها ذلك العشار؟!

قد نقول "يارب ارحم" ونحن لا نشعر بضغفا، ولا نشعر باحتياجنا إلى الرحمة، ودون أن نتذكر خطايانا ونطلب الرحمة لمغفرتها.. وكل ذلك بغير تضرع، وبغير توسل، وبغير إسحاق! نطلب الرحمة واصح على ألسنتنا، ولكنه ليس عميقاً فى قلوبنا.. كما كان فى قلب العشار، وفى قلب اللص اليمين .

صلاة الفريسي :

★ لقد وقف أمام الله مفتخراً ، لا متضرعاً !

وحاول إخفاء افتخاره، وراء عبارة "أشكرك يارب..".

فليس المهم فى أن يقول الإنسان "يارب" ، إنما أن يقولها بقلب منسحق أمام الله.. فهذا الفريسي يذكرنى بقول الرب "ليس كل من يقول لى "يارب يارب، يدخل ملكوت السموات" (مت ٧: ٢١). ويذكرنى بالأكثر بقوله - تبارك اسمه - "كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم : يارب يارب، أليس باسمك تنبأنا؟ وباسمك أخرجنا شياطين؟ وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذ أصرح لهم إني لم أعرفكم قط. اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم!" (مت ٧: ٢٢، ٢٣).

أولئك أيضاً - مثل الفريسي - كانوا يقولون "يارب" ويفتخرون!

✱ ✱ ✱

فإن وقفت تقول يارب ، أذكر بأى روح تقولها ؟

★ قال الفريسي : اشكرك يارب إني لست مثل سائر الناس ..

وهكذا جعل نفسه فى مستوى أعلى، متميز عن سائر الناس، متميز فى أنه لا يرتكب خطاياهم. فقال لست مثل سائر الناس الظالمين الخاطفين الزباة.. وهنا وقع نظره على

العشار، فقال "ولا مثل هذا العشار ..". فأدان الغائبين عنه "سائر الناس"، كما أَدان العشار الحاصر أمامه .

✱ ✱ ✱

لقد أَدان العشار بدلاً من أن يدينه الله، بل أَدان العشار الذى برره الله (لو ١٨ : ١٤) والذى كان أفضل منه أمام الله .

الله صاحب كل السلطان لم يَدن العشار فى هذا المثل. ولكن الفريسي هو الذى أَدانته، وبغير سلطان ، بينما كان العشار فى عمق روحانيته .

وصدق قول الآباء "من ينسى خطاياهم، يقع فى إداة خطايا أخيه".

لو تذكر الفريسي خطاياهم، لطلب عنها المغفرة، لكنه لم يتذكر سوى خطايا الناس الطالمين الخاطفين الزبالة، وهذا العشار .

✱ ✱ ✱

وكأنه كان يبدو أمام نفسه بلا خطية!

كان باراً فى عيني نفسه ... كان فى بطن نفسه من الأصحاء الذين لا يحتاحون إلى طبيب، ولا من الخطاه الذين يحتاحون إلى توبة (مت ٩ : ١٢، ١٣).

وهكذا أيضاً لم يَطلب فى صلاته أى طلب من الله، وكأنه لا ينقصه شئ يطلبه..!
إنه يذكرنى بذلك الأخ النلموسى الذى كتب كتاباً ضد الأجيبة، وأنتقد عبارة (يارب ارحم). وقال : لماذا نطلب من الرب الرحمة؟! لقد رحمنا وانتهى الأمر!! لقد طهرنا وبررنا وجددنا ومحدنا، وما عدا بعد فى احتياج إلى تطهير وتجديد!!

✱ ✱ ✱

الفريسي فى كبريائه أَدان غيره ولم يشفق !

ولو كان متصعاً لتذكر قول القديس بولس الرسول "أذكروا المقيدون كأنكم مقيدون معهم. وادكروا المذنبين كأنكم أيضاً فى الجسد" (عب ١٣ : ٣). ولكن الفريسي ذكر الحافظين الطالمين الرنأة، فى كبرياء قلبه. وكان الأجدر أن يذكرهم ، أن يطلب لهم معونة من الله وتوبة .

القديس يوحنا القصير كان إذا رأى خاطئاً، يبكى فيسأله عن سبب بكائه، فيقول: هذا يدل على أن الشيطان يعمل وقد أسقط أحي هذا الذى يتوب، وما أَداننى إن أسقطنى هل أتوب أنا أم لا .

✱ ✱ ✱

★ العجيب أن الفريسي كان له مظهر الصلاة، ومظهر التواجد في الهيكل. ولكن قلبه لا مع الله ولا مع الناس.. تماماً مثلما ندخل إلى الكنيسة فنجدها مملأ بالناس. ولكنهم ليسوا كلهم مع الله، وليسوا كلهم يصلون !!

★ وهكذا وقف في صلاته يدين غيره! ما أخطر أن يخطئ الإنسان وهو يصلي !

✱ ✱ ✱

ما أخطر أن صلاة الإنسان تصير خطية!! وهكذا كانت صلاة الفريسي: وقف كإنسان بار أمام الله! لم يطلب المغفرة عن خطية واحدة ارتكبها! بل قارن نفسه بغيره، فوجد نفسه أفضل من الكل.

★ وبمن قارن نفسه ؟ بالناس الظالمين الخاطفين الزناة !!

حقاً عندما نقارن بهذا المستوى الشرير نجد أنفسنا أهراراً!

ولو أنه قارن نفسه بالمتضعين المنسحقين ، لوجد نفسه في الموازين إلى فوق. ولكن لأنه نظر إلى من هم أقل منه، لذلك افتخر. مثل طالب راسب في مادتين، فيقارن نفسه بمن راسب في أربع مواد وأعاد العام، ويرى أنه أفضل. وعلى رأى المثل "الأعور وسط العميان سلطان". ليت الفريسي نظر إلى من هم أعلى منه وقارن نفسه بالأبرار القديسين، إذن ما كان يتحدث بهذا الأسلوب .

✱ ✱ ✱

إنه يقول مفتخراً "أصوم يومين في الأسبوع". نيته تذكر دانيال النبي ، الذي لما صام ثلاثة أسابيع أيام، قال "لم أكل طعاماً شهياً، ولم يدخل فمي لحم ولا خمر" (دا: ١٠: ٢، ٣). هذا الذي رفض أطايب الملك، وأكل بدلاً منها القطناني (طعاماً نباتياً) .

إن الذي يقارن نفسه بالمستويات الساقطة، كالظالمين والخاطفين الزناة ، قد يرتفع قلبه. أما الذي يتذكر مستويات القديسين ، يشعر أنه لم يعمل شيئاً فيتضع ... ليتنا بهذه المناسبة نتذكر قول الرب "كونوا كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل" (مت: ٥: ٤٨) . حينئذ لا نفتخر لمجرد أننا صمنا يومين في الأسبوع، أو عشرين كل ما نقتنيه .

✱ ✱ ✱

كذلك لا نقيس روحياتنا بسليبات الظالمين الخاطفين الزناة، إنما بقيسها بإيجابيات القديسين في روحياتهم ، بالدرجات العليا التي وصلوا إليها في جهدهم .

كذلك لما قال الفريسي "أعشر كل ما أقتنيه" لئنه تذكر قول الكتاب "منك الجميع. ومن يدك أعطيناك" (أى ٢٩ : ١٤) .

هذه العشور التى أعطاهها هى جزء من كل ماله الذى أخذته عطية من يد الله. فلماذا الافتحار إذن .

✱ ✱ ✱

★وبلا خجل، بدأ يتحدث عن نفسه، ويحصى أمام الله فضائله!

أنا أصوم مرتين فى الأسبوع، وأنا أعشر كل ما أقتنيه. ونسى أنه "كالثقور المبيضة من الخارج؛ وداخلها عظام ننتة" (مت ٢٣ : ٢٧). نسى أنه يعشر النعناع والشبث والكمون، وقد ترك أقل الناموس: الحق والرحمة والإيمان (مت ٢٣ : ٢٣). نسى أنه من القادة العميان الذين أغلقوا ملكوت السموات قدام الناس. فلا هم دخلوا، ولا جعلوا الداخلين يدخلون (مت ٢٣ : ١٣).

✱ ✱ ✱

★نسى خطاياهم فلم يذكرها. وفضائله لم ينسبها إلى عمل الله فيه!

لم يقل أنا بنعمتك لست مثل الظالمين الخاطفين الزناة. ولم يقل إننى بفضل معونتك لى أصوم مرتين فى الأسبوع وأعشر كل ما أقتنيه. لم يتكلم بأسلوب القديس بولس الرسول "لا أنا، بل نعمة الله التى معى" "ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة" (١كو ١٥ : ١٠) . لكنه اكتفى بأن ينسب إلى نفسه الفضائل التى تحدث عنها سلباً أمام الله.

وافتر باطلاً أمام الله، الذى قدامه كل بر الإنسان مثل خرقة الطامث (حز ٣٦ : ١٧)، الذى "ليست السموات طاهرة قدامه" (أى ١٥ : ١٥) وإلى ملائكته ينسب حماقة (أى ٤ : ١٨).

✱ ✱ ✱

خلاصة أخطاء الفريسي :

- ١ - الافتخار ، وعدم نسبة أعماله إلى نعمة الله .
- ٢ - إدانة الآخرين بصفة عامة، والعشار بصفة خاصة .
- ٣ - مقارنة نفسه بمستويات حاطئة ، أوصلته إلى البر الذاتى .
- ٤ - لم يطلب شيئاً لنفسه ، وكأنه غير محتاج لشيء .

العشار :

كانت له فضائل كثيرة ، نذكر منها :

١ - اسحاق القلب . ويظهر هذا من أنه وقف بعيداً ، ولم يجرؤ أن يرفع عينيه إلى السماء.. فعل هذا مع كونه وقتذاك أقرب للحاصرين إلى الله في خشوعه. وقد قال للكتاب "الذبيحة لله هي قلب مسحق. القلب المتحشع والمتواضع لا يرنله الله" (مز ٥١ : ١٧).

ووقوفه من بعيد ، كأنه يقول : لست مستحقاً أن أحشر نفسي في زمرة القديسين، ولست مستحقاً أن أتواجد في المواضع المقنمة. وكأنني أقول مع داود النبي: أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل إلى بيتك (مز ٥ : ٧) .

✱ ✱ ✱

١ - ثم يرفع نظره إلى فوق ، وكأنه يقول : من أنا الذي يجرؤ أن يرفع نظره إلى السماء في قدسيتها، بينما أشعر بنجاستي؟

٢ - في انسحاقه أخذ المتكأ الأخير حسب وصية الرب . فقربه إليه، ولم يدعه يقف بعيداً ، بل جعله يخرج مبرراً .

وطبعاً وقوفه بعيداً يدل على شعوره بعدم الاستحقاق إلى الدخول إلى بيت الرب .

✱ ✱ ✱

٣ - وقف وكأنه في خورس التائبين . وقرع صدره بصلاته التي صارت نموذجاً لكل تائب "ارحمني يارب فإني خاطئ" .

٤ - كان متذكراً لخطاياہ ومعتزلاً بها أمام الله . وهذا يذكرنا بقول القديس أنطونيوس "إن نسينا خطايانا ، يذكرها لنا الله . وإن ذكرنا خطايانا ، ينساها لنا الله" .

✱ ✱ ✱

وفي اعترافه بخطاياہ لم يفتن أي عذر يعتذر به . وكأنه يقول لله: أنا مدان أمامك بلا عذر .

٥ - أظهر ندمه في أنه قرع على صدره . وهذا تعبير على أنه عارف بما اقترفه ، وهو خجلان بسبب ذلك ، مظهرأ ندمه.

٦- مَثَلُ الْعَشْرِ عَذَارَى

قال السيد الرب "يشبه ملكوت السموات عشر عذاري أخذن مصابيحهن، وخرجن للقاء العريس. خمس منهن حكيمات، وخمس جاهلات" (مت ٢٥: ١، ٢). فالإلى أى شئ يرمز هذا؟
رقم خمسة :

فى الواقع إن رقم خمسة يرمز إلى الإنسان (إلى البشر) .
وهكذا ترمز الخمس عذاري الحكيمات إلى كل البشر الحكماء. وترمز الخمس عذاري الجاهلات إلى كل البشر الجهلاء .

وقد ذكر القديس أوغسطينوس إن رقم خمسة يرمز إلى الإنسان لأن الإنسان يتميز بأن له خمس حواس. كما أن له خمسة أصابع فى كل واحدة من يديه، وفى كل قدم من قدميه.
* * *

وتلاحظ ورود هذا الرقم كثيراً فيما يتعلق بالبشر .

فى أشهر معجزة لإشباع الجموع، أشبعهم الرب بخمسة أرغفة وسمكتين. وكان الآكلون خمسة آلاف رجل غير النساء والأطفال (مت ١٤: ١٧، ٢١). وكمثال لنجاسة الإنسان قيل عن المرأة إنه كان لها فى الخطية خمسة أزواج (يو ٤: ١٨).
ولكى يقارن السيد الرب فى نقل الخطية بين سمعان الفريسي والمرأة الخاطئة الباكية، قال له : "إنسان كان له مدينان على الواحد خمسمائة دينار، وعلى الآخر خمسون. وإذ لم يكن لهما ما يوفيان، سامحهما جميعاً" (لو ٧: ٤١، ٤٢) .
* * *

وفى حديث الرب عن المواهب والمسئوليات ، ذكر أن أكثر الذين أخذوا كان صاحب الخمس وزنات، الذى ربح خمس وزنات آخر (مت ٢٥: ١٧، ٢٠) . والقديس بولس الرسول عن الفهم فى موهبة الألسنة: "أشكر إلهى أنى أتكلم بألسنة أكثر من جميعكم. ولكن فى الكنيسة أريد أن أتكلم خمس كلمات بذهنى أكثر من عشرة آلاف كلمة بلسان" (١كو ١٤: ١٨، ١٩).

* * *

وداود فى محاربة جليات ، ليبرهن على أقصى ما يعمل من مجهود كإنسان أخذ معه فى كنفه كراع "خمس حجارة ملساء" (اصم ١٧: ٤٠) .

حكيما ت وجاهلات :

النفوس الحكيمة هي الحكيمة في تصرفها، وفي النظر إلى مستقبلها .

كما مدح الرب وكيل الظلم (لو ١٦ : ٨) لأنه تصرف بحكمة ونظر إلى مستقبله .
وهنا العذارى الحكيمات "أخذن ريتاً في انبيتهن مع مصابيحهن" (مت ٢٥ : ٤) . فكان
عندهن استعداد لاستقبال العريس بمصابيح مصيئة، أى استقبال الرب عند مجيئه الثاني
بنفوس مستتيرة، كما أمر هو من قبل وقال "لنكن أحقاؤكم من منطقة، وسرّجكم موقدة، وأنتم
مثل أناس ينتظرون سيدهم.." (لو ١٢ : ٣٥، ٣٦) .

أما الجاهلات ، فلم يكن عندهن مثل هذا الاستعداد .

✱ ✱ ✱

وكلمة الجهل لا تعنى الأمية أو عدم الثقافة، بل كثيراً ما تطلق على الخطاة وحتى
على الملحدّين ...

كما قيل في المزمور "قال الجاهل في قلبه ليس إله" (مز ١٤ : ١٩) . وقد يكون من
الفلاسفة الملحدّين . ومع ذلك فهو جاهل، لأنه لا يعرف الله.. وكذلك قال أيوب الصديق
لزوجته، حينما تكلمت بكلام تحديف: تتكلمين كلاماً كإحدى الجاهلات" (أى ٢ : ١٠) .

✱ ✱ ✱

والقديس بولس الرسول نصّح أهل أفسس قائلاً "أنظروا كيف تسلكون بتدقيق، لا
كجهلاء بل كحكماء" (أف ٥ : ١٥) . وهكذا وصف بالجهل من لا يسلك في حياته بتدقيق.
وقال سليمان الحكيم "الحكيم عيناه في رأسه. أما الجاهل فيسلك في الظلام" (جا ٢ : ١٤) .
وقد قال السيد الرب "من يسمع كلامي ولا يعمل به، يشبه رجل جاهل بنى بيته على
الرمال" (مت ٧ : ٢٦) .

إذن العذارى الجاهلات كن حقاوات لا يفكرن في مستقبلهن الأبدى .

لذلك حسن قيل عنهن في ترجمة King James بالإنجليزية :

And Fuve were foolish . وحقاً أكبر حماقة أن الإنسان لا يستعد لمستقبله الأبدى ...

✱ ✱ ✱

هؤلاء العذارى العشر، كان بينهن أوجه تشابه وأوجه اختلاف

أما عن أوجه التشابه : فنذكر من بينها أنهن كلهن خرجن معاً لاستقبال العريس . تماماً
كما نقول إن العالم كله ينتظر مجئ الرب متى يأتي.. هكذا كانت كل العذارى (على الأقل
من الخارج) . وكل منهن كانت تحمل مصباحها معها .

✱ ✱ ✱

وقيل عنهم جميعاً "ولما أبطأ العريس نعين كلهن ونمن" .

ولعله يقصد بالنوم فى هذا المثل: الموت. فنتيجة لتأخر مجئ الرب ماتت أجيال عديدة من الأبرار والأشرار . ولكن الجميع قاموا معا فى القيامة العامة. كما قيل "يسمع جميع من فى القبور صوته. فيقوم الذين فعلوا الصالحات . ويقوم الذين فعلوا السيئات" (يو ٥ : ٢٩).

✱ ✱ ✱

ولكن متى يقومون ؟ يقول المثل :

وفى نصف الليل ، صار صراخ : هوذا العريس قد أقبل .

يطر البعض أن موعد مجئ الرب فى محينه الثامى للدينونة، سيكون فى نصف الليل! وهذا خطأ واضح، لأن نصف الليل فى شرق الدنيا غيره فى غربها. ونصف الليل فى المناطق القطبية غير ذلك فى منطقة خط الاستواء. والوقت يختلف من قطر إلى آخر أحياناً ... إما المقصود بنصف الليل، أى فى الوقت الذى يكون فيه الناس نياماً، أى غير متوقعين هذا المجئ ...!

✱ ✱ ✱

على أن التشابه بين العشر عذارى ، كان تشابهاً من الخارج.

كان تشابهاً ظاهرياً . أما من الداخل ، فكان يوجد اختلاف .

أول خلاف أن بعضهن كن حكيماً، والبعض الآخر كن جاهلات.

ونتيجة لاختلافهن فى الحكمة والجهل، "أخذت الحكيمات معهن زيتاً فى انبيتهن مع مصابيحهن" "أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن، ولم يأخذن معهن زيتاً" (مت ٢٥ : ٣ ، ٤). وهذا يدل على اختلاف ثالث بينهما: وهو أن الحكيمات فكرن فى المستقبل باستعداد له. أما الجاهلات فلم يكن لهن هذا التفكير فى المستقبل، ولا هذا الاستعداد له ...

✱ ✱ ✱

الجاهلات لم يختبرن مصابيحهن قبل النوم، للتأكد من وجود زيت كافٍ فيها. تماماً كما يستعد السائق الحكيم قبل السفر بعربته، فيختبر العربته: هل فيها البنزين الكافى ، وهل هى مشحمة، والفرامل مضبوطة؟

الحكيماً كان عندهن الحرص والاهتمام والاستعداد والتفكير فيما سوف يقابلن به العريس. أما الجاهلات فكان تفكيرهن فى الحاضر فقط، وليس فى ما قد يحدث فى منتصف الليل .

✱ ✱ ✱

أهتمام الحكيمات بالمستقبل، يذكرنا بمدح السيد لوكيل الظلم.

ونأخذ وجه الشبه من ناحية واحدة فقط، وهي اهتمامه بما سوف يحدث له في المستقبل، واستعداده لذلك حينما تؤخذ منه الوكالة (لو ١٦: ٣، ٤). بأخذ التشبه بين المثلين، والقياس مع الفارق .

وقد ضرب الرب لنا هذا المثل، لستعد لمجئ الرب، ويكون حكماء. كما فعلت العذارى الحكيمات "وكما فعل ذلك الوكيل الحكيم (لو ١٦: ٨) .

✱ ✱ ✱

قلنا إن التشابه بين العذارى الحكيمات والجاهلات كان من الخارج فقط. من حيث أنهن كلهن عذارى، وكلهن ينتظرن العريس.

إنه يشبه - فى الشكل الخارجى - تشابه الورد الطبيعى والورد الصناعى!

الشكل الخارجى قد يكون واحداً من حيث اللون والمظهر. أما عن الجوهر فالورد الطبيعى فيه حياة، وله رائحة، وعمومة وليونة، بينما لا يوجد شئ من هذا كله فى الورد الصناعى. إذن لا نحكم حسب الظاهر ...

✱ ✱ ✱

كما أن التشابه بينهما كان تشابهاً مؤقتاً .

فى البداية وليس فى النهاية. تشابهاً إلى وقت مجئ العريس، وحينئذ تتكشف حالة كل مجموعة على حقيقتها. أو لنقل إنه يبدو التشابه بينهما فى هذا العالم فقط، وليس فى وقت القيامة. كما كان يبدو التشابه بين الحنطة والزوان، ولكن فقط إلى يوم الحصاد (مت ١٣: ٤٠ - ٤٢). نقطة أخرى نتأملها، وهى عبارة (عذارى) .

عَذَارَى :

أظن أن هذا المثل لا يرمز فقط إلى البشر عموماً ...

بقدر ما يرمز إلى نوعية الخدام الموجودين فى الكنيسة .

ويمكننا أن ندرك هذا من معنى كلمة (عذارى) . والمعروف أن العذراء هى الأنثى غير المتزوجة أى غير المرتبطة برجل، بل هى متفرغة لله وعمله.

وفى ذلك يقول القديس بولس الرسول: "إن بين الزوجة والعذراء فرقاً، غير المتزوجة تهتم فى ما للرب.. أما المتزوجة فتهتم فى ما للعالم كيف ترضى رجلها" (١كو ٧: ٣٤).

إذن هؤلاء العذارى كن من بين المهتمات فى ما للرب .

✱ ✱ ✱

ولأسف وجد فى هذا النوع بعض الجاهلات، ضيعن أنفسهن!

مع أن لهم مظهر التنكين من الخارج، مؤمنات، ويحملن مصابيحهن، وينتظرن العريس مثل الحكيمات تماماً. ويقولن "ربنا ربنا" (مت ٢٥ : ١١)!

أى أن الكل كان عندهن إيمان . ولكنه عند الجاهلات كان إيماناً نظرياً أو ظاهرياً وكان عند الحكيمات إيماناً حياً عاملاً مثمراً منيراً.

والذى يجعلنا نميل إلى هذا التفسير أن الرب فى نفس الإصحاح أو فى نفس المناسبة التى حكى فيها مثل العذارى، ذكر أيضاً مثل العبيد أصحاب الوربات الذين سلمهم الرب وزنات ليتاجروا بها ويربحوا (مت ٢٥ : ١٤ - ٣٠) .

وفى نفس الأسبوع ذكر أيضاً مثل الكرامين الأردياء الذى "لما سمعه رؤساء الكهنة والفريسيون، عرفوا أنه تكلم عليهم" (مت ٢١ : ٤٥) .

الزيت :

كان الفرق الرئيسى بين هاتين المجموعتين من العذارى الاحتفاظ بالزيت لإضاءة المصابيح. فما هو الزيت هنا وما رموزه؟

الزيت فى الكتاب المقدس يرمز إلى فاعلية الروح القدس .

فقد أمر الرب موسى فى الإصحاح الثلاثين أن يصنع المسحة المقدسة من زيت الزيتون من أفرح الأطياب، فيكون دهناً مقدساً للمسحة، تسمح به خيمة الاجتماع، وكل مذابحها وأنبتها. فتصيح قدس أقداس للرب، كل ما مسها يكون مقدساً (خر ٢٣ : ٢٣ - ٢٩) وهكذا كان.

وأمره بأن يمسح بهذا الزيت المقدس هرون وبنيه، فيقدسهم للرب ليكهنوا له (خر ٣٠ : ٣٠) . وتصير مسحتهم لهم كهناً أبدياً (خر ٤٠ : ١٥) .

* * *

فهل هؤلاء العذارى الجاهلات كانت تنقصهن هذه المسحة المقدسة التى تكرسهن لخدمة الرب؟ فتضى بها مصابيحهن ...

إن شاول الملك لما مسح بهذا الزيت المقدس، "أعطاه الرب قلباً اخر". "وحلّ عليه روح الله فتنبأ" (اصم ١٠ : ٩، ١٠) وصار مسيحاً للرب (اصم ٢٤ : ٦) . ودأود العتي الصغير - لما مسح بهذا الزيت المقدس - حلّ روح الرب عليه من ذلك اليوم فصاعداً (اصم ١٦ : ١٣) .

بل إن يعقوب أباً الآباء، لما صب ريتاً على الحجر الذى كان تحت رأسه كرّس المكان بيتاً للرب وقُدّسه ودعاه بيت إيل (تك ٢٨: ١٨، ١٩، ٢٢) .

فهل العذارى الجاهلات: كان نقص الزيت عندهن، يعنى نقص عمل الروح فيهن؟ وبالتالي نقص الدعوة الإلهية .

✱ ✱ ✱

هوذا الرسول يقول "كيف يكرزون إن لم يُرسلوا؟!" (رو ١٠: ١٥) .

إن القديس يوحنا الرسول يحدثنا عن أهمية المسحة فى العهد الحديد فيقول "وأما أنتم فلکم مسحة من القدوس وتعلمون كل شئ" "وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم، ولا حاجة لكم إلى أن يعلمكم أحد. بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شئ، وهى حق" (١يو ٢: ٢٠، ٢٧) .

ألعل زيت مصابيح العذارى، يذكرنا بزيت الميرون الذى يقسنا؟

وبه نصبح هياكل لله، والروح القدس يسكن فينا" (١كو ٣: ١٦) .. وبهذا الروح ننال إستنارة من الرب. كما قال الرسول "الذين أستبشروا مرة، وداقوا الموهبة السماوية، وصاروا شركاء الروح القدس" (عب ٦: ٤) .

حقاً إن الروح القدس هو نور لنا. لذلك يحذرننا الكتاب قائلاً "لا تطفئوا الروح" (١تس ٥: ١٩) .

فهل حدث مثل هذا الإطفاء للعذارى الجاهلات ؟

✱ ✱ ✱

إننا نبداً حياتنا مع الله بأن نولد من الماء والروح فى المعمودية (يو ٣: ٥) . ثم ننال الروح القدس وسكنه فينا بالمسحة المقدسة فى سر الميرون. هذه النعمة التى نالها المؤمنون فى بداية العصر الرسولى بواسطة أيدى الرسل (أع ٨: ١٧) (أع ١٩: ٦) .

فهل مجرد نوال الروح القدس يكفى ؟

بل يقول الكتاب "امتلئوا بالروح" (أف ٥: ١٨) . هذا هو الذى كان ينقص العذارى الجاهلات . على الأقل لم يضرموها الروح فيهم

✱ ✱ ✱

هذا الذى نصح به بولس الرسول تلميذه تيموثاوس قائلاً له : "أذكرك أن تضرم أيضاً موهبة الله التى فيك بوصع يدي" (٢تى ١: ٦) .

لا يكفى أن تكون مع مصابيحنا أو أن ، بل يجب أن نملأها زيتاً، ونضرم الروح الذى فيها. ولكن كيف ؟

بأن نحيا بالروح، ونسلك بالروح (رو ٨: ١) وتكون لنا شركة مع الروح القدس (٢كو ١٣: ١٤)، وننال الإستارة من الروح. لأن هذه الإستارة مصدرها الزيت، كما كانت السرج في خيمة الإحتماع في العهد القديم يجب أن تكون موقدة باستمرار، كما أمر الرب الشعب "أن يقدموا زيت زيتون مرضوض نقياً للضوء لإصعاد السرح دائماً" (خر ٢٧: ٢٠). وقد أمر الرب في الإستعداد لمجيئه قائلاً "لنكن أحقاؤكم ممنطقة، وسرجكم موقدة. وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم متى يرجع.." (لو ١٢: ٣٥، ٣٦).

وكيف كانت السرح تصبى، في ذلك العصر قبل الكهرباء ؟

تصبى زيت يصل إلى فتيلة مشتعلة، فيدوم إشعالها بدوام وصول الزيت إليها. فإذا أنتهى الزيت، انطفأت . وهكذا حال الإنسان مع الروح القدس .

ونفس الوضع بالنسبة إلى الشموع المصنوعة من الزيت، تصبى طالما زيتها فيها. كالقدس ينير بالروح القدس العامل فيه.. فالروح القدس هو مصدر النور بالنسبة إلى فتيلة السراح، ونور الشمعة .. كرمز . والمهم هو أن يحافظ الإنسان على مصدر الزيت الذى يصبى مصباحه حتى لا ينطفئ .

مصباحنا تنطفئ :

مأساة العذارى الجاهلات هي قولهن "إن مصابيحنا تنطفئ" (مت ٢٥: ٨) .

معنى هذا أنه ليس لهن روح الله عاملاً فيهن. جاء الرب في وقت لم تكن فيه لهن شركة مع الروح القدس . لذلك لم تكن لهن صلاحية للدخول إلى العرس. لم تكن لهن الإستارة الداخلية التى تؤهلن لذلك .

✱ ✱ ✱

العجيب أنهم طلبن من الحكيمات أن يعطين لهن من زيتهن !

ولم يكن هذا ممكناً. فالزيت يعبر عن عمل الروح فى القلب. وهذا بلا شك هو أمر شخصى، لا يمكن فيه للإنسان أن يمنحه. أى أن يمنح حالته الشخصية لآخر. لا يستطيع أن يمنحه علاقته بالله أو شركته مع الروح القدس !

كل شخص مصباحه يصبى بالزيت الذى فيه، وليس برئت غيره!

بر الإنسان مسألة شخصية، لا تعار لغيره، كما قيل فى سفر حرقياى النبى "بر الإنسان عليه يكون. وشر الشرير عليه يكون" (حز ١٨: ٢٠).

✱ ✱ ✱

بر داود لم يكف لإنقاذ أشالوم. فهلك أشالوم على الرغم من كونه ابناً لداود! وصلاح
 ابينا ابراهيم لم يفع الغنى الذي عاصر لعازر المسكين. بل إن ذلك الغنى طلب قطرة ماء
 يبلل بها لسانه من عذاب اللهب، ولم يجد عند لعازر ولا عند ابراهيم (لو ١٦: ٢٤، ٢٦).
 وصلاح أليشع النبي لم ينعف تلميذه جيحزى، حينما أخذ عكار أليشع ليضعها على ابن
 الشونمية الميت لكي يحيا. بل بركة عكار أليشع مصدرها أليشع نفسه، ولا تتوافر هذه
 البركة في يد جيحزى (٢مل ٤: ٢٩ - ٣١).

الروح القدس الساكن في أليشع، لم يمكن أعارته لجيحزى .
 * * *

إن بر أبينا نوح لم ينتقل إلى حفيده كنعان، بل استمر كنعان في لعنته أجيالاً وأجيالاً،
 حتى لقاء السيد الرب مع المرأة الكنعانية (تك ٩: ٢٥) (مت ٥: ٢٢، ٢٦).. لهذا لم تستطع
 العذارى الحكيمات أن يعطين من زيتهن للجاهلات .. اللاتي كانت لهن مصابيح، ولكن
 بلا زيت ...

* * *

حقاً ، ما فائدة المصابيح ، إن لم يكن فيها زيت .
 ماذا ينعف الإنسان إن كان له اسم مسيحي، وليس له إيمان بالمسيح! بماذا ينفعه الاسم.
 أو إن كان له إيمان، ولكنه إيمان شكلي نظري، ليست له شركة مع الروح القدس ومع
 العمل الروحي!

ماذا ينتفع خادم في منتهى النشاط والحركة، ولكن بدون روح! وكأنه مصباح بدون
 زيت! هكذا كانت العذارى الجاهلات .

المصباح هو شخصية الإنسان، والزيت هو الروح العامل فيه. أما أنيتهن التي يكثر
 فيها الزيت، فهي القلب والفكر والإرادة ...

* * *

وقد عاشت الحكيمات طول عمرهن يكثرن زيتاً في أنيتهن. وعندما نعسن ونمن،
 كانت أنيتهن مملوءة زيتاً، لأنه كان لهن هذا الاستعداد قبل نوم الموت. أما الجاهلات
 فكانت أنيتهن فارغة من الزيت ... وللأسف لم يكتشف ذلك إلا بعد فوات الفرصة .

لم يعحصن أنيتهن جيداً قبل النوم، حسب نصيحة الكنيسة لنا في صلاة اليوم وصلوات
 نصف الليل التي نقول فيها : توبى يا نفسى مادمت في الأرض ساكنة. لأن التراب في
 القبر لا يسبح. ليس في الموتى من يذكر، ولا في الجحيم من يشكر!

* * *

حقاً لا يمكن ابتياع الزيت بعد الموت. وبائع الزيت الوحيد هو الله، الذى يكون قد أغلق الباب وانتهى رمز البيع .

إن الكنيسة علمتك دوام الإستعداد، وأن تتذر نفسك قائلاً :

"لو كان العمر ثابتاً، وهذا العالم مؤبداً، لكنت لك يا نفسى حجة واضحة. لكن إذا انكشفت أفعالك الرديئة وشرورك القبيحة أمام الديان العادل، فأى جواب تجيبين وأنت على سرير الحطايا منطرحة، وفى إخضاع الجسد متهانة؟!".

✱ ✱ ✱

ومع ذلك، فالعذارى الجاهلات لم يستمعن إلى الإنذارات، ولم يدهبن لببتن زيتاً. وظلن هكذا إلى وقت محى المسيح الثانى. يقول الكتاب:

وصار صراخ: هوذا العريس قد أقبل" (مت ٢٥ : ٦) .

هذا الصراخ ، هو صوت الملائكة بأبواق معلنة محى الرب.. لأن الكتاب يقول "لأن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة، ويوق الله، سوف ينزل من السماء" (١ تس ٤ : ١٦) "فى لحظة، فى طرفة عين، عند البوق الأخير. فإنه سيبوق فيقام الأموات.." (١ كو ١٥ : ٥٢) .

يجئ الرب "والمستعدات يدخلن معه فى فرح ، ويغلق الباب" (مت ٢٥ : ١٠) .

✱ ✱ ✱

كانت المأساة الأولى للعذارى الجاهلات أنهن وجدن مصابيحن تنطفئ. أما المأساة الثانية، فكانت أن باب الرب قد أغلق دونهن .

وأغلق الباب :

محى الرب سيكون "فى اليوم الذى لا تتوقعه، وفى الساعة التى لا تعرفها" (لو ١٥ : ٢٦). "فى نصف الليل" ، فى الظلام، وأنت نائم لا تدرك. تسمع صوتاً يقول لكل العذارى "هوذا العريس قد أقبل فأخرجن للقاءه". فيخرج الجميع، ولكن ليس بمشاعر واحدة. القلوب المستعدة تقابله بفرح أما غير المستعدين فتقول "للحبال غطينا، وللتلال أسقطى علينا" (لو ٢٣ : ٣٠) (رو ٦ : ١٦). من خوف الملاقاة. حينئذ لا توجد فرص بعد، ويغلق الباب.

✱ ✱ ✱

أغلق باب التوبة، وباب الرجاء، وأغلقت كل فرص الأستعداد.

لا توبة بعد الموت، ولا ريت يُباع وقتذاك. وباب الملكوت يُخلق على من فيه. لا الدين فى الداخل يخرجون منه، ولا الذين فى الخارج يستطيعون أن يدخلوا. وكما كان من قبل

"الله يفتح ولا أحد يعلق" الآن - بعد القيامة - هو "يخلق ولا أحد يفتح" (رؤ ٣: ٧) .

✠ ✠ ✠

وأسفاه على الفرص الضائعة لقد كان الباب مفتوحاً قبل الموت!

كان الباب مفتوحاً أمام داود الذى أخطأ وتاب. وكان مفتوحاً أيضاً أمام أغسطينوس ، وموسى الأسود، وشاول مصطهد الكنيسة، وأريانوس والى أنصار. كلهم أخطأوا وتابوا ودخلوا من الباب المفتوح، كما دخلت بيلاجية ومريم القبطية وكثيرات أما بعد علق الباب فلا توجد فرصة للاستعداد ولا لانتياح الزيت!

✠ ✠ ✠

فاستعد الآن يا أخى، فالباب لا يزال مفتوحاً .

اختر انيتك كل يوم، وكن على الدوام مستعداً. هوذا القديس بولس الرسول يقول "جربوا أنفسكم: هل أنتم فى الإيمان؟ أمتحنوا أنفسكم" (٢كو ١٣: ٥) لا تفعل كالعذارى الجاهلات ، اللاتى ذهبن فى حيرة وفى يأس يتعن زيتاً، بينما الباب قد أعلق . وأصبحن يقرعن بلا رجاء فيجيبهن الرب :

إنى لا أعرفكن :

كانت هذه هى المأساة الثالثة والأخيرة والمرعبة: أن يقول لهن الرب "إنى لا أعرفكن". لا أعرفكن كبعض من خاصتى، ومن خرافى. لا أعرفكن كأبناء النور وأبناء الملكوت! لا أعرفكن . لأن من ينكرنى قدام الناس، أنكره أنا أيضاً قدام أبى الذى فى السموات (مت ٣٠: ٣٣) . أنا لا أعرف أصحاب المصابيح غير المضيئة. لا أعرف الذين لم تكن له شركة مع الروح القدس. هكذا قال نفس العبارة للذين قالوا له "يا رب يارب، أليس باسمك تتبأناء، وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟!" (مت ٧: ٢١-٢٣). أما هو فأجابهم "إنى لا أعرفكم قط" .

"لا أعرفكم" تعنى أنكم لا تستحقون معرفتى لكم .

عبارة صعبة ومحيفة ، إذ يقول الكتاب لأمثال هؤلاء "مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى" (عب ١٠: ٣١) . طبعاً مخيف لغير المستعدين .

لذلك ، حاول أن تملأ أنيتك زيتاً من الآن ، قبل أن يُخلق الباب.

الباب السادس
محنة القرية

السَّامِرِيُّ الصَّالِحُ

(لو ١٠ : ٢٥ - ٣٧)

مَثَل السَّامَرِيِّ الصَّالِحِ

(لو ١٠ : ٢٥ - ٣٧)

إنه مثل مشهور جداً ، لدرجة أنه بلغ من تأثيره على الناس تأسيس كثير من الجمعيات الخيرية والهيئات الاجتماعية أطلقت على نفسها إسم "السامري الصالح" كنموذج لعمل الخير مع الكل .

مناسبة المثل

أحد الناموسيين سأل السيد المسيح "ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟" وهو سؤال وجهته إلى السيد كثير من الناس: قال ذلك أحد الرؤساء (لو ١٨ : ١٨) وأيضاً الشاب الغني سأل نفس السؤال (مت ١٩ : ١٦). وسأله هذا الناموسى . نفس السؤال . والناموسيون جماعة يقرأون الناموس ويحفظونه، وهم على دراية بشريعة الله وكتابه المقدس .

فأجاب الرب على سؤال ذلك الفريسي بسؤال آخر وهو : ما هو مكتوب فى الناموس . كيف تقرأ؟ وهو سؤال اعتاده الناموسيون والكتبة أيضاً . فأجاب الناموسى بالوصية العظمى فى الناموس: تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك" (مت ٦ : ٥) "وتحب قريبك كنفسك" (لا ١٩ : ١٨). ولم تكن محبة الله موضع سؤال . فسأل من جهة محبة القريب:

✱ ✱ ✱

من هو قريبى ؟ (لو ١٠ : ٢٩) .

لأن اليهود ما كانوا يعاملون السامريين (يو ٤ : ٩)، وكذلك كانوا يكرهون الأمم . إذن من يكون قريبه؟ هل هو الإنسان اليهودى فقط؟

ولكى يشرح الرب معنى القريب، ذكر مثل السامري الصالح (لو ١٠ : ٣٠ - ٣٦) .

✱ ✱ ✱

والمنطقة التى حدث فيها المثل ، هى ما بين اورشليم وأريحا .

وهى منطقة جبلية وعرة . والطريق بين المدينتين طريق موحش فيه الكثير من الكهوف التى كان يسكنها اللصوص . لذلك أصبح خطراً على السالكين فيه، وبخاصة التجار الذين قد يهجم عليهم اللصوص لسلب أموالهم. ولذلك لُقّب ذلك الطريق بالطريق الدموى . وكان هو مسرح المثل .

على أن مثل السامرى الصالح يمكن أن يُفسر بطريقتين :
بالطريقة الرمزية ، وبالطريقة الواقعية ، كما سنرى .

التفسير الرمزى للمثل

★ **المسافر** : هو إنسان مسافر فى طريق الحياة من الميلاد حتى الوفاة .

★ **نازل من اورشليم إلى أريحا** :

أى هابط من المستوى الروحى الذى لأورشليم المدينة المقدسة، مدينة الملك العظيم (مت ٥: ٣٩)، مدينة العبادة والذبيحة والهيكل.. إلى أريحا التى هُدمت أسوارها، وتكلم ضدها يشوع بن نون (يش ٦: ٢٦) .

هذا النزول له خطورته روحياً، لأنه يعرض المسافر للصوص:

※ ※ ※

★ **وقوع المسافر بين لصوص** ، فعزوه وجرحوه :

يرمز للصوص إلى الشيطان وأعوانه. فالشيطان هو أول لص سرق منا الفردوس، أخرجنا منه وسلبنا السعادة التى عاش فيها الإنسان الأول .

★ **أما عبارة عزوه**. فمعناه عزوه من ثوب البر. فالبر يرمز إليه الثياب البيضاء التى كان يلبسها الإنسان الأول، والتى وعد بها الرب الغالبيين، إذ قال "من يغلب ، فذلك سيلبس ثياباً بيضاء" (رؤ ٣: ٥).

★ **الإنسان الأول** عراه الشيطان من بساطته وبرامته وقداسته الأولى. وهكذا عرف آدم وحواء أنهما عريانان (تك ٣: ٧). وهكذا قال الرب لراعى كنيسة لاودكية الخاطئ إنه شقى وبائس وفقير وعريان (رؤ ٣: ١٧) .

※ ※ ※

★ **هذا المسافر** لم يكتف للصوص بسلبه، بل أيضاً عزوه وجرحوه، أى سببوا له الأماً

فى الجسد والنفس والروح، وأنعبوا ضميره ومشاعره. كما أن عبارة (جرحوه) تدل على قسوة عدو الخير فى محاربه للإنسان والعمل على إهلاكه. وتصل هذه القسوة إلى عبارة: **★ وتركوه بين حى وميت : أى لم يكتفوا فقط بإسقاطه، إنما تركوه على حافة الهلاك.** كما يقول المرمور "كثيرون يقولون لى: ليس له خلاص بإلهه" (مز ٣: ٢). وهكذا قيل عن الخطية إنها "طرحت كثيرين حرقى، وكل قتلها أقوياء" (أم ٧: ٢٦) ...



حقاً إن النار من أورشليم إلى أريحا، لا يدرى فى أى مكان يكمن له اللص. وعن هذا قال المرتل فى المزمور "فى الطريق التى أسلك، أحفوا لى فحاً. تأملت عن يمين وأبصرت، فلم يكن من يعرفنى. صاع المهرب منى، وليس من يسأل عن نفسى.." (مز ١٤٢: ٣، ٤) .

هذا الإنسان عاجز عن خلاص نفسه، ويحتاج إلى معونة من فوق .

فألصوص سارقوا الأرواح يعملون فى خفية وفى قسوة، وأنواع وطرق شتى. وأحياناً بطريقة تبدو للإنسان مستقيمة، وعاقبتها طرق الموت" (أم ١٤: ١٢)(أم ١٦: ٢٥). لاند إذن من تدخل الله. وهنا طهر الكاهن واللاوى.

الكاهن واللاوى :

فى أيام السيد المسيح لم يكن الكهنة واللاويون على مستوى المسؤولية الرعوية، بل هم الذين هاحموا المسيح نفسه وحكموا عليه باستحقاق الموت. وهم الذين قال الرب عنهم فى مثل الكرامين الأردباء إن ملكوت الله ينزع منهم، ويُعطى لأمة تصنع ثماره (مت ٢١: ٤٣، ٤٥). وقد ذكرهم السيد فى هذا المثل ليُشعر الناموسى الذى سأله ، أنه يتنع أناساً بعيدين عن الله.

الكاهن واللاوى بطرا المسافرين الجريح، وجازا مقابله . أى تركاه كما هو، وسارا فى طريقهما، دون أن يأبها به !

وهذا يعنى - من الناحية الرمزية - أنه لا معونة بشرية قُدمت لهذا المسافر الحريح حتى من المسؤولين الرسميين المفروض فيهم أن يهتموا به!



★ السامرى : من الناحية الرمزية ، يمثل السيد المسيح فى هذا المثل:

أتى حينما فشل الحل البشرى، وعجز الخاطئ الجريح عن خلاص نفسه. وقال للرب - كما فى المزمور - "أنت هو رجائي وحظى فى أرض الأحياء" (مز ١٤٢: ٥). وكما كان السامرى مرفوضاً من اليهود، كان السيد المسيح هو "الحجر الذى رفضه النعّاءور" (مز ١١٨: ٢).

✱ ✱ ✱

★ السامرى هو الذى خَلَص الجريح، كما خَلَص المسيح العالم.

وكيف ؟ لما راه "تحنن" (لو ١٦: ٣٣). هذا الحنو هو الذى كان سبباً فى كل عمله. بالحنو ضمد جراحه. وما كان الخمر والريت، وركوبه على الدابة، والقدق والدياران إلا نتائج لمشاعر القلب التى أظهرها من نحوه...

✱ ✱ ✱

وهكذا نجد عبارة "تحنن" تسبق كثيراً من أعمال سيدنا المسيح ومعجزاته.

تحنن على الابن الضال وقبّله إليه (لو ١٥: ٢٠). وتحنن على أرملة نايين وأقام ابنها (لو ٧: ١٣). "ولما رأى الجموع تحنن عليهم، إذ كانوا منزعجين ومطرحين كعم لا راعى لها" (مت ٩: ٣١). "ولما أبصر جمعاً كثيراً، تحنن عليهم وشفى مرضاهم" (مت ١٤: ١٤). وهكذا كان الحنان عند الرب، هو نقطة البدء ...

وبالمثل حدث مع السامرى الصالح : لما رأى الحريح الملقى على الطريق تحنن وتقدم، وضمد جراحاته .

وهكذا فعل مع أورشليم الخاطئة، التى كانت "مدوسة بدمها" (حر ١٦: ٦). فقال لها "حممتك بماء، وغسلت عنك دماءك، ومسحتك بزييت" (جز ١٦: ٩). داوى المسيح جراحنا.

✱ ✱ ✱

وصب على جراحه زيتاً وخمراً . الريت يرمز إلى الروح القدس، والخمر يرمز إلى دمه الكريم فى سر الإفخارستيا. وماذا بعد؟

★ وأركبه على دابته، أى على الإيمان الذى يستطيع أن يوصله

★ وأتى به إلى فندق، أى إلى الكنيسة التى يعيش فيها ويستريح.

★ واعتنى به ، أى سلمه إلى عمل الرعاية .

★ وأعطى دينارين لصاحب الفندق .

لعلهما شريعة العهد القديم وشريعة العهد الجديد، كوسيلة للعناية

أو لعلهما الإنجيل وأسرار الكنيسة المقدسة، أى التعليم والأسرار.

أو هما النعمة والجهد ، وبهما يشفى الجريح .

ووعده بالمجئ ثانياً (لوقا ١٦ : ٣٥) : أى فى مجيئه الثانى سيكافئ الكنيسة على عملها

فى رعاية هذا الجريح . ويأخذه أيضاً إليه ...

التفسير الواقعى للمثل

المسافر :

إنسان مسافر فى طريق وعرة ، نازل من أورشليم المسبية على الجبال، إلى أريحا،
وسط منحدرات المرتفعات وكهوف اللصوص. وكان وحده فوقع فى أيدي اللصوص،
فسلبوه وجرحوه، وتركوه بين حيّ وميت Half dead .

✱ ✱ ✱

مرّ عليه كاهن ولاوى :

الكاهن من صميم عمله الروحى العناية بأمثال هذه الحالات. ولعله كن قائماً من
الهيكل، فى حالة روحية، حيث العبادة والتفكير. ولعل الجريح استنشر إذ رآه، وتوقع
منه خيراً. ولكنه "جاز مقابلة" (لوقا ١٦ : ٣١)، على الرغم من أنه كان فى حالة يرثى لها
ويحتاج بلاشك إلى إنقاذ عاجل ... ومع ذلك لم يأبه الكاهن به..

✱ ✱ ✱

هذا الكاهن الذى من قمه تطلب الشريعة (ملا ٢ : ٧). كان يعرف أن الشريعة تأمره
بالرأفة حتى على الحيوانات ...

إذ يقول الكتاب "إذا صادفت ثور عدوك أو حماره شاردًا، ترده إليه. وإن رأيت حمار
مبغضك واقعاً تحت حملة، وعدلت عن حله، فلا بد أن تحل معه" (خر ٢٣ : ٤، ٥).

فكم بالأولى كان يجب على الكاهن أن يعمل عمل رحمة مع أخيه هذا اليهودى الجريح
والملقى على الطريق؟! أليس هذا لوباً من التدين الأجوف أن يقدم الذبائح فى بيت الرب،
ويهمل أخاه! بينما يقول الرب "أريد رحمة لا ذبيحة" (هو ٦ : ٦). وهو لا قدم رحمة، ولا
تأثر روحياً بما كان قد قدمه من ذبائح!

✱ ✱ ✱

واللاوى الذى هو مساعد الكاهن فى خدمة بيت الرب، وهو أحد الذين اختارهم بدل
كل بكر فاتح رحم (عد ٨ : ١٥، ١٦) ..

هذا اللاوى أيضاً نظر إلى الجريح ، وجاز مقابله على الرغم من الوصية ، ومن المسئولية الرسمية، ومن المشاعر الإنسانية!!

ما كان في قلب الكاهن، ولا في قلب اللاوى ، مشاعر شفقة أو حنان، ولا حتى أداء الواجب كرجال دين عليهم مسئولية نحو العراء والصعفاء...! وهما مكرسان للخدمة ...

✱ ✱ ✱

ولعل الرب دفع هذا الغريب الجريح في طريقهما لاختبار أمانتهما

فليس المهم هو العمل الرسمي فقط، بل بالأكثر ما يعرض لنا في الطريق .

إذ قد يعتذر هذان بأنهما أسرعاً في الطريق، إذ كانت وراءهما مسئولية أخرى.. وحتى لو كان الأمر كذلك، فالواجب الذي عرض امامهما كان أهم. وربما فكر الكاهن أنه عندما يصل إلى غايته، سيكلف من باتى لإنقاذ هذا الجريح! وهذا خطأ يحمل خطراً، لأن كل دقيقة تمرّ على ذلك المسكين - الذى هو بين حيّ وميت - كانت تقربه من الموت، إن ترك بدون إعانة .

✱ ✱ ✱

حقاً ، إن كثيراً من أعمال الخير يلزمها السرعة، إذ قد يكون التباطؤ فيها له خطره ونتائجه المؤلمة .

كما أن التفكير فى التحويل على الغير، لا يدل على حرارة فى القلب من الداخل.. أو ربما فكر الكاهن واللاوى أن الطريق خطر، وقد يعود النصوص مرة أخرى، فتكون العواقب سيئة عليهما. لذلك فضلاً سلامة نفسيهما. وفى هذا أنانية لا يصح أن يتصف بها رجل دين مفروض فيه أن يبذل نفسه عن الآخرين .

✱ ✱ ✱

أو ربما فكراً أن حالة ذلك الجريح ميئوس منها، فلا داعى لأن يتعبا لأجله. واليأس من إنقاذ الآخرين هو عيب آخر فى الخدمة.

وكان الواجب عليهما أن يبذلا كل ما فى طاقتهما أن يفعلاه، ويصليا أن يكمل الرب ما ينقص من جهدهما، وينقذ الرجل . وأيضاً كان عليهما أن يتذكرا قول الكتاب "لا تمتع الحير عن أهله، حين يكون فى طاقة يدك أن تفعله" (أم ٣: ٢٧). ولاشك أنه كان فى طاقة كل منهما أن يفعل خيراً نحو رجل حريح متألم ...

✱ ✱ ✱

الكاهن واللاوى يعرفان الشريعة ، ولكنها معرفة بغير تطبيق!

ليس من المستبعد أن يكون ذلك للكهنة قد ألقي دروساً أو عظمت عن محبة القريب.
ولكنه لما واجه التطبيق العملي لم يفعل شيئاً!
ولكنه يمثل الموظف الرسمي، وليس القلب الحنون. وحتى كموظف، هو قد أهمل
واجبه الوظيفي، حيث يظن أنه لا رقيب عليه أثناء سيره في ذلك الطريق، أو لا محاسب
يحاسبه.

والسيد المسيح - في هذا المثل - أراد أن يلفت نظر الساموسى الذى يسأله إلى
وضعهم كمعلمى الساموس : فى أنهم "يجلسون على كرسى موسى" (مت ٢٣ : ٢). ومع
ذلك "يقولون ولا يفعلون" (مت ٢٣ : ٣).

بقى أن نتحدث عن دور ذلك السامرى الصالح .

وبدأة نقول : من هم السامريون ؟ وما قصتهم ؟

السامريون

كانوا لا يؤمنون إلا بأسفار موسى فقط، وينكرون باقى الأسفار، لكرهيتهم لرجعهم بن
سليمان (١ مل ١٢)، وكل بيت داود أبيه. بما فى ذلك مزلمير داود، وحكمة سليمان وأمثله
وباقى كتبه. وكان اليهود يكرهونهم ولا يتعاملون معهم (يو ٤ : ٩)، ويعتبرونهم جنساً
غريباً، كالأمم .

★ وقد عمل الرب على اجتذابهم ، وتقديم فكرة حسنة عنهم أمام اليهود كما فى قصة
السامرى فى هذا المثل ...

★ فلما أغلقت إحدى مدن السامرة أبوابها فى وجهه ولم تقبله لأن وجهه كان متجهاً
إلى أورشليم. وغضب تلميذاه يعقوب ويوحنا وقالوا له "أتريد يارب أن تنزل نار من
السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضاً؟" حينئذ "التفت الرب وانتهرهما وقال لستما تعلمان من
أى روح أنتما. لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس، بل ليخلص" (لو ٩ : ٥٣ - ٥٦).

★ كما امتدح الرب ذلك السامرى الذى كان أبرص فشفاه الرب ضمن عشرة برص
آخرين قد شفاهم، وجاء ذلك السامرى ليشكره فمدحه الرب وقال "أليس العشرة قد طهروا،
فأين التسعة؟! ألم يوجد من يرجع ليعطى مجداً لله غير هذا الغريب الجنس؟! ثم قال له :

قم وامض. إيمانك خلصك" (لو ١٧ : ١١ - ١٩) .

إن الرب يلاحظ النقط البيضاء الموجودة حتى عند أسوأ الناس، ويطوبها .

وهكذا فعل مع هذا السامري الذي كان أبرص. ومع أن عقيدته لم تكن سليمة تماماً، إلا أن الرب امتدح شيئاً من الإيمان كان فيه.

✱ ✱ ✱

وبالمثل تصرف مع المرأة السامرية التي كانت سيرتها رديئة. وأعجب بأنها تحب أن تشرب من الماء الحي، وأنها تسأل عن مكار السحود، وتعرف قصة نثر يعقوب. وتعرف "أن المسيا الذي يُقال له المسيح سيأتي ، ويخبرهم بكل شيء" (يو ٤ : ١٥ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٥). فشجعها حتى اعترفت وقال لها "حسناً قلت.. هذا قلت بالصدق" (يو ٤ : ١٧ ، ١٨).

وكان حنيئه مع هذه السامرية الخطوة الأولى لدخوله إلى السامرة، وإيمان كثير من السامريين على يديه، وقولهم "نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم" (يو ٤ : ٣٩ - ٤٢).

✱ ✱ ✱

وهذا السامري للصالح ، امتدح الرب شفقتة ، واهتمامه بعمل الخير، وليس ضعف عقيدته. إنها نقطة بيضاء جميلة فيه .

مثال ذلك مدح الرب لوكيل الظلم لأنه بحكمة صنع، واهتم بمستقبله، على الرغم من ظلمه وعدم أمانته في وكالته .

إنه درس لنا، أن نبحث عما في الناس من نقط بيضاء، ونمتدحها.

✱ ✱ ✱

وقد اهتم الرب بالسامريين المنبوين من المجتمع اليهودي، وكذلك بأمثالهم من المحتقرين كالعشارين والخطاة، واجتذبههم إليه، إلى للتوبة .

بهذا الحنان تصرف مع زكا العشار، ودخل بيته، وقال عنه "إنه أيضاً ابن لإبراهيم" وبتوبته قال "اليوم حصل خلاص لهذا البيت" (لو ١٩ : ٩). وأيضاً جذب إليه متى العشار ، وجعله رسولاً (مت ٩ : ٩). وحضر وليمة في بيته، حضرها عشارون وحطاة (مت ٩ : ١٠). وإتكا معهم ...

وبهذا أعطانا السيد المسيح مثلاً أن نكسب الناس، كما قيل :

"رابع النفوس حكيم" (أم ١١ : ٣٠) .

✱ ✱ ✱

نعود الآن إلى (السامري الصالح) . ونأمل الخير الذي فيه .

السَّامِرِيُّ الصَّالِحُ

كان هذا الغريب الجنس ينفذ وصايا الناموس أكثر من الكاهن واللاوى .
فبينما كان في نظر اليهود محتقراً، كان مقبولاً عند الله، ومثالاً صالحاً لليهود إذ كان
أفضل منهم، بل كان مثالاً لأجيال كثيرة. وقد اختاره الرب من بين فاعلي الخير، ليضعه
نموذجاً أمامنا .

✱ ✱ ✱

وكان مسافراً في نفس الطريق الوعر على دابته، ورأى أمامه ذلك اليهودي الجريح
بين حي وميت، فتحنن وتقدم لإنقاذه .

ربما ندهش الجريح اليهودي، لما رأى السامري مقبلاً إليه ليعالجه.
أو لعلَّ خوفاً أدركه. ولكن نظرة الحنو والإشفاق في عيني السامري قد طمأنته .
لم يضع في ذهنه أن الجريح يختلف معه في العقيدة والجنس، أو هو من شعب عدو.
إنما يكفي أنه إنسان في حاجة إلى معونة.

✱ ✱ ✱

وضرب لنا بذلك مثالاً في عدم التعصب، بل في محبة الأعداء والبذل لأجلهم.
وذكرني بمستشفى ذهبت إليه قبل رهنتي لكي أزور مريضاً. فرأيت لافتة عند مدخل
المستشفى مكتوب عليها "نحن لا نسأل عن دينك أو مذهبك، إنما نسال عن صحتك ونهتم
بشفائك".

✱ ✱ ✱

هذا السامري كان أيضاً ، لا يهتم بما قد يتعرض له من شكوك ممن قد يضبطه
فجأة، وهو أمام عدو بين حي وميت .

فقد يتهمونه بأنه قد قتله، وها هو في مسرح الجريمة. ومعروفة علاقة البغض بين
اليهود والسامريين. وهنا لم يهتم بنفسه، إنما كان كل اهتمامه بهذا الجريح. ولم يشغل
نفسه بأن اللصوص ربما يعودون إلى المكان ، فيسيئون إليه. كان منكراً لذاته ، لا يفكر
فيما قد يحدث له ...

✱ ✱ ✱

وكان سريعاً في عمل الإسعاف الذي قام به، ومتقناً لعمله :

نزل عن دابته، وضمد جروح ذلك الإنسان وصب عليها خمراً وزيتاً. كانت الخمر تُستخدم وهناك كمادة مطهرة، لما فيها من كحول. وكان الزيت كمادة عازلة تقى الجروح من الخارج. ولعله كان يحتفظ معه بالخمر والزيت لإحتياجه الخاص في ذلك الطريق الوعر. ولكنه فضل هذا الجريح على نفسه، بدلاً ما يستطيع من أجله.

وبعد ذلك حمله وأركبه على دابته، حتى أوصله إلى فندق .

وبهذا كان الجريح راكباً على الدابة، والسامري الصالح ماشياً على قدميه إلى جواره يستنده طول الطريق ...

إنه مثل عجيب في البذل، والتضحية، في كيف يمشي في ذلك الطريق الصخري الكرب، وهو يسند مريضاً على دابة بين حي وميت، لا يعرف كيف يصبط ركوبه على الدابة

أكمل السامري الصالح عمله حتى النهاية، حتى أطمأن على الجريح .

إنه لم يكتفِ بإسعافه وتركه لمصيره. بل حمله وأوصله إلى فندق، وأعطى صاحب الفندق درهمين، وطلب إليه أن يعتنى به. وكان الدرهمان أجر يومين للعامل في ذلك الزمن، كما يظهر من مثل الفعلة في الكرم (مت ٢٠: ٢).

وربما الدرهمان كانا كل ما مع هذا السامري. فلم يقل الكتاب إنه كان رحلاً غنياً. إنه لم يكن مسافراً في مركبة، ومعه سائق أو مئسس كما يفعل الأغنياء. بل كان مسافراً على دابة، وحده ...

والمثل يعطينا درساً في المتابعة والإطمئنان على العمل .

فلم يحدث أن السامري أوصَلَ الجريح إلى الفندق وتركه هناك وسافر. بل أنه بات معه في الفندق تلك الليلة، ليطمئن على صحته وعلى اجتيازهِ مرحلة الخطر، إذ يقول للمثل "وفي الغد لما مضى..." (لو ١٦: ٣٥) قال لصاحب الفندق: اعتنِ به. ومهما أنفقت أكثر، فعد رجوعى لوفيك .

عجيب كل هذا التسب والبذل، والإنفاق والوعد بإنفاق أكثر، والوعد بالرجوع مرة أخرى إلى الفندق، للإطمئنان على جريح من أعدائه !!

★ أعطانا السامري درساً عملياً في معنى : من هو قريبى :

(ليس قريبى من بيته قريب من بيتى، بل من قلبى قريب من قلبه. قريبى هو كل إنسان محتاج إلى).

وقد أجاب الناموسى عن هذا السؤال فى آخر المثل فقال عن القريب "الذى صنع معه الرحمة" (لو: ١٠: ٣٧). نلاحظ أنه ذكر الوصف، ولم يقل: السامري . ربما تعصباً منه، أو خشى أن يسمع الفريسيون ذلك فيلوموه ...

✱ ✱ ✱

ندرك من هذا المثل أيضاً أن المحبة كالنور، تنتشر فى كل مكان بلا تمييز. لا تخص مكاناً دون آخر .

كالشمس يتمتع بضيائها كل شخص، دون تمييز من جهة الجنس أو الدين أو المذهب. وبهذا تصرف السامري بإنسانيته الخالية من التعصب: تحزن على الجريح مع أنه عدو له.. وبحنوه عليه جعله قريباً له .

✱ ✱ ✱

★ لم يسمح لنفسه بالتفكير أو التردد ، بل أسعفه بتلقائية نتيجة لتحلله. فأحياناً التردد أو التفكير، يعطى فرصة لعدو الخير أن يتدخل.

لذلك إذا تحرك قلبك لفعل الخير، فلا تسمح للفكر أن يناقشه أو أن يؤجله. كذلك يعلمنا المثل أن عمل الخير لا يعترف بالعقبات.

✱ ✱ ✱

★ إن تعب السامري لأجل اليهودى وانفاقه عليه يعلمنا درسين :

أ - أن المال الذى معنا ، ليس هو لنا، بل نحن مجرد وكلاء عليه. منحنا الله إياه لننفقه فى عمل الخير .

ب - إن اليد التى يحركها الحب، لا تشعر بتعب .

الخامس

من أول وهله ، ندرك أن هذا المثل يقدم لنا أربعة أشخاص هم: الكاهن ، واللاوى ، واليهودى الجريح، والسامري الصالح .

وفى الواقع كان هناك خامس أدار العمل كله ، وهو الله .

ولا نستطيع أن نتأمل هذا المثل ، دون أن ندرك عمل الله فيه .

✱ ✱ ✱

الله هو الذى أرسل الكاهن واللاوى لكى يقوموا بواجب نحو ذلك الجريح، ولكنهما لم يقوموا بواجبهما. فأرسل الله ذلك السامرى الصالح، لأنه يعرف ما فى قلبه من مشاعر طيبة. بل هو - تبارك اسمه - هو الذى وضع فى قلب السامرى كل تلك المشاعر. وقد أرسله فى ذات الوقت الذى يحتاج فيه الجريح إلى معونة عاجلة. وأرسله أيضاً فى ذات المكان ...

✱ ✱ ✱

أما عن الجريح ، فقد سمح له الله بتلك التجربة، ليجعله فرصة لعمل الخير معه. ولكى يظهر الرب أنه "يجرح ويعصب" (أى: ٥: ١٨) .

نعم "يسحق، ويداه تشفيان" (أى: ٥: ١٨) فى نفس الوقت الذى فيه اعتدى عليه اللصوص، أرسل له الرب من يضمن جروحه ومن يعتنى به.

بالصدفة

يقول المثل "وعرض أن كاهناً.." (لو: ١٠: ٣١). وفى الترجمة الإنجليزية By Chance أى "بالصدفة". إنها تبدو كذلك صدفة !

✱ ✱ ✱

وفى الواقع إن ما سميت صدفة ، كانت هى التدبير الإلهى .

✱ ✱ ✱

وكثير من الأمور تبدو لنا صدفة، وهى تدبير إلهى ..

بالصدفة جاء الكاهن واللاوى والسامرى . وفى حقيقة الأمر كان مرورهم على الجريح تدبيراً إلهياً، بهدف إلهى ...

وليس صدفة أن السيد المسيح ذكر هذا المثل، بل قصداً لإعطائنا مثلاً عن (محبة الأعداء) التى أمرنا بها فى العظة على الجبل (مت: ٥: ٤٤) .

✱ ✱ ✱

والسامرى الصالح فى هذا المثل كان مثلاً للسيد المسيح .

الذى وجدنا أمواتاً بالخطايا (أف: ٢: ١ ، ٥) فخلصنا وأقامنا. ولم يدفع لأجلنا دينارين فقط، بل بذل حياته ومنه.

فهرست الكتاب

صفحة

٥ مقدمة الكتاب
٧ الباب الأول : مجرد وكلاء
٨ المالك والوكلاء
١٢ شروط الوكيل وعمله :
١٤ أنت كوكيل :
٢١ الباب الثاني : ملكوت السموات
٢٢ ملكوت السموات
٢٤ أسرار الملكوت / وأمثال الملكوت
٢٧ أ - مثل الكنز المخفي والنولوة الكثيرة الثمن
٣٥ ب - كل كاتب متعلم يخرج من كنزه جديداً وعتقاء
٣٦ رب بيت / كنزه
٣٩ جدد وعتقاء
٤٣ الباب الثالث : عن التوبة
٤٤ أ - مثل الدرهم المفقود
٤٤ لو ١٥
٤٥ مثل الدرهم المفقود / في البيت
٥٠ تفتش باجتهاد
٥١ فرح الملائكة
٥٢ ب - مثل التينة غير المثمرة
٥٣ تينة في كرم
٥٤ الثمر
٥٥ طول أناة الله وصبره
٥٧ الشفيح
٥٨ اتركها هذه السنة
٥٩ فترة محددة / إن صنعت ثمرأ
٦١ الباب الرابع : أمثال النمو
٦٢ ١ - مثل الخميرة
٦٣ مثل الخميرة

٦٤	خميرة صغيرة
٦٦	عمل الخميرة
٧٠	ثلاثة أكيال دقيق
٧١	ملاحظات
٧٣	٢ - مثل حبة الخردل
٧٤	الأشياء الصغيرة
٧٧	مثل للتشجيع وللرجاء
٧٨	تفاصيل المثل
٨١	٣ - مثل حبة القمح
٨٧	٤ - مثل الوزنات
٨٩	وزنات متنوعة
٩١	أيها الصالح والأمين
٩٣	صاحب الوزنة الواحدة
٩٥	الباب الخامس : أمثال في مقارنات
٩٧	١ - مثل الزارع
١٠٩	٢ - مثل الحنطة والزوان
١٢٠	٣ - مثل البيتين
١٢٧	٤ - مثل الغنى ولعازر
١٣٦	٥ - مثل الفريسي والعشار
١٤٣	٦ - مثل العشر العذاري
١٥٣	الباب السادس : محبة القريب
١٥٥	مثل السامري الصالح
١٥٦	التفسير الرمزي للمثل
١٥٧	الكاهن واللاوي
١٥٩	التفسير الواقعي للمثل / المسافرين / مرا عليه كاهن ولاوي
١٦١	السامريون
١٦٣	السامري الصالح
١٦٥	دروس من المثل / الخامس
١٦٦	بالصدفة